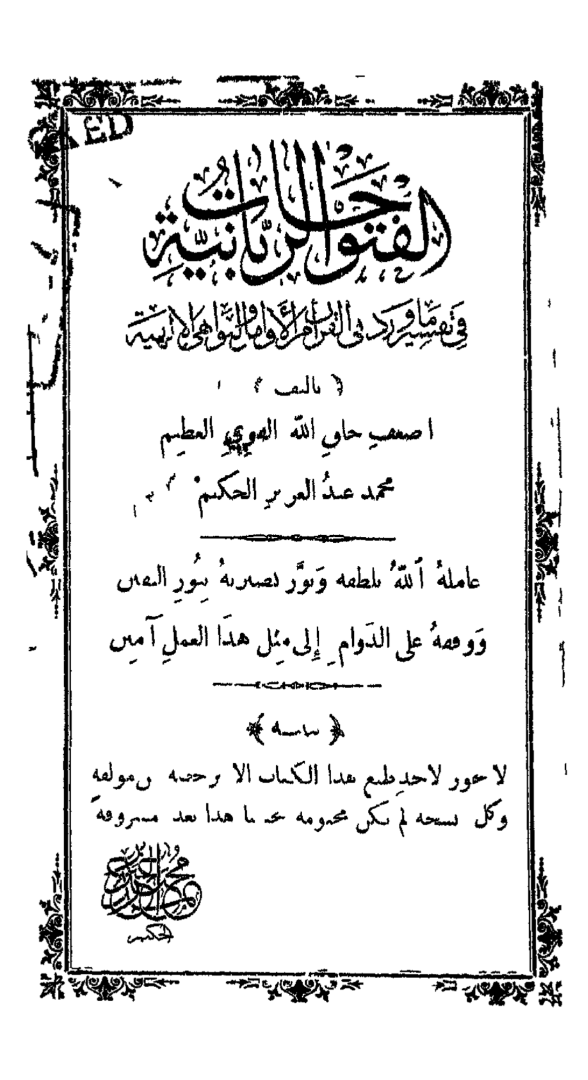


الفتوحات الربانية

في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر والنواهي الإلهية

﴿ تأليف ﴾

أضعف خلق الله القوي العظيم

محمد عبد العزيز الحكيم

عامله الله بلطفه ونوّر بصيرته بنور اليقين

ووفقه على الدوام إلى مثل هذا العمل آمين

باب الخطأ والصواب

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٢	١	فيما	مما
٣	١٢	عرب	عراب
١١	١	ولم يهد	فلم يهد
١٢	١٣	عن	ن
١٤	٨	احوالهم	احواله
١٧	١	المعلس	المفلّس
١٨	٥	أُكسكُم	ا كسكُم
٣٣	٥	سراقى	سواقى
٣٤	٦	وسر فى القرآن	وسر القرآن فى
٣٤	١٩	مولا	مولاهم
٤	١	و ردادوا	و ردادون
٥٤	٧	بع لوا	بعملون
٦	٤	التي	الدين
٦١	٧	بع لون	بع لوا
٦٤	١	بعدول	بعدوبك
٧٣	٨	فمصدالعمل الامر بالساعد	فمصد العمل الساعد
٧٥	٤	وبسط فيه	وبسط معه
٧٦	١	ن ماب اباءهم	ن ماب ابا هم فبل لوعهم
٨	١٣	وتحملهم	وتحملوا

ص	سطر	خطا	صواب
١٤	١٨	اول مسافه	اول ن مسافه
١٥		فا السكس	فاىكس
١٥	١	والىمال	ولىمال
١٥		السو	ولسو
١٦		ىمال	ولىمال
١١١		ب	احد
١١١	٣	-	احر ىهم
١١١	٤	١	لهم
١١٥	٩	ر	ىامروىا
١٢١	١	ىاب	سىب
١٢٥	٦	سىها	ىىه
١٣٩	١٤	ىوار ب	ىور ىب
١٤	١٥	لان	ان
١٤٢	١٩	او سواء	سوا
١٤٤	٦	ىرك	ىرك
١٦	١	رحائه	رصائه
١٦٤	١	فاىس	لىس
١٦٩	٨	احدا	احد
١٧٢	١٩	فعاىها	فعاىهما
١٧٣	٤	ىعاطىها	عاطىها
١٧٣	١٥	وسىها	ىسىها

صحيفه	سطر	خطا	ص[illegible]
١٧٣	١٦	الحاصله	الحا[illegible]
١٧٤	١٥	لا ـا	ولاد[illegible]
١٧٤	١٦	محرحا	و[illegible]
١٩٤	١٣	وعد	ا[illegible]
١٩٧	١	للسركس	ا[illegible]
٢ ٣	١٨	وعاماهم	ا[illegible]م
٢ ٧	٢	لنور	
٢١	٨	طلم	موا
٢١٤	١	حلفهما	حلفها
٢١٤	١٢	هما	منها
٢١٤	١٣	هما	منها
٢١٤	١٥	منهما	منها
٢١٤	١٥	عنهما	منها
٢١٥	١	الى المصر	الى من ذكر فى الآيه
٢١٧	١٣	بن لكم	من
٢٢		الانفال	هود
٢٢٩		ابراهم	النحل
٢٣٣		الانفال	النحل
٢٤١	٨	ولا تدعوها	ولا تدعوها
٢٤٣	١	ويهمل	ويهل
٢٤٣	٤	مد	مدا

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٢٣٤	٥	حُعلب	حَعلبُ
٢٤٥	٧	عليه	اليه
٢٤٥	٩	لهم	له
٢٤٨	١٢	هدا	هد
٢٥٥	١	الصلا	الصلا الرباعيه فيه
٣٦٥	١٤	سدها	محل المرص
٢٧٣	٩	عليها	عليه
٢٩٤	٩	وقال	فلهدا اقال
٣٣٢	١	الدعى	ادعى
٣٣٢	٢	الدعب	ادعب
٣٤٤	٤	لحصل	لحصاب
٣٥	٧	الاهي	الالهى

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب الفتوحات الربانيه ﴾
﴿ فى تفسير ما ورد فى القرآن من الاوامر الالهيه ﴾

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

﴿ تنبيه ﴾

من المعلوم لدى كل عاقل فطن ان المطابع لا تخلوا من ان
تنقص او تزيد بعض الاحرف او النقط او تبدل بعض الحركات
ببعض وذلك اما ان يكون ناشئاً من عدم الضبط عند ترتيب
الحروف الحديدية او كسر بعضها فى اثنا الطبع فالمرجو من
حضرات المطلعين على كتابنا هذا انهم اذا وجدوا نقصاً او زيادة
فى الحروف او تغييراً فى الشكل او الكلمات من كل ما يغير المعنى
ان ينظروا محل الخطا والصواب * واذا صادف القارىء خطا ولم
يجده فى باب الخطا والصواب فهو ناشئ مما ذكرنا من تقصير
المرتبين او من المطبعة نفسها فحينئذ نلتمس من حضرات القرا
الافاضل عدم المواخذة على ذلك وينبغى ايضاً لكل من وجد
خطأ ان يراجع باب الخطا والصواب فيصححه حالا لعدم حصول
المشقة لمن يقراه بعده فينال بذلك الاجر الجزيل *



الفتوحات الربانية

في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر والنواهي الإلهية

(تأليف)

أضعف خلق الله القوي العظيم

محمد عبد العزيز الحكيم

عامله الله بلطفه ونوّر بصيرته بنور اليقين

ووفقه على الدوام إلى مثل هذا العمل آمين





الحمدُ لله الذي احتجب بقدرته عن خلقه فلا تراه العيون * العزيزُ الذي انفرد بالعز والكبرياء وتحير في وصف حقيقته الواصفون * الكريمُ الذي لا يتوكلُ على عفوه ورحمته إلّا الراجون المخلصون * ولا يخشى سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون العالمون * اللطيفُ الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون * وسلّط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون * وابتلاهم بالمصائب وكلّفهم كظم الغيظ فيما يغضبون * وحفّهم بالمكاره واللذات وأخبرهم لينظر كيف يعملون * وامتحنهم بهذا التكليف ليبين تعالى لهم محبتهم وصدقهم فيما يدّعون * وعرّفهم أنه لا يخفى عليه شيء فيما يسرّون وما يعلنون * وحذّرهم من أن يعصوه ويخالفوا أمره فيأخذهم بغتة وهم لا يشعرون * وجعل هذه الدنيا داراً لامتحان خلقه فربح فيها

السعداء وخسر المنكرون * والصلاة والسلام على سيدنا
محمد الذي شرف برسالته النبيون والمرسلون * وأنزل عليه
كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يمسه
إلا المطهرون * وعجز عن الإتيان بأقصر سورة منه
المعارضون والمعاندون * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
ما هدى بشريعته المهتدون *

﴿ أما بعد ﴾ فيقول راجي عفو ربه الكريم الفقير إلى الله تعالى (محمد
عبد العزيز الحكيم) ابن عمر راسم بن حسن بن عبد الرحيم من
أشراف كرند قديمه المحمية أسعد الله أحواله في الدنيا والدين ووفقه
لما يرضيه وجعله من أهل اليقين * اعلموا أيها الإخوان المعروفون
بالترقي إلى مراتب المجد المشغوفون باقتناء سبائك السناء والحمد
المشتاقون إلى فهم أسرار غريب أوامر القرآن ونواهيه والقرآن كله
غرائب المجدون في معرفة رغائب القرآن والقرآن كله آداب
ورغائب أن هذه غرائب اقتطفها يد فطنتي من تراكم الشدائد
جامدة ودرر فوائد نظمتها قريحة من صروف الدهر جامدة *
على أنها مع تلك العقبات بديعة الجمال حلوة المباني عذبة المعاني
لجة المنال سهلة التناول قريبة العبارات نافعة مفيدة لمن
اشتغل بها من القاصرين والسادات وكيف لا وقد جعلتها في تفسير

ماورد من الاوامر والنواهي في كتاب الله الكريم الذي اخرس جميع الفصحاء حين ارادوا معارضته لعجزهم واورث جميع المعاندين من اهل الكفر خللا في ادمغتهم ولعمري انه لبضاعة يحملها اهل الامانة والحق ويذهبون بها في عالم الروح الامين الى محل النفس والصدق وتجارة اربابها جناب النعيم واجارة اعواضها الفوز بلقاء الرب العظيم ولا يخفى تقلبات الاحوال في كل عصر وخصوصا زماننا هذا الذي كثرت فيه الاختراعات وضاع الدين ووقع فيه الاختلاف من الطول بالقصر وصادف اوقات الطاعات الالهية الاخروية مزاحمة الاشتغال باحوال المقدسة الضرورية الدنيوية وما بقيت فرصة لاشتغال الافكار بالمنافع الباقية حتى كاد العموم يتركون جميع المقاصد السامية ويعرضون عن تلاوة ومطالعة القرآن الذي هو اساس العدالة والسعادة والعمران وصارت قراءة تفاسيره من نوادر الزمان فبات جميع العوام لا يعرفون ما امر به او نهى عنه رب الانام ولا يخفى ان من لم يعرف اوامر الله تعالى ونواهيه يكون اساسه مفقودة وعمدته واهية وما له في دين الاسلام حظ غير الاسم بالايمان • ولا يميز الحق من الباطل ولا الانسان الكامل من الحيوان بل دائما يكون في الضلال والعصيان • وارتكاب المنكرات واستحلال المحرمات والطغيان ومن حيث ان معرفة هذا من ضروريات شعائر الدين التي اوجبها الخالق على جميع المسلمين رأينا ان من الواجبات الضرورية والاحتياجات العصرية تأليف تفسير لما ورد من الاوامر

والنواهي الالهيه وقد التزمت فيه سهولة العبارات ليسهل فهمه على كل مسلم من جميع الطبقات وقد ضمنته جميع ما اتفق عليه المفسرون من التأويل واعرضت عما اختلفوا فيه خافة الاعراض والتطويل واتبعت ذلك بالجمل المستحسنه العربيه والتاويلات المفيده المحكمه المحبه وبالجملة فقد اشتمل كتابي هذا على ما لم يوجد في سائر التفاسير وان وجد فيها يكون متفرقاً وجمعه عسير ولم اذكر فيه من الآحاديث النبويه الا ما كان مشهوراً وكان سنده محرراً وعن النقات ماثوراً فاما الاحكام الشرعيه فمحلها في كتب الفقه ومن كل مفسر شهير واما التاويلات الصوفيه فاخذت بعضها من كتب الائمه المشاهير والبعض منها خال في ضميري مما فتح به المولى القدير ولكني لست جازم بانه المراد في الآيه بل خائف من ان يكون ذلك جراءة في وعدم درايه وانما شجعني على ذلك بعض علما الازهر الشريف الذين اشتهروا بسلامة الذوق وطهارة الوجدان حتى صار يشار اليهم باطراف البنان فان معنى القرآن بحرٌ عميقٌ واسع ولا يطمعُ في غوصه وجمع جميع دُرره طامع فان اصبتُ فتلكَ منةٌ من الملك المنان وان اخطئتُ فالانسان محلُ النسيان والعذر عند كرام الناس مقبول والله المستعان على ما اقول وعلى المرء ان يبذل وسعهُ فيما قصد وعلى الله المعتمد فعليك ايها المتامل الفطن ان تبادر بالانصاف في هذه المقامات فان ذلك من الدين وان تعملَ فكرتك الصائبه في ابدا وجه جميل بعد اعمال ذهنك

النقاد فى ادراك ما قيل ثم ان ظهرَ لك صوابٌ فانصف تفلح وان
ثبتَ على طبك خلافهُ فاصلح او اسمح فان لكل جواد كبوه ولكلِ
حسام نبوه وسبق القصرِ وطغيان القلمِ مشهوران والخطا والنسيان
عن هذه الامهِ مرفوعان ولو لم يكن الا ما سبق من غموم لا تعدُ
عديدها » وهموم لا تبلى طول الدهرِ جديدها لكان ذلك عذرا
كافياً وجواباً لكلِ منكر وافيا * وقد سميتُ هذا الكتاب
﴿ الفتوحات الربانيه فى تفسير ما ورد فى القرآن من الاوامرِ
والنواهى الآلهيهِ ﴾ ثم انى ارجوا ببركهِ بالنيه ان يرزقنى اللهُ زياره
بيته الحرام وتيسرنى بوضعِ الخد على عتبهِ حجرهِ نبيه المصطفى عليه
وعلى آلهِ الصلاهُ والسلام وان ينعمَ على من فضله باتمام اماني
فى تلك الاقطار الشريفه وان يسكنى بها تلكَ التربه النبويهِ المنيفه
فاقبل بفضلكَ واستجب يا سميعُ يا مجيب واسمح بجودك يا عليمُ
يا حكيمُ يا قريب *

(فصلٌ) اعلموا اخوانى رحمنى اللهُ واياكم وجعل الجنه مثواى
ومثواكم ان لكل مجتهد نصيباً وانما الاعمال بالنيات وبها
تحلُ البركاتُ وترفعُ الدرجات واللهُ الذى يعلمُ الخفيات وما
فى القلوب من الاسرار والنيات اشهد انى لم اقصد بتاليفِ هذا
الكتاب جرَّ نفع دنيوى آجل لان هذا العرضَ عرضٌ زائل
ولا يفتخرُ عاقلٌ بما ليس تحتهُ طائل وانما المقصودُ جمع المتفرقِ وضبط
ما انتشر فى تفسير بعض ما ورد فى كلام الله تعالى من الاوامر

والنواهي لنفع البشر وذلك بقدر وُسعي وجهدِ علمي وعلى حسب ما قوى عليه فهمه تعالى استعدادي وفهمي اسئلُ الله سبحانهُ وتعالى العالمَ بنيتي والمحيط بما انطوت عليهِ سريرتي ان يجعله خالصاً لوجهه ويرشدني فيه الى الصواب انهُ خيرُ مسؤول واكرمُ مأمول* وأشرع الآن فيما قصدت بعون من عليه في كل الامورِ اعتمدت مبتدئاً ذلك بتفسير سوره الفاتحه بتمامها لانها اشتملت على جميع معاني القرآن فاقولُ (بسم الله الرحمن الرحيم)

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ الحمدُ للهِ رب العالمين الرحمن الرَّحيم مالِكِ يَوم الدينِ إِيَّاكَ نَعبُدُ وإيَّاكَ نستعينُ اهدِنا الصراط المُستقيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ انعمت عليهم غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم ولا الضالين ﴾

بدا الحقُ سبحانهُ وتعالى كتابه بالبسمله الشريفه لانها احتوت على جميع الاسرارِ اللطيفهِ حتى قال بعضهم ان جميع اسرارِ العلومِ موجودهٌ فيها وهي سر اللهِ المكنونِ الذي لا يدرك بعضَ حقيقته الا الخواص العارفون ثم ان البسملهَ وما بعدها الى آخر الفاتحهِ بدا اللهُ بهما كتابه الكريم ليرشدَ عبادَهُ الى كيفيه التبرك باسمه تعالى والى هدايتهم الى طريق حمدِهِ وطلب الفضل منه والمعونه به في جميع

الافعال وعموم الاحوال التى لم يخطرها الدين ولم يخالفها عمل المسلمين واشارة منه تعالى الى ان كل عمل لم يذكر فى اوله اسمه تعالى فهو بمنزلة المعدوم لعدم حصول البركة فيه ولما كان لفظ الجلالة ممتازا عن غيره من الاسماء الالهية لانه اشتمل على ما لا يوجد فى غيره من نعوت الكمال ذكره الله تعالى فى صدر البسملة فقال (بسم الله) اى ابتدأ باسم الذات الاقدس المعبود بحق وهو (الله) الذى ليس كمثله شئ (الله) هو اسم لخالق كل شئ المتفرد فى الوجود وتوحده فى الملكوت والعز والجبروت (الله) هو اسم للمالك الملك بيده زمام الامر والنهى ليس له فى ملكه منازع ولا شريك لا مشير ولا معين (الله) هو اسم لمدبر الامور والاكوان الكائن قبل وجود الموجودات اجمعين (الله) هو المتعالى عن مشابهة الامثال المنزه عن الاغراض فى الاحكام والافعال (الله) هو اسم لمن تفرد بالعظمة والكبرياء وليس لعظمته وكبريائه بداية ولا نهاية (الله) هو اسم للشئ الاول بلا ابتداء الآخر بلا انتهاء الذى عجزت العقول عن ادراك كنه حقيقته (الله) هو اسم للشئ القديم الازلى الذى لا يؤثر فيه مرور الزمان ولا تمسه تداول الاوقات ولا تنسب الى جلاله ما شاهده من التغيرات (الله) هو اسم للشئ الظاهر الذى ليس شئ فى الوجود الا وهو قائم به واثر من آثار قدرته (الله) هو اسم للشئ الباطن الذى ليس شئ فى السموات والارض قد غاب عن عقول مخلوقاته ولم تقع تحت حواسهم الا وهو مطلع عليه

و وحدٌ له ساهرِ قدرتهِ وسعةِ علمه وعظمِ سلطانه (الله) هو اسمٌ للقادرِ الذى اوجدَ العالمَ من العدم المحض بقدرتهِ وارادته من غير قهرٍ لهُ ولا تسلط من احدٍ عليه فهو الفاعل المختارُ اولاً وآخراً وظاهراً وباطناً يفعل ما يشاءُ ولا يسئلُ عما يفعل (الله) هو اسمٌ للواحدِ المعبود الذى لا يليقُ الاشراكُ به ولا ينبغى التذلل والعبادةُ لاحد سواهُ حيثُ اقام الحجةَ على وحدانيته واقام البرهان على انَّ كلَّ ما سواهُ محتاجٌ اليه فهو الالهُ الحقُ الواجبُ الوجودِ المستحقُ لجميع المحامدِ الذى تحيرت البشرية افصحِ خلوقاتهِ عن وصف حقيقة عظمتهِ وكبريائهِ وله السلطانُ المطلقُ على كل موجود سواه ﴿ الرحمنُ ﴾ اى الذى وسعت رحمتُهُ الدنيا والآخرة المفيض للوجودِ والكمالِ على الكل بحسب ما تقتضيه الحكمةُ الازليةُ على وجه البدايةِ ﴿ الرحيمُ ﴾ اى الذى جعل تمامَ رحمته لاهل النعيم فى الآخرة فهو المفيضُ للكمال الدنيوى المخصوصِ بالنوع الانسانى بحسب النهاية

(فصلٌ) اعلم ان الاشياء التى انعم الله تعالى بها على الخلق (اربعة اقسام) الاول ما يكون نافعاً وضرورياً وهو نوعان (نوعٌ) يكون فى الدنيا لابدَّ منهُ للحيوان ولا منفعة له به فى الآخرة وهو النفس لانهُ لو انقطع عنهُ لحظة واحدة فى الدنيا لمات (ونوعٌ) يكون نافعاً فى الآخرة ولابد منهُ ايضاً للعبد فى الدنيا وهو معرفة الله تعالى لانها اذا زالت عن القلب لحظة واحدة فى الدنيا ذهب نورهُ واضمحلَّ عمله لانهُ لا يجد من بركة الله فيما خرج عن قوته وحرم ايضاً من سعادة الآخرة

واستحق الخلودَ في العذاب (القسم الثاني) ما يكون نافعاً وليس ضروريّاً كالمال والجاه في الدنيا وتحصيل العلوم والمعارف للآخرة لان المال والشرف في الدنيا ليسا ضروريين لحياة الانسان وتحصيل العلوم فيها لسعادة الآخرة (القسم الثالث) ما يكون ضارا ومعرفته ضرورية في الدنيا فقط كالآفات والعلل في الدنيا التي هي دار بلاء ومحن فان هذا القسمَ ليس له نظيرٌ في الآخرة (القسم الرابع) ما ليس نافعاً ولا ضرورياً حسب الظاهر كالفقر في الدنيا والعذاب في الآخرة وبالجملة فكلُ نعمة او نقمةٍ في الدنيا والآخرة انما تصلُ الى العبد او تدفع عنهُ برحمة الله تعالى وفضله من غير ادنى غرض ولا علة لانهُ هو الجوادُ المطلقُ والغني الذي لا يفتقرُ الى غيره ابداً فيجب على العبد انهُ لا يرجو الا رحمته ولا يخشى الا عقابه * ثم ان كلَّ العلوم مندرجةٌ في الكتبِ الاربعةِ التي هي التوراةُ والانجيلُ والزبورُ والقرآنُ فعلومُ الثلاثة الاولى مجموعةٌ في القرآنِ وسر علومُ القرآن مجموعة في الفاتحة وسر علوم الفاتحةِ مجموعةٌ في البسملة وسر علومها مجموعة في الباء ويفصلُ ذلك بعلمهُ العلماءُ العارفون بالله الراسخون في العلم وبيانه اختصاراً هو ان المقصود من كل العلوم وصولُ العبد الى الرب بالاعمال الصالحة وهذه الباء معناها الالصاقُ والاتصالُ فسرها ارشاد العبد الى انه يجب عليهِ تحصيل قربه تعالى بابلغ وجه اذا تامل ما يسرُ اليه ولا يخفى ان وصول العبد الى الرب هو غايته مطلوبه واقصى امله * فسرُ البسملة وتفهمها مختصٌ بعد اخلاص النية وقوة

الهمه وقد روى ان سيدنا موسى عليه الصلاه والسلام اشتد به وجع الجوف فشكى الى الله ما به من الالم فدله على عشب فى المغاره فأكله فعوفى باذنه تعالى ثم عاوده ذلك المرض فى وقت آخر فأكل ذلك العشب فازداد مرضه فقال يارب أكلته اولا فشفنى وأكلته ثانياً فضرنى فقال الله تعالى يا موسى لانك فى المره الاولى ذهبت منى الى العشب فحصل فيه الشفا وفى المره الثانيه ذهبت بامرك الى العشب فازداد المرض بك اما علمت ان الدنيا كلها سم وترياقها اسمى# انتهى وقيل ان رابعه العدويه(١) باتت ليلة فى التهجد والصلاه فلما جاء الصبح نامت فدخل السارق دارها واخذ ثيابها وقصد الباب ولم يهتد اليه فوضعها فوجد الباب وفعل ذلك ثلاث مرات فنودى من زاويه البيت ضع القماش واخرج فان نام الحبيب فالسلطان يقظان فرمى القماش من يده واهتدى الى الباب وخرج والمراد ان رابعه رضى الله عنها لما اشتغلت بذكراسمه تعالى كان حافظاً لها فى اليقظه والنوم وكان بعض العارفين يرعى غنماً بحضرى غنمه الذئب مراراً ولم يضرها فمر عليه رجل وناداه متى اصطلح الغنم والذئب فقال له الراعى من حين اصطلحنا مع الله واشتغلنا بذكر اسمه قلباً وروحاً(وروى ان فرعون) قبل طغيانه امر ان يكتب على بابه الخارج بسم الله الرحمن الرحيم فلما طغى بادعائه الالوهيه ارسل الله اليه موسى ودعاه الى طريق الحق فلم يوثر فيه الرشد فقال موسى الهى كم ادعوه ولا

---

(١) كانت من مشاهير العباد الصالحات فى صدر الاسلام

ا رى به حيراً فقال تعالى لعلك يريد اهلاكه وانا لا اريده الآن
لانك تنظر الى كفره وانا انظر الى ما كتبهُ على بابه فدل هذا الاثرُ
على ان من كتب هذه الكلمةَ على بابه الخارج صار آمناً من الهلاك
وان كان كافراً فالذى كتبها على صحائفِ قلبهِ من اول عمره الى آخره
كيف يكون حاله وقد جرت عادة الملوك انهم اذا اشتروا شيئاً
من الدواب او المتاع وضعوا عليهِ علامةَ الملك مخافة ان يطمع فيه
العدوُ فالله تعالى يقول يا عبدى انه لم يكن لك عدوٌ الاَّ الشيطانُ
فاذا شرعتَ في اى عمل وطاعة فاجعل عليها علامتى وهى ان
تقول بسم الله الرحمن الرحيم فاجعل ايها العبد هذه الكلمة
شعارك حتى لا تعدَ عنهُ فى احوالكَ فان سيدنا نوحاً عليه وعلى نبينا
الصلاةُ والسلام لما ركبَ السفينةَ قال بسم الله مجريها ومرساها فنجا
من الغرقِ بنصف هذه الكلمة فما ظنك بمن واظبَ على الكلمة
بتمامها طول عمره كيف يبقى محروماً عن النجاة وقد روى ان سيدنا
عيسى عليه السلام مر بقبر فراى ملائكةَ العذاب يعذبون ميتاً
فلما انصرف من حاجته مرَّ بالقبر ثانياً فراى ملائكة الرحمة عند قبره
ومعهم اطباقٌ من نور فتعجب من ذلك ودعا ربه ان يكشف له
حقيقةَ الامر فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى ان هذا العبد كان عاصياً
وكان قد ترك امراة حبلى بهُ فولدت ولداً وربتهُ حتى كبرَ فسلمتهُ
الى المكتب فلقنه المعلم البسملة فاستحيتُ من عبدى ان اعذبهُ بنارى
فى بطن الارض وولدهُ يذكر اسمى على ظهرها انتهى وروى

عن ابى هر ره رصى الله عنهُ ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال
له يا ابا هر ىره ادا توصاتَ فقل سم الله الرحمن الرحيم فان حفطتك
لا يسىر يحون ان يكىوا لكَ الحسناتِ حتى تفرغ واذا عشيتَ
اهلكَ فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفطتكَ يكسونَ لكَ
الحسنات حتى تغتسل من الجنابهِ فان حصل من تلك الواقعهِ ولدٌ
كتبَ لكَ من الحسناتِ بعددِ نفس ذاكَ الولدِ وبعددِ انفاس
اعقابهِ ان كان لهُ عقبٌ حتى لا سىى منهم احدٌ يا ابا هر ىره اذا
ركبتَ دابه فقل بسم الله والحمد لله كتب لكَ الحسنات بعددِ
كل خطوه واذا ركبتَ سفينه فقل بسم الله والحمد لله تكتب لكَ
الحسنات حتى تخرج منها انتهى وروى ايضاً عن انس رضى الله
عنهُ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سترُ ما بينَ اعين الجنِ
وعوراتِ بنى آدمَ اذا رعوا ثيابهم ان يقولوا بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ
فاذا صار هذا الاسم حجاباً بينك وبين اعدائك من الجن فى الدنيا
فلا بد ان يصير حجاباً بينك وبين زبانيه جهنم فى الآخره وقال
بعض العارفين مشيراً الى ما تقدم (شعراً)

كانت لنفسىَ اهواءُ مفرقهُ
فاستجمعت اذ رأتكَ النفسُ اهوائى
فصارَ يحسدنى من كنتُ احسدهُ
وصرتُ مولىَ الورى مذ صرتَ مولائى

ركبُ للناسِ دناهم ودنهمُ
سعلاً ندكركَ نادنىِ ودنانىِ

ثم قال تعالى ﴿ الحمد ﴾ اى الثنا بالجمل على جميع النعم مستحقٌ ﴿ لله ﴾
اى للذاتِ الواجبِ الوجودِ المختص بجميع المحامدِ ﴿ رب العالمينَ ﴾
اى مربى ما سواهُ من الثقلينِ وغيرهما بتدبيرهِ وحكمه فهو تعالى
المدبر والمصلح لكل موجود وتربيتهُ للخلق بحسب تقلباتهم من حاله
الى حاله وتظهر معرفهُ ذلك فى تربيه الآدمى بحسب اختلاف
احوالهم فتربيتهُ تعالى للصغيرِ تكونُ بالارضاعِ سنين ثم يلهمهُ ان
يتناولَ الطعامَ شيئاً فشيئاً الى ان يقدرَ على الأكل وحده وتربيتهُ
للكبيرِ تكونُ بزيادهِ العقلِ واتساع الفهم حتى يدركَ دقائقَ الامورِ
باللطافهِ وتربيتهُ للعارفين تكونُ بحسب ترقيهم فى درجاتِ
القربِ الى ذاتهِ المقدسه ثم انهُ يربيكَ ايها العبد كانه ليس له
عبدٌ سواكَ وانت تخدمهُ كان لكَ اربابا غيرهُ وهو اللهُ الواحد
الاحدُ الصمد فيا ايها الانسان حاشَ لعباده الربِ فلا
تهدم جميلكَ بمعصيته الم تذكر نعمهُ عليكَ وفيضَ احسانهِ اليكَ
فاللائق بكَ ان تشكرهُ على حسنِ نعمه فانهُ تعالى قد وعد
الشاكرينَ بزيادهِ النعمه ويحبُ الملحينَ فى الدعا ويزيد فى خلقه
كيف يشاء يكفى علمهُ بالعباد عن سؤالهم ويغنيهم بفضلهِ ورحمتهِ
عن طلب حاجاتهم وسع كل شئ رحمه وعلماً وربى كل حى كرماً
وحلماً ﴿ الرحمنُ ﴾ الذى رحمَ عبادهُ فى الدنيا بالتوفيقِ الى الاعمالِ

الصالحة وفى الآخره بالجزاء عليها وزيادة الفضل ﴿ الرحيم ﴾ الذى يرحم عباده المؤمنين فى الآخره بشهود جماله وتوالى خطابه العالى بسر جلاله (والرحمن) المنعم بما لا يتصور صدوره من العباد (والرحيم) المنعم لما لا يقدر عليه العباد وفى الحديث القدسى (يا عبدى انا الرحمنُ لانك تُسلِمُ الى نطفه مذره فأُسلمها اليك صوره حسنه انا الرحيمُ لانك تُسلِمُ الىّ طاعه ناقصه فأُسلمُ إليك جنه خالصه) اى محلا واسعاً للنعم التامه والسعاده الابديه *

فظهر ان معنى الرحمن هو المنعم بالنعم العظيمه والرحيم هو المنعم بالنعم الدقيقه فكان الله تعالى يقول يا عبدى انما وصفتُ نفسى بهذين الاسمين معاً لانى لو اقتصرت على الرحمن لاستحييتَ منى ان تسالنى فى الامور اليسيره فوصفتُ لك نفسى بالرحمن لتطلبَ منى الامورَ العظيمهَ ووصفتُ لك نفسى بالرحيم لتطلبَ منى الامورَ اليسيره حتى شراكَ نعلكَ وملحَ قدركَ وبالجمله فهو تعالى لا يخص عبده الا بالخير وكلُّ ما يصيبُ الانسانَ من محنه وبليه فهو فى الحقيقه رحمهُ منهُ تعالى ونعمهٌ كما قال تعالى

(وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَهُوَ خَيرٌ لَكُم وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُم وَاللهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمُونَ)

وذلك لانهُ تعالى مدبرٌ حكيمٌ والحكيمُ الحقيقي هو الذي يبني الامورَ على الحقائقِ لا على الظواهرِ ومن تمام حكمته تعالى اضافةُ بالحا والرأفةِ على عبادهِ فكم من مذنب تمادى في العصيان ولم يحرمهُ من احسانه لان الحكيمَ لا يعرضُ عن الخيرِ الكثيرِ لاجل الشر القليل لانهُ يرى بحكمته انَّ تركَ الخير الكثير لاجلِ الشر القليلِ شرٌّ كثيرٌ وبالجملة فلما سمّى نفسه تعالى رحماناً ورحيما فكانهُ يقولُ الرحمةُ الواحدةُ لا تكفي لصلاح المخلوقاتِ فجعلتُ رحمتي اسدّ عثرَ ساهيه وعصيانهم مساهمةً والمساهي لا يدركُ عمر المساهي فتسعرقُ معصيتهم في بحار رحمتي ما يثبت في لوحهم مثال ذرة من الاثام وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

(إنَّ لِلّهِ مائةَ رَحمةٍ أنزل منها رَحمةً واحدةً بين الانسِ والجنّ والطير والبهائم والهوام فبها يَتعاطفُونَ ويتراحَمُونَ وأخّرَ تِسعاً وتسعين رَحمةً يرحمُ بها عبادهُ يومَ القيامة)

ولعله صلى الله عليه وسلم ذكرَ هذا الحديثَ على سبيل التفهيم والتمثيل لسعةِ رحمته تعالى والا فكرمهُ بلا غاية ورحمتهُ بلا نهاية ﴿ مالك يوم الدين ﴾ اي صاحب التصرف المطلق في الامر والنهي الكائن بطريق العدل والانصاف في يوم الجزاء وهو اليومُ الموعود المعيّنُ عنده تعالى فقط وفيه الحساب والميزان لاعمال مخلوقاته فيجازي المحسنَ فيها على احسانهِ جزاءً عشرَ امثاله والمسيء فيها على اسائته بحسبِ

ما بمقتضى الارادة الازلية وبحكم به نظام العدالة الالهية المفرقة بين المحسن والمسيء والموافق والمخالف ولا يظهر هذا الفرق الا يوم الجزا كما قال تعالى

(يومئذٍ يصدرُ النّاسُ اشتاتاً ليروا اعمالهُم فمن يَعمل مِثقَال ذرة خيرًا يَرَهُ ومن يعمل مثقالَ ذرة شرًّا يرهُ)

(فصلٌ) اعلم ان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة لانهُ غني عن العالمين فيجوزُ ان لا يواخذ العبد اذا قصر في اداء حقه تعالىٰ واما حقوقُ العبادِ فيجبُ الاحترازُ عن التاخير في اداءها فقد روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(اتدرُون مَا المفْلِسُ قَالُوا المفْلِسُ فينَا من لا درهمَ لهُ وَلا متاعَ فقال صلى الله عليه وسلم اِن المفلس من ياتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وَصيَام ويأتي وقد شتم هذا وقَذف هذا واكل مال هذا وسَفكَ دمَ هذا وضربَ هذا فيُعطي هذا من حسنَاتهِ وهذا من حسنَاتهِ وهذا من حسناته فان فنيت حسناتهُ قبل ان يقضيَ ما عليه اُخِذ من خطاياهُم فطُرِحت عليه ثُم يُطرحُ في النارِ)

فيجب على العبد المومن حتى علموا بوت مالكيته تعالى لهم ان

يسعلوالحد مه ولا يطلبوا الكسوه والطعام والانعام الا من لطفه واحسانه
فقد ورد في الحديث القدسي
(ياعبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني (١)
أطعمكم ياعبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني (٢)
أكسكم)
ثم اعلم ان الملك تعالى لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا اعطوا من
خزائنهم شيئا قل ما فيها ونفذ وهو سبحانه وتعالى كلما كثر عطاؤه
اتسع الملك ورحمة فهو اتصف بكثرة العطا والرحمه من ملوك الدنيا
صدق عليه ان يقال فيه انه ظل الله في ارضه ومن اتصف بضد ذلك
يكون سدّاً في خراب العالم وعلى كل حال فطاعة الملك ورعيته (المالك
الملك) ينشأ عنها صلاح المعاش والمعاد كما قال تعالى
(من عمل صالحاً من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنحيينه
حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)
فيجب على الناس ان يطيعوا ملوكهم ويجب على الملوك ان يطيعوا
الله الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم ولما وصف تعالى نفسه
بالملك اظهر اعتماد كمال العدل ونفي الظلم تارة فقال (وما ربك بظلام

(١) اى اطعموا الفقرا والمحتاجين من عبادى اطعمكم
(٢) أى اكسوا الفقراء والمحتاجين من عبادى اكسكم

للعسد) و سوب العدل باره ا حرى فقال (ونصع الموار س القسط لىوم القامه فلا ىطلم نفس سىئاً) فىس ىعالى ان الملك لا ىكون محموداً نافعاً حى ىكون عادلا لان بالعدل ىطىر البركه فى العالم و بالجور ىرفع عنهم كما حكى ان نوسىروان (١) حرج ىوماً الى الصىد فانقطع عن عسكره واستولى علىهِ العطش فراى ىستاناً فىه رمانٌ فدحله فوجد فىه صبياً فحرسهُ فقال له اعطى رمانه فاعطاه فلما ىاولها عصرها واحرج منها ما كىيراً فسر به واعجبه ذلك الرمان فعزم على احد البستان من مالكه ظلماً ثم قال لذلك الصبى اعطى رمانه احرى فاعطاه فوجدها اطىب من الاولى فعصرها فخرج منها ماء قلىل فسر به فوجده مرّ الطعم فقال ايها الصبى لِمَ صار الرمان هكذا فقال الصبى لعل ملك البلد عزم على الظلم فصار الرمان هكذا لسوء ظلمه فتاب نوسىروان ورجع عن الظلم ثم قال للصبى اعطى رمانه احرى فاعطاه فعصرها فوجدها اطىب من الاولى فقال للصبى لِمَ تغىرت هذه الحاله فقال لعل الملك تاب عن ظلمه فلما وجد نوسىروان مقاله الصبى مطابقه لاحوالهِ فى قلبهِ تاب بالكلىه فكان من بركه عدله ان النبى صلى الله علىه وسلم قال فى حقه(ولدت فى زمن الملك العادل) ىعنى نوسىروان المذكور انتهى ثم ان الله ىعالى قد ذكر فى هذه السوره خمسه اسماء من اسمائهِ الحسنى وهى الله الرب الرحمن الرحىم المالك فكانه ىقول ىا عبدى حلقىك اولا فانا الله ثم رىىك باصناف النعم فانا الرب ثم عصىتى

---

(١) المشهور انوسروان عند العرب

فسرت علك بانا الرحمن يم بت معرب لك فانا الرحيم احار لك
ما عملت دانا الك وم الدس لمعى كونه تعالى الكا ا ه فادر على
وحود الحرادث عد سد ا وادر ايضاً على نقاما ن هده الحاله الى
حاله احرى كما سا ن عد اع لا مارح وقادر على القصا
بالحكمه والعداله سر المالك الحق و الك يوم الدس ايضاً لان المقدر
على احيا الحلق بعد ا اسم را ا ملك الاحرا المفروه ل امامهم
لايحص ه احد سره را اكان الحسر والسور لا يات الا بعلم
تعالى بحمع المعلومات ر مدره معد ل كل الحارات ملا الك اسو
الدس الا الله رلما ن عال لعباد ا ه رب ورحمن ورحيم و الك
لهم د ى الد دا سم كمال قدرته وحلالهِ اهر عظامه وبهابه فعا را
ان العباده مخصصه به وان المعر ه لا ملك الا مه وا روا ردا ء ه
وانه لاحول ولا قوه لاحد الا به فلما عا تعالى سم هدا المعنى
والصدق ارلا ارسدهم الى ان يخاطبوه بقولهم ﴿ اياك نعبد ﴾ اى
نخصك بالعباده والمعرفه لانك المعبود المطلق ولا تليق العباده الا لك
واستحقاق هدا الاختصاص لله تعالى ظاهرٌ لان العباده عباره عن
نهاية التعظيم والتعظيم لا ياب الا لمن صدر منهُ غاية الانعام ولا يصدر
مه ذلك الا الله تعالى و بيان ذلك ان العبد له احوال ثلاثه حاله ى
الماضى وحاله ى الحاضر وحاله فى المستقبل اما حالهالعبد فى الماضى
فانه كان معدوماً فاوجده كما قال تعالى (وقد خلقتك من قبل ولم تك
شيا) وكان جاهلا فعلمهُ كما قال تعالى (والله اخرجكم من بطون

ا مهاتكم لا تعلمون شيئاً) ثم وهب له السمع والبصر والعقل كما قال تعالى
(وجعل لكم السمع والابصار والافئده) فلما كانت هذه النعم العظيمه
لا تصدر الا منهُ وجب ان يكون هو الاله المختص بالعباده واما حاله العبد
فى الحاضر فانه مفتقرٌ ومحتاجٌ الى الله تعالى من اول عمره الى آخره مع
كثرة معاصيه وقلة طاعته واذا كان العبد محتاجاً اليه طول حياته
وهو تعالى لا يرد له حاجة فوجب ان يكون هو الرب الرحمن الرحيم
المخصوص بالعباده واما حاله العبد فى المستقبل فانه محتاجٌ اليه تعالى
فى اموره المتعلقه بما بعد الموت لانه تعالى مالك يوم الدين فلا مفزع
اى فلا لجا للعبد فى شئ من تلك الامور الا اليه فوجب انه لا يستحق
عباده العبد الا هو سبحانه وتعالى لانهُ ثبت بالدلائل القطعيه وجوب
كونه تعالى عالماً قادراً جواداً غنياً حكيماً الى غير ذلك من الصفات
الكماليه انما يكون غيره تعالى من الملكات والطبائع متصفاً ببعض
هذه الصفات فيه مشكوك فيه بل نجزم بان هذه الاشيا لا تاثير
لها بالكليه فحينئذ يجب طرح المشكوك فيه والاخذ باليقين وهو ان
التاثير ليس الا لمن ثبت له هذه الصفات ثبوتاً محققاً وهو الله تعالى
فلا معبود بحق الا هو خلافاً لكثير من الجهله الذين سلكوا طريق
الكفر وضلوا عن طريق الهدى فانهم يزعمون ان بعض الاشيا توثر
بطبعها وان الافلاك لها تاثير ايضاً وذلك باطلٌ لما بين الى فى احوال
الانسان الثلاثه ولما كان الله تعالى اشرف الموجودات واعلاها واخصها
بالصفات الكماليه وجب العبوديه له الى راجح لانهُ الغنى المطلق كل

ما سواه حادثٌ فقيرٌ والفقير مشغولٌ بحاجه نفسه فلا يمكنهُ دفع حاجه لغيره فثبت ان دافع الحاجات هو الله تعالى فلا يستحق العباده الا هو ثم ان من عرف فوائد العباده سهل له الاشتغال بها وثقل عليهِ الاشتغال بغيرها لان كل انسان يحب الكمال واكمل احوال العبد اشتغاله بخدمه مالكهِ لان قلبه يستنير بنوره و يفيض عليه من بها جماله ولهذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (من كثرت صلاتهُ بالليل حسن وجههُ بالنهار) ولان التكاليف الشرعيه امانه واذا الامانه واجب عقلاً وشرعاً قال تعالى (ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها) اذا ادى العبد امانه ربه فقد استحق منهُ العنايه وشمول النظر بالاحسان فى كل لحظه وقد قال بعض الصحابه انهُ اتى اعرابى باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينه والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا من عبادته فلما خرج لم يجد ناقتهُ فقال الهى اديتُ امانتكَ فاينَ امانتى قال الراوى فزدنا تعجباً فلم يمكث الا قليلاً حتى جاء رجلٌ راكباً على الناقه و يدهُ مقطوعهً فسلم الناقه اليه وقال صلى الله عليهِ وسلم لابن عباس رضى الله عنهما بالسلام (احفظ الله فى الخلوات يحفظك فى الفلوات) و بالجمله فالاشتغال بالعباده انتقالٌ من عالم الغرور الى دوام السرور وركونٌ من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذه والبهجه ومن استعد ما قلناه فليقرا قوله تعالى (فلما رَاينهُ اكبرنهُ وَقطعنَ ايديهن)حكايهً عن حال النسوه اللاتى راين سيدنا يوسف الصديق وقطعن ايديهن من غيرشعورٍ دهشه بجماله

واذا كان هذا التأثير لجمال البشر فكيف يكون جمال الله تعالى وعظمته اذا تجلى به على قلب الموحد العابد وقد يحدث للانسان الدهشة والحيرة عند رؤية بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لها ثلاث درجات (الاولى) ان يعبد العبد ربه رغبة في ثوابه وخوفاً من عقابه ويعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعاً في الآخرة التي هي اشرف منها وادوم وهذه درجة نازلة ضعيفة عند المحققين (الثانية) ان يعبد العبد ربه تشرفاً بخدمته وبقبول تكاليفه او بالانتساب اليه بالعبودية وهذه درجة متوسطة عندهم وتسمى درجة العبودية (الثالثة) ان يعبد العبد ربه لكونه الهاً عزيزاً ولكونه عبداً له خاضعاً ذليلاً لان الالوهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه اعلى الدرجات وتسمى بكمال العبودية واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانهُ لو قال اصلي لثواب الله او هرباً من عقابه فسدت صلاتهُ (وحكي) ان عابداً من بني اسرائيل اعتزل وعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل الله تعالى اليه ملكاً فقال له ان عبادتك غير مقبولة فلا تتعب نفسك فقال له العابد ان الذي يجب عليَّ له تعالى هو العبودية فقط واني لا ازال افعل ما علي واما القبول وعدم القبول فامرهما مفوض الى المعبود فرجع الملك فقال الله تعالى له ماذا قال العابد فقال الملك يا ربي انت اعلم بانه قال كذا وكذا فقال الله تعالى للملك ارجع اليه وقل له ان ربك يقول قبلنا طاعتك بسبب ثباتك والتحقيق ان العبودية هي نهاية مجهود العابد ونهاية طاقة

انصار العارفين وان في العاده انسراح صدور المومنين وانها عاقبه حال المنمس ولما كانت العوديه اسرف المقامات مدح الله تعالى نها نبيه في مواضع كثيره من القرآن كقوله تعالى (سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً) قال بعض الائمه ان العوديه اسرف من الرساله لان بها ينصرف العبد من الخلق الى الحق وبالرساله ينصرف من الحق الى الخلق وبالعوديه يعزل عن التصرفات وبالرساله يقبل على التصرفات ثم ان كل الخلائق يطلبون طريق الحق وهم متساوون في القدره والفعل والاجتهاد والطلب ولكن لا يمور سلوكها الا بعضهم ولا يكون ذلك المور الا باعانه الحق تعالى وايضاً قد يطلب الانسان حاجه من غيره فيحاوله في قضائها مده طويله ثم يقضيها له فالقا داعيه قضائها في قلبه لا يكون الا من الله تعالى فثبت انه لا تحول عن معصيه الله الا بعصمه الله بمعنى الحفظ ولا قوه على طاعه الله الا بتوفيق الله فلهذا علمنا الله ذلك وارشدنا الى ان نخاطبهُ بقولنا ﴿ واياك نستعين ﴾ اى نخصك بالاستعانه فلا نستعين الا بك في جميع امورنا لان من نزل لا يمكنهُ اغاثتنا الا اذا اغثتهُ فنحن نقطع الواسطه ولا ننظر الا الى اغاثتك وههنا مقامات (الاول) معرفه الربوبيه وكمالها مذكور في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لان انتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على انه تعالى اله وحصول الفوائد والنعم للعبد يدل على انه تعالى ربٌ ورحمنٌ ورحيمٌ وثبوت احوال معاده يدل على انه مالك يوم الدين (والثانى) معرفه العوديه

فمدوها احصاصها به عـالى ودل عليه اياك نعبد وكمالهـا احصاص الاسعانه به تعالى فى جمع المطالب ودل عليه واياك نسعين فاذاجمع العبـد بين هاتين المقامين حصـل له الربط المذكور فى قوله تعالى

(واوفوا بعهدى أوف بعهدكم)

واذا تم له الوفا بالعهدين ترتب عليه الثمره المحمه والهدايه المسرفه التى ذكرها الله تعالى فى قوله ﴿اهدنا﴾ اى نطلب منك يا الله ان تهدينا ﴿الصراط﴾ اى الطريق ﴿المستقيم﴾ اى المستوى الذى لا اعوجاج فيه وهو سنه الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم من الاعراض عما سوى الله تعالى والاقبال بالقلب والفكر والذكر عليه تعالى حتى لو امر من اهتدى الى هذه الطريق بذبح ولده اسرع بالطاعه والا مثال كالخليل حين امره الله بذبح ولده فلو امر بان يذبح لكان مسرعاً بالطاعه كولد الخليل ولو امر بالقا نفسه فى البحر امتثل ايضاً كسيدنا يونس عليه السلام ولو امر بان يكون تلميذاً لمن هو اعلم منه بعد بلوغه اعلى المناصب لامتثل ايضاً كسيدنا موسى مع الخضر وهذا احد الاقوال فى الصراط المستقيم ويدل على صحته قوله تعالى ﴿صراط﴾ اى طريق ﴿الذين انعمت﴾ وتفضلت بهدايتك وتوفيقك العمدانيه ﴿عليهم﴾ من الانبيا والاوليا والاتقيا واعلم ان كل ما وصل الى الخلق من جلب نفع اودفع ضر فهو من الله تعالى كما قال (وما بكم من نعمه فمن الله) فكل ما وصل الى العبد من جهه غير الله فهو بالحقيقه لانه تعالى الخالق لكل شئ من نعمه اوغيرها

وكل نعمه حصلت لنا نطاعتنا فهي ايضاً من الله تعالى لانها ما حصلت لنا الا بتوفيقه واعانته فهو الذى هيا لنا اسباب الطاعه وازال الاسباب المانعه منها واول نعمه انعم الله تعالى بها على عبده نعمه الحياه التي بسببها يمكنهم ان ينتفعوا بالمنافع ويحترزوا عن المضار وقوله تعالى انعمت عليهم يشمل كل عبد انعم الله تعالى عليه بنعمه دينيه او دنيويه ولكن المخصوصون بهذا القول هم الذين انعم الله عليهم فى الدنيا والآخره من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين واما الذين انعم الله عليهم فى الدنيا فقط فقد اخرجهم بقوله ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ وهم المائلون فى كل خلق او اعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود ﴿ولا الضالين ﴾ وهم المائلون فى كل خلق او اعتقاد الى طرف الافراط وهم النصارى وانما خص الله تعالى الاولين بالغضب عليهم لانهم لما فرطوا فيما يوصلهم الى السعاده ابعدهم الله عنها وطردهم عن باب رحمته فى الآخره ويلزم من البعد والطرد حصول الغضب لان اليهود فرطوا فى حق سيدنا موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاه والسلام فلم يطيعوه بل تعرضوا له بالاذى حتى انهم قالوا بعد ان نجاهم الله من فرعون عدوهم يا موسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهةٌ وقالوا ايضاً يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره واما النصارى فانهم وصلوا الى طريق الهدايه الا انهم تجاوزوا حد الاعتدال فبها فضلوا عن المقصود وكان حظهم الحرمان فتبين لك ان اليهود فرطوا لما وقع منهم فى شان نبى الله موسى والنصارى افرطوا لانهم قالوا المسيح ابن الله

وقالوا ايضاً ان الله ثالث ثلاثه هذا شان الفريقين واما المومنون فطلبوا الطريق المتوسط بين الافراط والتفريط وذلك انهم اعتقدوا ان الله واحد لا شريك له وان محمداً وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء رسلٌ له وآمنوا برسالتهم جميعاً وهذا من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم كما قال تعالى (وكذلك جعلنا كم امةً وسطاً) وقال تعالى (كنتم خير امه اخرجت للناس) وخير الامور اوسطها *

﴿فصلٌ﴾ اعلم ان من تامل فيما قلناه في شان سوره الفاتحه عرف انها جامعه لكل ما يحتاج اليه الانسان في دينه من معرفه المبدا والوسط والمعاد فقوله تعالى ﴿الحمد لله﴾ يشير الى اثبات الاله الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والثنا والتعظيم وقوله ﴿رب العالمين﴾ يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملك له وانه ليس في عالم الوجود اله سواه وقوله ﴿الرحمن الرحيم﴾ يدل على ان ذلك الاله هو المفيض لجميع النعم والمحسن على كل مخلوق بجزيل الفضل والكرم فلا يستحق الحمد والثنا بكمال التعظيم الا هذا المنعم المنان الكريم الذي يشمل احسانه ما قبل الموت وعنده وبعده وقوله ﴿مالك يوم الدين﴾ يدل على ان ذلك الاله من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوماً آخر يظهر فيه تمييز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم والى هنا تمت معرفه الربوبيه وهو المبدا وقوله ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ يشير الى الامور التي لا بد من معرفتها في تصحيح العبوديه « وهي نوعان » احدهما الاعمال ولها ركنان الركن الاولُ الاتيان بالعباده

على الوجه اللائق والركن الثاني ان يعتقد العبد انه لا يمكنهُ القيام بها الا باعانه الله وبائي النوعين الآثار المفرعه على الاعمال وهي حصول الهدايه والتحلي بالاخلاق المحموده المستقيمه المتوسطه بين الافراط والتفريط كما يرشد الى ذلك قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ وقوله ﴿ صراط الذين انعمت عليهم ﴾ يشير الى ان الاستضاءه بانوار ارباب الكمال حصلة محموده وسنه مرضيه بين القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم وقوله ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ يشير الى ان التباعد عن صحبه اهل البدع والاهوا واجب لانها تورث التخلق باخلاقهم والتمسك بطريقتهم (والله احسن قائل) *

(عن المرء لا تسال وسل عن قرينه) * (فكل قرين بالمقارن يقتدى)

واساس شر هولاء الاشخاص هو الشيطان واصل المداخل التي يأتي الشيطان للانسان من جهتها ثلاثه وهي (الشهوه والغضب والهوى) فالشهوه آفه بهيمه لكن الغضب اعظم منها والغضب آفة سبعيه لكن الهوى اعظم منهُ لانه آفه شيطانيه ارضيه فباتباع الشهوه يصير الانسان ظالماً لنفسهِ وبالتمادي مع الغضب يصير الانسان ظالماً لغيره وبالميل الى الهوى يصير الانسان غرضاً عنهُ ربه *

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(الظُّلمُ ثلاثةٌ فظلمٌ لا يُغفرُ وظلمٌ لاَ يُترَكُ وظلمٌ عسى اللهُ

ان يترُكهُ فَالظُّلمُ الَّذى لا يغفرُ هوَ الشركُ بالله والظُّلمُ الَّذِي لاَ يترُكُ هُو ظلمُ العباد بعضهِم بعضا والظُّلمُ الذي عَسى اللهُ ان يترُكه هوَ ظلمُ الإنسَان نفسَهُ)

فمنشا الظلم الذى لا يغفر هو الهوى ومنشا الظلم الذى لا يترك هو الغضب ومنشا الظلم الذى عسى الله ان يتركه هو الشهوه فالشهو يتولد عنها الحرص والبخل والغضب يتولد عنهُ العجب والكبر والهوى يتولد عنهُ الكفر والبدع فاذا اجتمعت هذه الخصال الست فى الانسان تولد عنها خصله سابعه وهى الحسد وهى نهايه الاخلاق الذميمه كما ان الشيطان هو نهايه الشر فى الاشخاص المذمومه ولهذا السبب ختم الله جامع الشرور الانسانيه بالحسد فى قوله (ومن شر حاسد اذا حسد) كما ختم تعالى مجامع الخبائث الشيطانيه بالوسوسه فى قوله (يوسوس فى صدور الناس من الجنه والناس) فليس فى الانسان شئ شر من الحسد كما انه ليس فى الشيطان شر من الوسواس وقد روى ان ابليس اتى باب فرعون وقرعه فقال فرعون من هذا فقال ابليس لو كنت الها ما جهلتنى فلما دخل قال له فرعون اتعرف فى الارض شرا منى ومنك قال نعم ان الحاسد شر منا وبالحسد لآدم وقعت فيما وقعت من هذه المحنه اه

اذا عرفت هذا فنقول ان الله تعالى جعل لكل داء دواء فجعل الاسماء الثلاثه التى فى البسمله دافعه للاخلاق الثلاثه الاصليه وهى الشهوه

والعصب والهوى وحعل الآيات السبع التى هى الفاتحه دافعه للاخلاق السبعه المتولده عن الثلاثه وبيان ذلك ان من عرف الله وعرف انه لا اله الا هو باعدعنهُ الشيطان والهوى لان الهوى الهٌ يعبد سوى الله تعالى كما قال عزّ وجل (افرايت من اتخذ الههُ هواه) وقال تعالى ايضاً لسيدنا موسى عليهِ الصلاه والسلام يا موسى (خالف هواك فانى ما خلقت احداً نازعنى فى ملكى الا الهوى)
ومن عرف انه تعالى الرحمن لم يغضب لان منشا الغضب طلب الرفعه والرفعه لا تكون الا للرحمن كما قال تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن) ومن عرف انه الرحيم وجب عليه ان يتشبه بالاله فى كونه رحيما واذا صار العبد رحيما زالت عنهُ الشهوه فلم يظلم نفسه ولم يلوثها بالافعال البهيمه كما ان الله سبحانهُ وتعالى وصف نبيه بصفه الرحيم بقولهُ تعالى (بالمومنين رؤفاً رحيما) ومن قال (١) الحمد لله فقد شكر الله تعالى واكتفى بالحاصل لهُ فزالت شهوتهُ ومن عرف انهُ (رب العالمين) اندفعت عنهُ آفه الشهوه ولذاتها وزال حرصهُ فيما لم يجد وبخله فيما وجدَ وعرف انهُ (الرحمن الرحيم) ومن قال (مالك يوم الدين) زال غضبهُ ومن قال (اياك نعبد) زال كبره ومن قال (واياك نستعين) زال عجبه واندفعت عنهُ آفه الغضب بولديها وهما الكبر والعجب ومن قال (اهدنا الصراط المستقيم) اندفع عنهُ شيطان

---

(١) أى اعتقد اعتقادا قلبيا معنى ذلك وتامل فيه وعمل بموجبه دائما وليس المقصود القول والنطق بدون عمل واصرار على العمل

الهوى و ن قال (صراط الذين انعمت عليهم) زال كفره و ن قال (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) اندفعت بدعتهُ فزالت عنهُ آفه الهوى بولديها وهما الكفر والبدعه واذا زالت عنهُ هذه الاخلاق السيئه اندفع عنهُ الحسد ثم جملة القرآن كالشارح والفروع عن الفاتحه وكذا جميع الاخلاق الذميمه متفرعه من تلك الاخلاق السبعه فثبت ان القرآن كله دواء لجميع الاخلاق الذميمه *

﴿فصل﴾ اعلم ان للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربيه في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربيه في معرفه المبدء ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها التربيه في معرفه المعاد ويدل عليه اسم الرحيم وبمعرفه هذه الاحوال الاربعه يقرب العبد من كل خير ويبعد عن كل شر وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه اسم (مالك يوم الدين) ثم ان العبد اذا اجتمع بهذه الاسماء الخمسه صار من اهل المشاهده فقال (اياك نعبد) لانك انت الله الخالق (واياك نستعين) لانك الرب الرزاق (اياك نعبد) لانك الرحمن (واياك نستعين) لانك الرحيم (اياك نعبد) لانك الملك (واياك نستعين) لانك المالك (اياك نعبد) لانا سننتقل من دار السرور الى دار السرور ولابد لنا من زاد وخير الزاد العباده (واياك نستعين) لان الزاد الذي نكتسبهُ بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا لان السفر طويل والزاد قليل فاعنا عليه واذا حصل الزاد باعانتك فالمسافه واسعه

وطرقها كثيرة فلا طريق الا لمن يطلب طريق السالكين فنحن نطلبها فنقول (اهدنا الصراط المستقيم) ثم انه لا بد لمن يسلك الطريق الطويل من رفيق ودليل وهو صراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين فالانبياء ادلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء لان اولئك غير المغضوب عليهم ولا الضالين وذلك لان الجنة قسمان نارية وهي الدنيا بما فيها ونورانية وهي الآخرة بما فيها * اللهم ارفع عنا كل ما يحجب بينك وبيننا برحمتك يا ارحم الراحمين *

﴿ الباب الثاني في تفسير ما ورد في سورة البقرة من الاوامر ﴾

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ الم ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

اعلم ان العلم بمنزلة بحر اجرى الله تعالى منه واديا ثم اجرى من ذلك الوادي نهرا ثم اجرى من ذلك النهر جدولا ثم اجرى من الجدول ساقية فالوادي لا يسع البحر والنهر لا يسع الوادي والى هذا المعنى

اسر قوله تعالى انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها فبحر العلم واسع لا يحيط به الا الله تعالى وانما اعطى الانبيا منه اودية ثم اعطت الانبيا الى العلما انهاراً من اوديتهم ثم اعطت العلماء من انهارهم الى العامة جداول صغاراً على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة من تلك الجداول سواقى الى اهاليهم بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد فى الخبر عنه صلى الله عليه وسلم (لِلعُلَماء (١) سِرٌ وَللحُلَماء سِرٌ وَللأَنبيَاء سِرٌ وَللملائكةِ سِرٌ وَللهِ مِن بعدِ ذلك كُلهِ سرٌ فلو اطلعَ الجهالُ علىَ سرِ العُلماء لأبادُوهُم وَلَوِ اطَّلع العُلماء على سِرِ الحُلماء لنابذوهُم وَلَو اطَّلع الحُلماء عَلى سِرِ الانبياء لخالفوهم وَلوِ اطَّلعَ الانبياء على سِرِ الملائكة لاتهمُوهُم ولوِ اطَّلعَ الملائكة عَلَى سِرِ الله لطاحُوا حائرين وَبادوا بائرين)

والسبب فى ذلك ان العقول الضعيفة لا تطيق الاسرار القوية كما ان نور الشمس لا تطيقه ابصار الخفافيش ولهذا قال اكثر المحققين فى معنى ﴿ الم ﴾ وما اشبهه من فواتح السور ان فى هذه الحروف علم

(١) اى العلما العاملين بعلمهم التاركين حب المال والدنيا لان العالم الذى يوجد فى قلبه حب المال والجاه ورئاسة الحياة الدنيا لا يوجد فيه سر من هذا السر

مستورٌ رسرٌ محجوب احتص الله به وحص به حبيبهُ صلى الله عليهِ وسلم لان الخطاب الحروف المفرده سنه الاحباب فهو سر الحبيب مع الحبيب ولا يطلع عليه الرقيب سعر (ا الطف ا قول)

(بين المحبين سر ليس يفشيه * قولٌ ولا قلمٌ للخلق يحكيه)

وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انهُ قال فى كل كتاب سر وسره فى القرآن اوائل السور وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى بالمقصود ان هذه الحروف لا يعلم سرها الا الله تعالى ولم يكن ه الا لصفيه سيدنا محمد صلى الله عليهِ وسلم الذى ارسله رحمة للعالمين ليرشدهم الى ا يوصلهم الى حياته العظيم ويدعوهم الى الخلود في دار كرامته الاعلى بقرآن عربى منزل به الروح الامين ﴿ ذلك ﴾ المنزل من الله هو ﴿ الكتاب ﴾ الكامل القرآن الذى امر الله به والمنزل الجامع لكل خير فى الدنيا والآخره المتمم اسعاده الانسان الكافل لمن اتبعه ان يحيى حياه طيبه ويسعد سعاده ابديه ﴿ لا ريب ﴾ اى لا شك ﴿ فيه ﴾ انهُ من عند الله تعالى اى لا ينبغى للعاقل ان يشك فى امره حيث قام الدليل القاطعُ والبرهان الساطعُ على انهُ حق ولا يمكن احد من البشر ان يأتى بآيه منه ولا مثله وهو ﴿ هدى ﴾ اى هدايه ودلاله ﴿ للمتقين ﴾ اى الخائفين انفسهم من اتباع فى الشرور وسيئات الاعمال ا ه ولاية فالتقوى هى الخشيه والخوف من الله تعالى وهى عام شرعى كما يدعها الله تعالى فى واضع كثيره

ن القرآن مل قوله عز سانه(وبرودرا فان حير الزاد التقوى)وروى
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
(من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن
احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب
ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما
في يده)
وانما حص الله القرآن بكونه هدى للمتقين مع انه صلى الله عليه وسلم
بعث لكافة الناس لان المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصهم
الله تعالى بالذكر مدحاً لهم حيث اخلصوا له في العمل وطهروا باطنهم
من العقائد الزائغة وزينوه بالعقائد الصحيحة والاخلاق المحمودة وهم
﴿ الذين يؤمنون ﴾ اي يصدقون ﴿ بالغيب ﴾ اي بما غاب عنهم مما
جاء به الرسول كاحوال القيامة والقبر ونعيم الجنة وعذاب النار وما
شاكل ذلك من العالم الاخروى الذى لا اطلاع لنا عليه ﴿ و يقيمون
الصلاة ﴾ اى ويداومون عليها مع تعديل اركانها وحفظها من وقوع
الزيغ في فرائضها وسننها وآدابها والصلاة التى مدح الله تعالى المتقين
بها انما هي عبارة عن الافعال والاقوال المخصوصة التى افتتاحها التكبير
للتحريم واختتامها بالتسليم فرضاً كانت او نفلا ﴿ ومما ﴾ اى ومن الذى
﴿ رزقناهم ﴾ اى اعطيناهم من الارزاق ﴿ ينفقون ﴾ انفاقاً واجباً
كاخراج الزكاة التى هي شقيقة الصلاة وكالنفقة على الوالدين والاولاد

او انفاقاً مندوباً كالتوسعه على العيال و بر الاقارب والفقراء ويكون هذا الانفاق خالصاً فى طاعه الله لا للرياء ولا للسمعه ﴿ والذين يؤمنون ﴾ اى يصدقون ﴿ بما ﴾ اى بالذى ﴿ انزل اليك ﴾ بطريق الوحى وهو القرآن الكريم ﴿ وما ﴾ اى وبالذى ﴿ انزل من قبلك ﴾ من الكتب الالهيه ﴿ وبالآخره ﴾ اى وبوجود الدار الآخره ﴿ هم يوقنون ﴾ اى هم يعلمون علماً لا شك فيه وفى هذه الآيه رد على من انكر الآخره ممن سلكوا طريق الباطل وضلوا عن طريق الحق ويحسبون انهم على شئ الا انهم هم الكاذبون واستحوذ على قلوبهم الشيطان فانساهم ذكر الله وهؤلاء منهم الطبيعيون الذين استحبوا العمى على الهدى واعتقدوا اعتقاداً لو نبذه طفل لسفهت آراؤهم وسخفت عقولهم ومن العجب ان الطبيعيين فى هذا العصر لا يدرون فى الطبيعه شيئا الا اسمها فقط فالويل لهم قد ضلوا عن طريق الحق وضلوا عن كونهم جاهلين فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخره واولئك هم الخاسرون ثم لا يخفى ان من يعتقد وجود الآخره فقط لا يستحق المدح من الله تعالى بل لا بد ان يصدق بها وبما يتبعها من الحساب والميزان وادخال المؤمنين الجنه والكافرين المنكرين ادخلهم الله تعالى النار ومن الآثار المنقوله عن بعض الصالحين الابرار (يا عجباً كل العجب من الشاك فى الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشأه الأولى ثم ينكر النشاه الاخرى وعجباً

مِمَّن يُنكِرُ البعثَ والنُّشُورَ وَهُوَ كلَّ يَوم يَمُوتُ وَيَحيَى) يعني بالنطفة والنوم (وَعَجَباً مِمَّن يُؤمِنُ بالجنَّةِ وَما فيهَا مِنَ النعيمِ ثُمَّ يَسعَى لِدَارِ الغُرُورِ وَعَجَباً منَ المتكبِرِ الفخُورِ وَهو يَعلَمُ أَنَّ اوَّلَهُ نُطفةٌ مَذِرةٌ وَآخِرَهُ جيفةٌ قذِرةٌ)

(فصـل) اعلم ان التصديق بجميع الكتب السماويه واجب لان الفلاح لا يتم الا بذلك والعلم بجميع ما انزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الاصول والفروع واجب على سبيل الكفايه بمعنى انهُ لو قام بتحصيل العلم به واحدٌ في اهل بلد سقط عن الباقين منهم واما ما نزل على الانبيا المتقدمين فالعلم به واجب اجمالا لان الله تعالى لم يكلفنا التعبد به الآن فلا يلزمنا معرفتهُ مفصلا ولكن ان عرفنا شيأ منهُ مفصلا فيجب علينا الايمان بتلك التفاصيل ثم ان المراد من انزال الوحي هو ان جبريل سمع في السما كلاماً لله تعالى فنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم والقاهُ له كما سمع فان قيل كيف يسمع جبريل كلام الله تعالى مع انكم تقولون ان كلام الله ليس بحرف ولا صوت قلنا يجوز ان الله تعالى خلق لجبريل سمعاً مخصوصاً لفهم كلامه ثم اقدره على التعبير بالفاظ يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز ان الله تعالى خلق كتابة بهذا النظم المخصوص في اللوح المحفوظ فقراه جبريل فحفظه ثم قال تعالى ﴿ اولئك ﴾ اى الموصوفون بما ذكر ﴿ على هدًى ﴾ اى على هدايه ﴿ من ربهم ﴾ بحيث منحهم من عنده

وا كرمهم ا ں لد به ودلك الهدى هو اللطف والبوفق الدى بعووا
به على اعمال الحر والبرفى الى رب الفصل ويحمل ا ں يكون دلك
الهدى هو الارساد الى الدليل الموحب للساب على ا اسمدوه والدوام
على ا عملوه وعلى كل حال فالهدى ں الله بعالى كسر ولا بصره
الا بصـــر ولا بعمل به ں الناس الا اسر وكما بب الاحصاص
بالهـدى لهولا الموصو ں بما دكر بب لهـم الاحـصاص بالفلاح
فميروا عں عبرهم بهـدں الاحصاصں كما قال عالى ﴿ وا وا لك هم
المفلحون﴾ اى الفا رون بالحنه الناحون ں النار فا طر ا بها العاقل الا ب
فى الصواب كف مدح الله المنعں باحل الخصال ركف وصدهم بما
لم سله احد سرهم فالواحب لى كل عاقل ا ں احد بحكه الله تعالى
وهى انه حل سا ه حعل البواب عاا لى العمل الصالح والعقاب عاما
على العمل السى وان لا ىلىفب الى ا هو برحصور ں عوه ں
بعص المدىں ورده طاعه بعص المطعں كا ں حكمه لما افىصب
برىب السبع والرى لى الاكل والسرب لم ىكل احد لى ا بحور
ان بمع بالىسبه الى قدره تعالى ں اسباع سحص او اروائه ں عر
ساول الطعام والسراب و بو بد دلك انه

قال النبى صلى الله عليه وسلم

(يُحشَرُ النَّاسُ ومَ القيامه م بقولُ عر وَجل لهُم طالما كُنتم

يتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم الى رفعت نسباً وابيتم الا انسابكم فانت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم ابتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم فسيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون)

اللهم ربنا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت هذه السورة بذكرهم واجعلنا من اهل حزبهم انك على كل شيء قدير ☆

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون ﴾

اقبل الله تعالى فى هذه الآية الكريمة على عباده بالخطاب بدون واسطة توجهاً لهم بهم نحو التلقى للاحكام زجراً لها لما كلفهم بنقل التكليف الالهى الى العباد مرة عليهم المشقة بلذة خطابه تعالى لهم

بدون واسطه و برادادوا منهُ سهاً وساطاً فى العاده فكا نه يقول يا عبادى خاطبكم بدون الرسول زيادة فى اكرامكم واكراماً لكم بربكم فى لحصل لكم بعد الذى ستعرفونه من الادله الآية شرف المخاطبه والمكالمه ثم امرهم فيها كافة بالعبادة ونهاهم عن الاشراك به فقال ﴿ يا ايها الناس ﴾ المكلفون ممن وجدوا فى عصر الخطاب الالهى ومن سيوجد الى قيام الساعه ﴿ اعبدوا ﴾ اى وحدوا واطيعوا ﴿ ربكم ﴾ اى خالقكم مع التذلل والخضوع لهُ واجتنبوا عبادة غيره من الاوثان والاصنام وممن هو بشر مثلكم فانهُ تعالى هو ﴿ الذى خلقكم ﴾ اى اوجدكم من العدم ﴿ والذين ﴾ اى وخلق الذين كانوا ﴿ من قبلكم ﴾ من الامم السابقه وخلق اوبائكم وآلهتكم وغيرهم مما لا تعلمونه من المخلوقات ومن فعل هذا وحده فلا شك انه الاله القادر على ضركم ونفعكم فهو اولى واحق بالعباد والخضوع اليه والاخلاص لهُ بالطاعه وقد بين تعالى لكم ما ذكر ﴿ لعلكم تتقون ﴾ اى لتكونوا راجين منهُ تعالى الانتظام فى زمره المتقين الفائزين بالهدى والفلاح وهذا لا يتم الا بالانقطاع الى الله عز وجل بالكليه وترك كل ما يشغل السر عن مراقبته تعالى وهذه اقصى درجات العباده التى يجد فى الترقى اليها السالكون المخلصون فى العمل ٭

(فصلٌ) اعلم ان هذه الآية الكريمة مع كونها ناطقه بوجوب توحيده تعالى وبحتم عبادته على كافة الناس ترشد بمادة ايضاً الى ان النظر فى المصنوعات الالهيه والآيات الكونيه المنصوبه فى النفس

وفى جميع الآفاق مما يدل دلاله قطعيه على انهُ هو المستحق للتوحيد والعباده منهم ولما كانت تلك الآيات الموجوده فى انفسهم من خلقهم وخلق من قبلهم اقوى شهاده واظهر دلاله على ذلك بينها لهم فى هذه الآيه اولا ثم عقب هذا البيان بيانا ثانيا بيان قسم من نعمه العظمى على عباده وهو ما يتعلق بمعاشهم ليجدوا فى طاعته فيالوا وافر احسانه تعطفا منهُ تعالى عليهم ورحمه لهم من غير احتياجه الى شئ من عبادتهم فقال جل شانه ﴿ الذى جعل﴾ اى صير ﴿ لكم الارض فراشاً ﴾ اى موطئا وقراراً واوجد لكم فيها من المنافع مالا نعلم تفاصيلها غيره وجعلها خزينه للما النازل من السما كما اشار تعالى الى ذلك بقوله(وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون) وفجر فيها العيون والانهار العظام واودع فيها الا يحصى من الاشيا المتولده بها كالمعادن المختلفه والنباتات المختلف الوانها وانواعها و منافعها فاختلاف الوانها دلاله على وجود صانع حكيم واختلاف طعومها واختلاف روائحها دلالتان ايضاً على ذلك واختلاف منفعتها هو ان الله تعالى جعل منها قوت البشر وقوت البهائم كما قال تعالى(كلوا وارعوا انعامكم) وجعل قوت البشر من تلك النباتات منقسما الى الطعام والادام والدوا والفاكهه المتنوعه الى الحلاوه والحموضه وجعل تعالى من الارض ايضاً كسوه البشر وقسمها الى قسمين كسوه نباتيه وهى المتخذه من القطن والكتان ونحوهما وكسوه حيوانيه وهى المتخذه من الصوف والحرير ونحوهما فالمطعوم من الارض والملبوس من الارض بل والبشر من

الارض كما قال تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) وبالجملة فيها من المنافع والاسرار الكثيرة التى لا يعلمها الا الله تعالى كما اشار الى ذلك بقوله (وبحاس الا بعاون) واقل ان الارض من تلك المنافع انه تعالى جعلها سايرة لقبايح العباد بعد مماتهم ثم انظر ايها العاقل الى ما اودعه الله فيها من الاحجار المختلفة فان فى صغارها ما يصلح للزينة فيجعل فصوصاً للخواتم ومن كبارها ما يتخذ للابنية وتامل بعض البصيرة فى الحجر الذى يستخرج منه النار مع كثرته وحقارته وانظر الى الحجر الياقوت الاحمر والالماس مع قلته وعزته ومع ذلك فقد اقتضت الحكمة الالهية ان استخرج منه النار كثير المنفعة وحجر الياقوت مع شرفه قليل المنفعة فالعاقل اذا تبصر فى هذه الللطائف والعجائب علم ان هذه التدابير العجيبة مفتقرة الى صانع حكيم قادر عليم منزه عما يقول الجاحدون من الشريك والولد سبحانهُ وتعالى وقد نبه جل شانهُ على دلائل الارض ومنافعها بالفاظ لا يبلغها البلغا ويعجز عنها الفصحا فقال (وهوالذى مد الارض وجعل فيها رواسىَ وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زَوجين اثنين) ثم قال تعالى (والسما بنا) اى وجعل لكم السما سقفاً محيطاً بالارض كالقبة المضروبة وزينها بالكواكب التى سماها المصابيح فى قوله تعالى (ولقد زَينا السما الدنيا بمصابيح)وبالشمس والقمر كما قال تعالى (وجعل القمر فيهن نوراً) وقال ايضاً (وجعل الشمس سراجاً) وزينها ايضاً بالعرش الذى وصفه تعالى بقوله(رب العرش العظيم) بالكرسى المعرب فى قوله عز وجل

(وسع كرسيه السموات والارض) وباللوح الموصوف في قوله تعالى (في لوح محفوظ) وبالقلم الذي اقسم الله به في قوله (نون والقلم) فهذه الاشيا السبعة ثلاثة بها ظاهر وهي المصابيح والشمس والقمر واربعة خفية ثابتة بالآيات القرآنية والاخبار النبوية وهي العرش والكرسي واللوح والقلم * ان الله تعالى جعل السما موضعاً لعبادة الملائكة ولم يكن فيها بقعة ولا موضع قدم الا وفيها ملك ساجد او راكع وجعلها ايضاً قبلة للدعا فالايدي ترفع اليها والوجوه تتوجه نحوها وهي محل الانوار الالهية ومهبط الصفا والبركات القدسية وطهرة معصومة من وقوع الخلل والفساد وبالجملة فلو تفكر العاقل في السما وما فيها من صواب التدبير لم يشك في انها صنعة الحكيم الخبير واقرب ما يتفكر فيه لونها الذي هو اسد الالوان موافقة للبصر وتقوية له حتى ان حذاق الاطباء في الامراض الباصرة كانوا يأمرون من اصابه رمد ان يديم النظر الى زرقتها فانظر كيف جعل الله تعالى جرم السما ملوناً بهذا اللون الازرق لتنتفع به الابصار الناظرة اليها فجعل سبحانه وتعالى لونها احسن الالوان وهو المستنير وجعل شكلها ابهج الاشكال وهو المستدير وقد اشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله ﴿اولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ فاذا تأمل العاقل في هذا العالم وجده كالبيت الذي هو اعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسما مرفوعة كسقفه والارض ممدودة كبساط والنجوم منورة كالمصابيح الى غير ذلك والآدمي كالمالك ذلك البيت الذي يتصرف فيه بانواع التصرفات فسبحان الصانع هذا المالك واصاف

الحيوان مصروفه فى مصالحه وهــذا تمثيلٌ واضحٌ يدل على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية

(فصــلٌ) اعلم انهُ سبحانهُ وتعالى لما ذكر الارض والسما بين ان بينهما مناسبةوارتباطاً كارتباط الزوجين وتلك المناسبة هى انزال الما من السما على الارض والاخراج به من بطنها انواعاً من الثمار رزقاً لبنى آدم وانواعاً من النبات رزقاً لهم ولغيرهم وهذا يشبه النسل المتولد من الحيوان وانمــا بين تعالى ذلك لعباده ليتفكروا فى انفسهم وفى احوال ما فوقهم وما تحتهم ويعرفوا ان هــذه الاشيا لا تقدرُ على تكوينها وايجادها الا من كان مخالفاً لهــا فى الذات والصفات وذلك ليس الاَّ الصانع الحكيم سبحانهُ وتعالى وهــذا البيان الذى تقدم توضيحه مذكور فى قولهُ تعالى ﴿وانزل من السما﴾ اى من جهة العلو ﴿ماءً﴾ اى مطراً مسلطاً فى اوقات مقدره على حسب ما سبق به علمهُ واقتضتهُ حكمتهُ وارادته ﴿فاخرج به﴾ اى بالمــا المذكور ﴿من الثمرات﴾ اى من ثمرات زروعاتكم وغير زروعاتكم الذى تخرج من الارض وحده باذن الله تعالى وارادته ﴿رزقاً﴾ اى اقواتاً ومنافع مسوغه ﴿لكم﴾ وذلك ان الله تعالى جرت سنته بان تكون اصنافُ الثمراه وجميع النباتات التى تخرج من الارض سببه فى الظاهر عن القوه المودعه باذنه تعالى فى مجموع الارض والما وان كان المؤثر فى الحقيقه هو الله لانهُ قادر على ان يوجد جميع الاشيا بلا واسطه واسباب كما اوجد الوسائط والاسباب لكنهُ عز وجل له فى

اسا جميع الاسا بالواسطه والاسباب حكم بديعه باهره بينا لمن تامل فيها عبره وفوه بين لأولى الالباب * واذا علمت هذا فاعلم ان الله تعالى لما خلق الارض واهبط فيها آدم وعلمهُ اصناف حاجاته وحاجات ذريته من بعده فكانهُ قال يا آدم انى لم احوجك الى شئ غير هذه الارض التى جعلتها لك كالام بل اسقى منها لان الام تسقيك طعاماً واحداً «وهو اللبن» والارض تطعمك اصنافاً مختلفه من الاطعمه ثم انك مكثتَ فى بطن امك تسعه اشهر فما مسك جوع ولا عطش ثم خرجت منها ودخلت فى بطن هذه الام الكبرى التى هى الارض وسمكث فيها سنين طويله فاللائق بك ان تدخل بطن هذه الام الكبرى كما كنت فى بطن الام الصغرى لانك كنت فى بطنها مجرداً عن الصغائر بل الاوزار فضلا عن كبائرها ملازماً على الطاعه حتى دعوتك مره واحده الى الخروج الى الدنيا فخرجت اليها بالراس طاعه منك لى واليوم ادعوك سبعين مره الى الصلاه لم تجئ برجلك فانظر باعبدى كيف خلقتُ لك هذه الاشياء التى اعزها عندك الذهب والفضه وجعلتها لسمعك فى هذه الدنيا مع انها سجن لاهل المعرفه فكيف الحال فى الجنه واذا امرتم ايها الناس بعباده من هذا شانهُ من التفرد بهذه النعوت الجليله والافعال الجميله ﴿ فلا تجعلوا ﴾ اى فلا تجدوا ﴿ لله ﴾ الذى بين لكم هذه الدلائل النيره ﴿ انداداً ﴾ اى شركا فى الالوهيه ﴿ وانتم ﴾ لكمال عقولكم ﴿ تعلمون ﴾ ان هذه الاشياء التى تعبدونها لا تصح جعلها شركا لله تعالى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾

ثم انه تعالى لما ذكر الاعتبارات العامة لجميع البشر أردفها الاعتبارات الخاصة ببني إسرائيل تفضلاً منه تعالى لما فيه من البرهان على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من حيث ذكر هذا الخطاب اخباراً بالغيب وأدرج تعالى في تضاعيف ذلك ما يرشد العباد الى اسهل الاديان ومكارم الاخلاق فقال ﴿ يا بني اسرائيل ﴾ اي يا بني يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وهذا الخطاب خاص بجماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ اذكروا نعمتي التي انعمت ﴾ بها ﴿ عليكم ﴾ التفكر فيها والقيام بشكرها وانما اضاف النعمة اليه سبحانه لأجل سرعة ما ولكون ايجاب الشكر عليها حسناً فانه تعالى اذا قيد النعمة بالمفرد لان الانسان يطبع على حب النعمة فاذا نظر الى ما من الله عليه

من النعم كان ذلك حاملا له على الرضا والشكر قال بعض العارفين «عند النعم كسر وعند النقم فلتون» فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما رجع الامر الى امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ذكرهم المنعم فقال في آية اخرى من هذه السورة (اذكروني اذكركم) ثم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ واوفوا بعهدي ﴾ اي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي ﴿ اوف بعهدكم ﴾ اي ارض عنكم وادخلكم الجنة مع حسن الثواب واعلم انه تعالى عهد الى بني اسرائيل بالايمان والعمل الصالح ونصب لهم على ذلك اعظم الدلائل وارسل الرسل اليهم وانزل عليهم الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم ولا يخفى ان الوفاء بالايمان والعمل الصالح مراتبه كثيرة فاول مرتبة من العباد هو الايمان بكلمتي الشهادة بوحدانية تعالى وبانبيائه جميعاً واول مرتبة من الله تعالى حقن دماء العباد واموالهم وآخر مرتبة من العباد هو الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يكونون غافلين عن انفسهم فضلا عن غيرها وآخر مرتبة من الله تعالى هو الفوز باللقاء الدائم ثم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ واياي فارهبون ﴾ اي ان كنتم راهبين اي خائفين شيئا فارهبون اي خافوني في كل ما تأتون وما تتركون خصوصاً في نقض العهد *

(فصل) اعلم ان الخوف من الله تعالى اما ان يكون من عقابه وهو صفة اهل الظاهر وطبقتهم واما ان يكون من جلاله وهو وظيفة ارباب القلوب والخوف الاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه

ى الدىيا اسد كان حوفهُ ى الآحره اكبر و ں كان حوفهُ ى الآحر
اسدَ كان حوفهُ ى الدىيا اقل فقد روى انه ىادى ىاد يوم القيامه
﴿ وعرتى وحلالى انى لاَ احمع علىَ عىدى حوفىں وَلاَ امىں ٓں
امىى ى الدىيا حوفــهُ يومَ القيامهِ وَ ں حافىِ ى الدىيا امىهُ يوم
القيامه ﴾ ىم ان هده الآيه الكريمه متصمنة للوعد والوعيد وداله على
ان السكرَ والوفا العهدِ راحىان وعلى ان المومں يحب عليه ان
لا يحافَ الاَّ الله عر وحلَ ىم قال الله سىحانهُ وىعالى ﴿ وَآمىوا ﴾
اى وصدقوا ﴿ ىما ابرلتُ ﴾ على محمد وهو القرآنُ الدى حا ﴿ صدقاً ﴾
اى موافقاً ﴿ لما معكم ﴾ من التوراه ى القصصِ والمواعيدِ والدعوهِ
الى التوحيدِ والعدل ىىں الناس والنهىِ عں المعاصى والفواحسِ واما
ما يظهر لكم من محالفىه لها ى ىعض حرىياتِ الاحكام المتعير ىسىب
ىعىرِ الاعصار فليست بمحالفهٍ ى الحقيقهِ ىل هى موافقه لها ں حيث
ان كلا منها حقٌ ىالنسبهِ الى عصرهِ ورعايه ىىملٌ على الحكم التى
عليها ىدورُ فلكُ التسريع ىل هى ناطقه ىصحه القرآنِ الناسح لىعض
احكامها ونطقها ىصحتهِ ىكون حقاً ىىسخها فظهرَ ان سىب المحالفه ى
الاحكام المنسوحهِ انما هو احتلاف العصرِ حتى انهُ لو ىاحرَ نرولُ
التوراهِ الى رمں نرولِ القرآنِ لىرلت على وفقه ولو تقدم نرول القرآنِ
الى رمںِ نرولِ التوراهِ لكان موافقاً لها قطعاً ولدلك قال النبيُ صلى الله
عليه وسلم (لو كانَ موسى حياً لما وسعهُ الا اتباعى) ويحورُ ان يكون
معناه لاسك انهُ حصلت البساره ُ ىالقرآن وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم

ى التوراة والانجيل فكان ايمانكم بمحمد و بالقرآن تصديقاً للتوراة والانجيل وكان التكذيب بمحمد و بالقرآن تكذيباً للتوراة والانجيل وفى هذا التفسير دلالةٌ على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من جهتين الاولى ان شهادة كتب الانبيا لا تكون الاَ حقاً والثانية انهُ صلى الله عليه وسلم اخبر عن كتبهم والحال انهُ لم يكن له صلى الله عليه وسلم معرفة بذلك الامر قبل نزول الوحى عليه ثم قال الله سبحانهُ وتعالى ﴿ ولا تكونوا اولَ كافر به ﴾ اى ولا يكن كل واحد منكم اول مسارع الى الكفر به اى بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى انزلتُ عليه هذا القرآن مصدقاً لما معكم من التوراة فان اللائقَ بكم ان تكونوا اولَ من آمنَ به لانكم تعرفونَ شانهُ وحقيقته بطريق التلقى مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابنائكم وقد كنتم تستفتحونَ به وتبشرون بزمانه فلا تصنعوا وضعَ مايتوقعُ منكم ويجب عليكم مما لا يتوهمُ صدوره منكم من كونكم سارعين الى الكفر به ﴿ولا تشتروا بآياتى﴾ اى ولا تاخذوا لانفسكم بدلا عن آياتى ﴿ ثمناً قليلا ﴾ من الحظوظ الدنيوية فانها وان كانت عظيمة فى اعينكم فهى فى الحقيقة حقيرةٌ قليلة بالنسبة الى ما فاتكم من الحظوظ الاخروية بسبب ترك الايمانِ بمحمد وبما انزلَ عليه وذلك الثمن القليل هو انهم كانت لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا يخافوا عليها الفوات لو اتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان به ومن الثمن القليل ايضاً ما كان ياخذه علمائهم من الرشا فى مقابلة تحريفهم الكلمَ عن

واسعه وسسلىم لهم ا سو عا م ں السرابع ىم قال الله سبحانهُ
وىعالى ﴿واىاى فاىقون﴾ اى فخافوىى بالايمان واىباع الحق والاعراض
عں حطوط الدىىا الفانىه ولما كان الخطاب فى الآىه السابقه ىسمل
العالم والمقلدَ امر الله ىعالى فىها بالرهبه الىى هى مبدأ السلوك ولما
كان الخطاب فى الآىه الثانىه مخصصاً بالعلما امر الله ىعالى فىها
بالتقوى الىى هى النهاىه فى الوصول الى عاىه المأمول ىم قال الله سبحانه
وىعالى ﴿ولا ىلبسوا﴾ اى ولا ىخلطوا ﴿الحق﴾ المىرل من الله ﴿بالباطل﴾
الدى ىخىرعوىه من عىد انفسكم وىكىبوىه مع الحق حىى ىسىىه احدهما
الآخر ﴿وىكىموا﴾ اى ولا ىخفوا ﴿الحق﴾ عں من لم ىسمعهُ فىبىن
ان اضلالَ الغىر له طرىقان (الاول) ان المضل ان سمع الدلائل على
ىصوص الحق فىكون اضلاله ىسوىسىا ىاىه (الىاىى) ان لم ىسمعها
فىكون اضلاله ىكىمانها عنه وىمنعه عن الوصول الىها فقوله ىعالى ولا
ىلبسوا اساره الى القسم الاول وقوله وىكىموا الحق اساره الى القسم
الثاىى ىم قال الله سبحانهُ وىعالى ﴿واىىم ىعلمون﴾ اى والحال انكم
ىعلمون اى الاضلال من الحى من السرر العظىم العاىد علىكم ىوم
القىامه فان من سن سنه سىىه فعلىه وررُها ووِررُ من عملَ بها الى ىوم
القىامه وهدا النهى وان كان خاصاً باليهود لكنه عامٌ لجمىع البسر
المكلفىن فكل من علم الحق ىجب علىه اطهاره وىحرم علىه كىمانهُ
فقد ورى (ان كاىمَ العلم ملعونٌ) فالواجب على العلما ان ىعملوا
بعلمهم ولا ىكىموه عن احد بل ىسعوا بىعلىمه للىاس واصلاح احوالهم

ويحثونهم على استعمال اوامر الله تعالى والمواظبة على طاعته وان تكون نعلمهم العلم لله وتعلمهم الناس لله ودراستهم ابتغاء لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لهذا الغرض كان من الفائزين المقربين ومن اشتغل بذلك لا لهذا الغرض كان ممن خابوا وخسروا في تجارتهم وتكون الاستفادة منه بين ربه ضئيلا ويصير مماثلا لرجل غرس شجرة يحبه ثمرها ولا تنفعه ثمرها ولهذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (نعوذ بالله من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع)

(وصل) اعلم انه قد ثبت فضل العلم بشرفه بالكتاب والسنة والعقل فاما شرف فضله بالكتاب فهو كثير من ذلك ان الله تعالى فرق بين سبعة نفر في القرآن الكريم اولها قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وثانيها قوله تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب) وثالثها قوله تعالى (لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة) ورابعها وخامسها وسادسها وسابعها مذكور في قوله تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير وَلاَ الظلمات وَلاَ النور وَلاَ الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات) اذا تأملت ايها العاقل هذا التفسير وجدت كل ذلك اخذاً من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك ايضاً قوله تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم) فجعل الله تعالى العلماء في المرتبة الثالثة ثم زاد في اكرامهم فجعلهم في المرتبة الثانية بقوله (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) ومع هذا الاكرام فقد وصفهم بالايمان فقال

نعد ما مدم (نعولون آمنا به كلٌ من عند ربنا) انهى * واما سوب فصله بالسه فهو اكبر من سوب فصله بالكتاب فمن دلك فوله صلى الله عليه وسلم
(من سلكَ طريقاً يَطلُبُ فيه علماً سلَكَ اللهُ به طريقاً الى الجنّة) ووولهُ صلى الله عليه وسلم (طلبُ العلمِ فريضةٌ على كُلِ مُسلمٍ) ووله صلى الله عليه وسلم (مَن تعلَّمَ باباً من العلم ليُعلم الناس أُعطيَ ثوابَ سبعين صديقاً) وقال عيسى عليه السلام مَن علم وَعمل وعلّم فذلِكَ يُدعى عظيماً فى ملكوتِ السمواتِ * ومن دلك ايضاً قوله صلى الله عليه وسلم (رحمهُ الله على خُلفائى) فقيل يا رسُولَ اللهِ ومن خُلفائُك قال (الذين يُحيُون سنتى ويُعلمُونها عبادَ الله)
واما سوب فصله بالعقل فهو اكبر فمن دلك ما روى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه انه قال العلم افضل من المال لسبعه اوجه (الاول) العلم ميراث الانبيا والمال ميراث الفراعنه (والثانى) العلم لاينقص بالنفقه والمال ينقص (والثالث) المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه (والرابع) اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره (والخامس) المال يحصل للمومن والكافر والعلم لايحصل الا للمومن (والسادس) جميع الناس محتاجون الى العالم فى امر دينهم

ولا يحتاجون الى صاحب المال (والسابع) العلم يقوى الرجل عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه وبالجملة فضل العلم اشهر من ان يذكر وفيما ذكرناه تبصرة لاولى الالباب وتذكرة للمخلصين الاحباب انتهى قوله تعالى ﴿ واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ الخطاب فى هذه الآية لبنى اسرائيل من اليهود والنصارى فقد ذكر ان احبار اليهود والمنافقين كانوا يامرون الناس باقام الصلاة وايتاء الزكاة ولا يفعلونهما فامرهم البارى تعالى بفعلهما مع المسلمين المصدقين بمحمد وبما معه وان يخضعوا لله ولرسوله كما خضع المسلمون لهما فقال تعالى (واقيموا) اى وادوا (الصلاة) اى الصلاة المفروضة (وآتوا) اى اعطوا (الزكاة) اى صدقة اموالكم المفروضة ايضاً لاهلها (واركعوا) اى اخضعوا لله بطاعته وطاعة رسوله (مع الراكعين) اى الخاضعين لاوامرى فلا يتحقق منكم تمام الاخلاص حتى ترضوا بقضائى بعد ما شاهدتم من الادلة على صفاتى فارضى عنكم لان التوجه عند القيام بفعل الطاعة علامة على طلب ثوابى انتهى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون ﴾

ثم ان الله سبحانه وتعالى لما امرهم بالايمان واقامة الشرائع بناء على احصيهم به من النعم نبههم فى هذه الآيه الكريمه على امر آخر يحصل به الترغيب فيما تقدم وهو ان الغافل عن اعمال البر ع جهم الناس عالما سيفتضح فى العقول وذلك ان علماءهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها ولا يعملون بها ر به وينهم عن معصيه الله ويرتكبونها * وقال بعضهم كانوا يامرون من نصحوه فى السر من اقاربهم وغيرهم اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه فوبخهم الله على ذلك بطريق الاستفهام الانكارى فقال ﴿اتأمرون﴾ اى اتامرون مستكم ايها اليهود ان اروا ﴿الناس بالبر﴾ اى بالتوسع فى فعل الخير ﴿وتنسون﴾ اى وتتركون ﴿انفسكم﴾ من البر وتعملون عن حظها وتعدلون عما لها سه عمّ ﴿وانتم﴾ اى والحال انكم ﴿تتلون الكتاب﴾ الذى هو التوراة وتدرسونه وقد نطق بالوعد على فعل الخير والوعيد على فعل الفساد والعناد وعلى ترك البر ومخالفة القول للعمل ﴿افلا تعقلون﴾ اى الا تتاملون فلا تعقلون (فصل) اعلم ان العقل عند الحكماء وفلاسفة الاسلام هو نور روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وانما سمى هذا النور عقلا لانه يعقل اى يمنع صاحبه عن تعاطى القبيح ويحبسه على ناطق المحسن من الاعمال النافعة دنيا واخرى * ثم ان البر يدخل فيه جميع اصناف الخيرات ولذلك قال بعضهم البر ثلاثة انواع برّ فى عبادة الله الى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب وهذه الآيه

وارده لنو سح كل ں نعط عىره ولا سعط لسو صىعه وعدم ىاىره وداله على ان فعله فعل الجاهل بالسرع او فعل الاحمق الخالى عن العمل وذلك لان المقصود ں الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ارساد العاد الى المصالح وتحذيرهم ں المفاسد فالانسان اذا وعظ عىره ولم سعط فكانهُ انس عنده عمـل لان ارساد نفسه الى المصالح وتحذيرها ں المفاسد اهم ں ارساده لعىره * قال الساعر

يا ايُّها الرجلُ المعلمُ غـىرهُ
هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
تصفُ الدوا لذى السقام وذى الضنا
كما يصح به وانت سقيمُ
ابدأْ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنهُ فانت حكيمُ
فهناكَ يُقبلُ ان وعظت ويقتدى
بالرأى منك وينفعُ التعليمُ
لا تنه عن خلقٍ وتأتىَ مثلهُ
عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

واعلم ان الواعظ اذا وعظ عىره ولم سعط صار وعظه سبباً ى عصىه

الناس لانهم اذا راوه على هذه الحالة يقولون لولا ان هذا الواعظ طلع على ان هذه النحو بات ليس لها اصل لما ترك الاوامر وفعل المناهي فيكون وعظه داعياً لهم الى التهاون بالدين والجراءة على المعاصي * وقد ورد في حق من يعظ ولا يتعظ احاديث كثيرة فمن ذلك ما روى عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(مررتُ ليلةَ أُسريَ بي على قومٍ تُقرضُ شفاهُهُم بمقاريضَ من النارِ فقلتُ يا اخي يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاءِ خطباءُ من اهلِ الدنيا كانوا يأمُرُون الناس بالبر وينسونَ انفسهم)

فليتأمل علماء عصرنا هذا * وقال صلى الله عليه وسلم (ان في النار رجلا ينادي اهل النار بريحه) فقيل من هو يارسول الله قال (عالم لا ينفع بعلمه) وقال صلى الله عليه وسلم (مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه) وزعم بعضهم ان المراد بهذه الآية منع الفاسق عن الوعظ وليس كذلك بل المراد بها حث من يعظ الناس ولا يعمل بعلمه وتنبيهه على تركه النفس والاقبال عليها بالتكميل لتستقيم بن الاعوجاج الذي بها فتقيم غيرها

من النفوس المائلة عن الحق وإنما الفاسق فوعظه جائر بإنفاق أكثر الأئمة فقد يوجد من الفساق من يكون وعظه مؤثراً في القلوب كتأثير النار في الحطب * فقد روي أنه كان عالم من العلماء مؤثراً بوعظه قوي التصرف في القلوب بديع لفظه فكان كثيراً ما يموت من أهل مجلسه واحدٌ أو اثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ولد صالح رقيق القلب سريع الانفعال والتأثر وكانت تحفظ عليه وتمنعه من حضور مجلس هذا الواعظ فاتفق أنه حضر مجلس الواعظ ذات يوم على حين غفلة من أمه فلما سمع الواعظ تأثر في الحال ووقع ميتاً بأمر الله تعالى ثم إن العجوز لقيت الواعظ يوماً في الطريق فقالت خاطبة له

أ تهدي الأنامَ ولا تَهتدي ... ألا إنَّ ذلكَ لا ينفعُ

فيا حجرَ السنِّ حتى متى ... تسنُّ الحديدَ ولا تقطعُ

فلما سمع الواعظ كلامها شهق شهقة فخر ميتاً عليه فحملوه إلى بيته فتوفي من كدره فانظر إلى هذه العجوز كيف قتلته بوعظها وبلاغة لفظها وهذا يدل على أن ضرب الوعظ جامعه التأثير انتهى

ثم قال الله سبحانه وتعالى ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ هذه الآية راجعة إلى ما قبلها من خطاب بني اسرائيل لكن آيات القرآن الكريم إذا كانت خاصة بقوم وكانت متضمنة لأمر من الأوامر يكون عاماً لجميع المكلفين فالمعنى ﴿واستعينوا﴾ اي اطلبوا العون والمدد في أفعالكم من القادر لأنه لا قدرة لكم

اصلا على فعل من الافعال ﴿ بالصبر ﴾ اى بحبس نفوسكم على ما تكرهونه من التكاليف بعد اخلاص النية تفوزوا برضائى ﴿ والصلاة ﴾ اى بالتوجه الى خالقكم فعلها المخصوص بحضور القلب ﴿ وانها ﴾ اى الصلاة مع المراقبة ﴿ لكبيرة ﴾ اى ثقيلة شديدة ﴿ الا على الخاشعين ﴾ اى الخاضعين الذين قلوبهم الراضين بقضاء الله تعالى وقدره (تنبيه) اعلم ان امر المولى سبحانه بما ذكر فى هذه الآيات لان الطاعة لا تعد عبرة حتى يكون العبد عند فعلها منكسر القلب متحصراً الاركان متيقنا انه واقف فى صلاته بين يدى احكم الحاكمين مشغلا به و معرضاً عما سواه عالما انه تعالى مطلع على سره لا يخفى عليه من اعمال العباد خافية وان من قام الى الصلاة و اتعب جوارحه الظاهرة وقلبه متعلق فى الذهاب والرواح والاكل والشرب ونحو ذلك من الامور الدنيوية التى لا تعود فائدتها الا على تربية بدنه وتخبئة عن تحليات الانوار الالهية التى تستنير بها ذاته و تصفو من الوساوس الشيطانية والنفسانية وكذلك من صام ولم يكن غايته صومه الا الامساك عن المفطرات فقط واستدام طول يومه فى اللهو واللعب وغير ذلك من لذات الحياة الدنيا كالغيبة والوقوع فى اعراض المخلوقين فهذا المصلى والصائم لم يحصلا لانفسهما سوى التعب فى ابدانهم والحرمان من ثمرة العبادة التى هى السعادة والراحة فى الدارين * ومن تمام اعجاز البلاغة فى كلامه تعالى انه لما خاطبهم بان يذكروا نعمه التى انعم بها عليهم فيعرفون حق الوهية خاطبهم تعالى ثانياً بتحذير

عقوبته فقال ان ينزل بهم يوم القيامة فقال ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ﴾ ﴿ واتقوا ﴾ اى احذروا ﴿ يوماً ﴾ اى الحصل فى هذا اليوم من الشدائد والاهوال وهذا اليوم المذكور ﴿ لا تجزى ﴾ اى لا تغنى فيه عند تجلى المولى بصفة القهر ﴿ نفسٌ ﴾ اى ذاتٌ ﴿ عن نفس ﴾ اى عن ذات اخرى ﴿ شيئاً ﴾ اى حقا لزمها لله او لزمها لعباده لعدم القدرة لاحد سواه ﴿ ولا يقبل منها ﴾ اى لا يقبل الله من تلك النفس الاخرى ﴿ شفاعة ﴾ او معاونة ﴿ ولا يؤخذ ﴾ لازم ﴿ منها ﴾ اى من النفس ﴿ عدلٌ ﴾ اى فدية ﴿ ولاهم ﴾ اى الناس ﴿ ينصرون ﴾ اى يعاونون اى لا يحصل لهم المساعدة (تنبيه) اخبر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الشريفة ان يوم القيامة لا فدية فيه لمن استحق عقوبته من جانبه ولا له فيه شافع يشفع له ولا ناصر ينصره فكانه يقول ان هذا قد كان لكم فى الدنيا واما يوم القيامة فلا يمكنكم فعله لانه يوم يطالب فيه الناس وينقطع فيه الاغراض ارتفع منكم الاعوان والناصر وصار الحكم الى العدل الجبار الذى لا ينفع عنده شافع الا باذنه ولا ناصر ولا حكمَ لاحد سواه * انتهى قال الله تعالى ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ امر الله المؤمنين ان يشهدوا بانه وبجميع الكتب التى انزلها على رسله التى انزلت اليهم لم يفرقوا بين شئ من الكتب فى هذه الآية ولا يفرقوا بين احد منهم فقال ﴿ وقالوا ﴾ اى قال المؤمنين لليهود والنصارى الذين قالوا لكم فى الآية السابقة كونوا هوداً او نصارى

الخ ﴿آمنا﴾ اى صدقنا بالله ﴿وما﴾ اى و بالكتاب الذى ﴿انزل الينا﴾ اى وقولوا ايضاً صدقنا بالكتاب الذى انزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَ﴾ صدقنا ايضاً ﴿بما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب﴾ معطوف ﴿والاسباطِ﴾ اى الانبياء من اولاد يعقوب ﴿وما اوتى موسى وعيسى﴾ اى وصدقنا ايضاً بالتوراة التى انزلت على موسى و بالانجيل الذى انزل على عيسى و بالكتب التى انزلت على النبيين من قبلهم واقررنا ان ذلك كله حق من عند الله وان جميع انبياء الله كانوا على حق يصدق بعضهم بعضاً فى الدعاء الى توحيده تعالى والعمل بطاعته ﴿لا نفرق بين احد منهم﴾ اى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعضٍ ونتبرأ من بعض ونتبع بعضاً كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام واقرت بغيرهما من الانبياء بل نشهد لجميعهم انهم كانوا على حق وانهم مبعوثون من عند الله ﴿ونحن له﴾ اى لله ﴿مسلمون﴾ اى خاضعون له بالعبودية والطاعة انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَاَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ اِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

به المولى سارك وبعالى فى هده الآ به على انهُ كما لرم المو منين ان بلاحطوا
عىرهم فى العمو والصفح فى الآ به المتقد مه كداك بلرمهم ان بلاحطوا
انفسهم باداء الواحبات فقال بعالى ﴿ واقيموا الصلاه وآتوا الركاه ﴾ معلوم
مما بقدم ثم بعد ان خصصَ الامر بالصلاه والركاه عمم بنبهاً منهُ سبحانهُ
وبعالى على ان الثواب لايختص بالفرائض فقط بل يختص بالفرائض
من الصلاه والركاه و بعىرها من التطوعات فقال بعالى ﴿وما﴾ اى وكل
عمل ﴿ تقدموا ﴾ اى تعملون ﴿ لانفسكم ﴾ معلوم ﴿ من خير ﴾ اى من
عمل صالح فى ايام حياتكم ﴿ تجدوه ﴾ اى تجدوا ثوابه عندَ الله يوم
القيامه ﴿ ان الله بما تعملون بصير ﴾ اى لايخفى عليه من اعمالكم شى
(تنبيهٌ) بين الله سبحانهُ وتعالى فى هده الآ يه للمومنين انهم
لايفعلون اى فعل من الخير او الشر الا وهو غير خاف عليه فلذلك
وعدهم سبحانهُ وتعالى على عمل الخير بالثواب وعلى عمل الشر بالعقاب
وفى دلك امر لهم بكل خير وزجر عن كل شر و ا كلفهم سبحانهُ
وتعالى هدا التكليف الا بعد ان كلفهم بالعمل الذى يعبرون به بين الحسن
والقبح فلا يكون لهم عدرٌ اذا تركوا ما ورا به او فعلوا منهياً عنهُ *
(فصلٌ) اعلم ان الايمان الحقيقى لا يتمُ الا باستسلام النفس وانقيادها
لطاعةِ الله معَ الاحسانِ ولا شك ان هدا ادعانٌ كلىٌ بجميع القوى
الباطنه والجوارح الظاهرهِ فى جميع الاحوالِ والاوقاتِ وهو الاسلامُ
الذى امر بهِ سيدنا ابراهيم عليه الصلاه والسلام (اذ قال له ربهُ

اسا قال اسا ٮ لرب العالمىں)مں انصف ٮهدا الاسلام حلصٮ ٮفسهُ الى الله ٮعالى الا ٮكوں ٮعامله عىره ٮ حٮه عٮادٮه او رحا فلا ٮعىد عىره ولا ٮرحو سواه وٮكوں ٮ اهل الاحساں الا ى سال حٮر ٮل الىٮى صلى الله علٮه وسا عٮه ٮعال له (الاحساں اں ٮعٮدَ اللهَ كاٮكَ ٮراه فاں لم ٮكں ٮراه فاٮهُ ٮراكَ) ولا سك اں السحصَ ادا كاں عٮادٮه على هٮا ا الحه ٮاٮها لا ٮسٮدر ٮه الا عں صدں ٮٮه واحلاص طوٮه فاں وٯٯ العٮد ٮٮں ٮدى ولاه سعله عں الالٮڡاٮ الى ما سواه فلا ٮڡ ڡصده سٮا هو ٮه الا لوحه الله فلا ٮسٮدر عٮه سى ٯ ٮ السٮاٮ وا ا صدرٮ الطا اٮ والمٮاحاٮ ٮه فاٮها ٮكوں ٮصٮه ٮرٮد الحسٮاٮ ٮرٮع الدرحاٮ ٯد وىَ عں الىٮى صلى الله علٮه وسا اٮه ال

(ٮَ ٮطٮ لله حا ٮوم العٮا ه ورٮحُه اطٮ ُمں رٮح المسك ومں ٮطٮ لعٮرِ الله حا ٮوم الٯٮا ه ورٮحهُ ا ٮٮں مں الحٮٮه)

وٮٮاں دلك اں المسلٮ اں كاں ٯصده الٮعم ٮاسٮٮعا ٮ اللداٮ او الٮودد الى الٮسا كاں ٮطٮٮه ٮص ٮ واں كاں ٯصد ٮاٮا ٮ الٮسٮوٮع الرواٮح المودٮا عں عٮاد الله وٮعطٮم المسحد ٮدلك هو عٮں الطاعه وكدلك كل افعاله ٮ المٮاكح والمطاعم والمسارٮ ٮحو دلك ٮ الافعال المٮاحه سرٮاً فاں كاں افعاله ٮٮها ٯصوداً ٮه داعى الحو

نعالى فهو العمل الحق وان كان مافعله بها مصرداً به سره فحلاله حسابٌ وحرامه عذابٌ فقد روى ان رجلا من بنى اسرائيل مر بحل ب رمل فى زمن قحط فقال فى نفسه ان كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان قل لهذا العبد الصالح ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب الو كان هذا الرمل طعاماً فتصدقت به وليست النية المطلوبة ان يقول العامل للعبادات فى نفسه او بلسانه عند تدريسه او تجارته نويت ان ادرس لله او اتجرَ لله بل المراد بالنية هو انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق فى كل فعل من الافعال * فاجتهد ايها الراغب فى العمل وصير ذلك طبعه لنفسك فقد قال بعضهم (والناس فيما يعشقون مذاهب) فمنهم من يكون عمله اتباع الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يكون عمله اتباع الطمع فى الجنة وهذا فعل اكثر اهل الجنة لان هممهم قاصرة عن الطمع فيما فوقها من الكمالات واللذات المعنوية ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه مضاعف لا يعلم احصاءه الا هو سبحانهُ وتعالى وصداق ما ذكرناه ما روى فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال

(إنما الاعمالُ بالنيات وإنما لكُلِ امرئٍ ما نوى فمن كانت هجرتهُ إلَى دُنيَا يُصيبُها او إلى امرأة ينكحُها فهجرتهُ إلَى ما هاجر إليه)

اللهم اجعلنا ممن يهتدون بهدايتك ولا ينظرون الى غيرك يا اكرم الاكرمين

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾

اعلم ان قبلة اليهود الى جهة المغرب وقبلة النصارى الى جهة المشرق وقبلتنا معاشر المسلمين الى الكعبة ولما امر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى جهة الكعبة انكر عليه اليهود والنصارى وقالوا كيف يتوجه احدنا الى غير جهتي المشرق والمغرب المعروفتين فاجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله (قل لله المشرق والمغرب) اى قل يامحمد لهؤلاء اليهود والنصارى ان بلاد المشرق والمغرب والارض كلها وجميع الجهات ملك لله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وذلك الصراط الذى اخبر الله تعالى عنه فى هذه الآية الكريمة هو القبلة التى اقتضت الحكمة الالهية فى هذا الزمان توجه

الماس السا فس الله سبحانهُ وتعالى انهُ هو الفاعل لما سا كما ساء ولا اعتراض لاحد عليه كما انهُ لا اعتراض على ن تصرف ى ملكه كما ريد ثم ان افعاله تعالى لا تعال تعرض وان كانت لاتخلو عن فائد وحكمه وكثير منها لا يمكن ان تهدى عقول البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد يتصورون بحسب عقولهم لبعضها وجوهاً مناسبه اما تعيين القبله للصلاه فالحكمه فيه ان الذي يريد ان يثني على ملك عظيم فانهُ يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثنا عليه والخدمه له بجميع جوارحهِ فاستقبالُ القبله في الصلاه نزل منزله كون الشخص مستقبلا الملك بوجهه وقراتهُ نزل منزله الثنا عليه والركوع والسجود نزلان منزله الخدمه واىضاً هناك وجه آخر في حكمه تعيين القبله وهو ان الصلاه تطلب فيها تمام الخشوع وذلك لايحصل الا مع السكونِ وترك الالتفاتِ ولا ياتى هذا الامر للعبدِ الا اذا بقي في جميع صلاتهِ مستقبلا لجهه واحد معينه واذا اختص بعضُ الجهاتِ وهي الكعبه بمزيد شرف فكون استقباله اولى من غيره وايضاً هناك حكمهٌ اخرى في تعيين القبله وهو ان الله تعالى لما امرنا التوجه الى الكعبه فكانهُ يقول يا مومنُ انت عبدي والكعبه بيتي والصلاه خدمتي (١) وقلبك عرشي (٢) والجنه دار كرامتي (٣) فاستقبل وجهك الى بيتي وقلبك

---

(١) والمراد من الخدمه تعظيم الله تعالى (٢) وقلبك عرشي اى موضع تجلياتي واشراق انواري (٣) والجنه كرامتي أى موضع كرمي وانعامي

الى ابوك دار كرامى وهال حكمه احرى ادساً وهى ان الـ ود
اسه ارا رب الا نوار رالهِ الاساره بقوله بعالى (و ا كـ ب لحاب
العربى اد قصينا الى موسى الامر) والنصارى اسقلوا طلع الانوار
واله الاسار بقوله عالى (ادِ ا سدب ن اهلها كاناً سرقا)
والمومون استقلوا طر الانوار وهى كه الى وحد فيها سد ا محمد
صلى الله عليه وسلم و نهُ حلق الله حمع الانوار ا سهى فهده بعص
الوحوه المناسبه للحكمه فى بعس القلر ثم ان الى صلى الله عليه
وسلم لما طال انطاره الى تحويل القبله ن ب المقدس الى الكعبه
قال ياحبر ل وددت ان الله عالى صرفى عن قبله الـ د الى برها
فقد كرهتها فقال له حبر يل عليه السلام انا عبد مثلك سل ربك
فجعل الى صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السما راجياً حتى
حبر بل ما ساله والسبب فى محبته صلى الله عليه وسلم استقبال الكعبه
وكراهيه لاستقبال بيت المقدس هو ان اليهود كانوا يقولون ان محمدا
يخالفنا ثم انهُ يتبع قبلتنا ولولانا لم يدرِ ان يستقبل وايضاً ان الكعبه
كانت قبله ابيه ابراهيم وان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها
مفخرهم ومزارهم ومطافهم فالله سبحانهُ وتعالى اجاب سواله صلى
الله عليه سا را رل قوله الى ﴿قد نرى﴾ كثيراً ﴿تقلب وجهك﴾
اى تردد نظرك يا محمد ﴿فى﴾ جهة ﴿السما﴾ تطلعا للوحى
﴿فلنولينك﴾ اى فوالله لنعطينك ﴿قبلة ترضاها﴾ اى تحبها
وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التى اضمرتها ووافقت مشيئة الله

تعالى وحكمة سلبا ﴿ فول وجهك ﴾ اى فاصرف بدنك ﴿ سطرَ ﴾ اى جهة ﴿ المسجدِ الحرام ﴾ اى المحرم وانما وصفهُ اللهُ تعالى بالحرام لحرمةِ النزاع واهال فيه ارلمع الطاه ن التعرض له واعلم انهُ فد طهرَ لكَ من هذا التفسير ان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بجميع بدنه لا وجهه فقط وانما خص الله تعالى الوجه بالذكر فى هذه الآية لانهُ اشرف الاعضاء الانسانية وبه يتميز الاشخاص قال ابن عباس رضى الله عنهما بينما الناس بقبا (١) فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال لهم ان النبى صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه فى هذه الليلة قرآناً وقد امره الله فيه ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى جهة الشام فاستداروا الى الكعبة انتهى فحينئذ يجب على المصلى ان يستقبل عين الكعبة او جهتها سواءٌ كان قريباً او بعيداً ولما خص الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه العز رخاطب ثانياً عموم المكلفين فى جميع بقاع الارض فقال ﴿ وحيثما كنتم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ فولوا ﴾ اى حولوا ﴿ وجوهكم ﴾ اى جميع بدنكم ﴿ شطره ﴾ اى جهتهُ واعلم ان الائمة اتفقوا على انهُ لا يجب استقبال القبلة الا فى الصلاة فقط واما استقبالها فى غير الصلاة فليس بواجب وان كان فعله طاعة كالذكر وقراءة القرآن بل يكون مندوباً لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ثم قال الله سبحانهُ وتعالى ﴿ وان ﴾ احبار اليهود والنصارى ﴿ الذين

(١) قبا هو مسجد مشهور بالمدينة المنورة

ا وىوا الـكىاب ﴾ اى التوراه والانجـىل ﴿ لىعلمون انهُ ﴾ اى التوجه الى القىله هو ﴿ الحق ﴾ الذى لاسك فىه ىزل ﴿ من ربهم ﴾ وذلك انهم ىعلمون احرف ىه عاد الله ىعالى ىن ىحصص شرىعه كل ىى ىقىله ومن معرفتهم ىى كىىهم ان الرسول صلى الله علىه وسلم سىصلى الى القىلىىن وان الـكعىه هى الىىت العىىق الذى جعله الله ىعالى قىله لاىراهىم واسماعىل علىهما الصلاه والسلام واىضاً انهم كانوا ىعلمون صدق ىىوه سىدىا محمد صلى الله علىه وسلم ىالمعجزات والىشارات وان كل ما ىاىى ىه الىى صلى الله علىه وسلم فهو حق وان الىحوىل الى الـكعىه حق ﴿ وما الله ىغافل عما ىعملون ﴾ وىه وعدٌ للمؤمىىن ووعىدٌ للمعاىدىن * جعلىا الله من اهل الىقوى ووفقىا فىه العىاد والىلوى آمىن قال الله سىحانهُ وىعالى

﴿ فاذكُرُونى اذكُركم واشكُرُوا لى ولا تكفُرُون ﴾

انه سىحانهُ وىعالى كلفىا فى هذه الآىه الـكرىمه ىامرىن هما الذكر والشكر فقال ﴿ فاذكرونى ﴾ اىها العىاد ىالطاعه ﴿ اذكركم ﴾ ىالىواب ﴿ واشكروا لى ﴾ ما انعمت ىه علىكم من النعم ﴿ ولا ىكفرون ﴾ ىاىكارها وعصىان ما أمرىكم ىه *

(فصل) اعلم ان الذكر الذى امر الله ىعالى ىه فى هذه الآىه هو ان العىد ىحمده وىسىحه وىمجده وىقرا كىاىهُ العزىز ىلساىه وحضور قلىه معاً وان ىىفكر فى الدلاىل على وجود ذاىه ىعـالى وصفاىه وفى الاجوىه عن شىه الطاعىىن ىهاوى الدلاىل على كىفىه ىكالىفه واحكامه

راوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها ثم يتفكر في اسرار المخلوقات وعجائبها متاملاً من كل ذره الى وحدها ويكون الذكر بالجوارح وهو ان يكون جوارح العبد مستغرقه في الاعمال المامور بها مساعدهَ عن الاشغال المنهى عنها فذكر الله تعالى كل عمل له تعالى بالثواب واظهار الرضا واستحقاق المنزله والاكرام فيكون المعنى اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعا اذكركم بالاجابه والاحسان اذكروني في الدنيا اذكركم في الآخره اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخا اذكركم في البلا والشده اذكروني بالمجاهده اذكركم بالهدايه اذكروني بالصلاه والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني بالعبوديه اذكركم بالربوبيه اذكروني بالفنا اذكركم بالبقا * ثم ان الشكر في الحقيقه هو صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه الى ماخلق لاجله انتهى ثم قال الله سبحانهُ وتعالى

﴿ يَا ايها الذِين آمَنُوا استعِينُوا بالصَبر والصَّلاةِ اِن اللهَ معَ الصَّابرِينَ ولاَ تقُولُوا لمن يُقتلُ في سبيلِ الله اموَاتٌ بل احياءٌ ولكِن لا تشعرُون ﴾

ثم انهُ تعالى لما اوجب جميع الطاعات بقولهِ ﴿ فاذكروني اذكركم واشكرولي ﴾ وزجر عن جميع المنهيات بقوله ﴿ ولا تكفرون ﴾ ندب عباده في هذه الآيه الى الاستعانهِ على هذه الوظائف بالصبر والصلاه

فقال ﴿ يا ايها الذين آمنوا استعينوا ﴾ في كل ما تاتون وما تتركون ﴿ بالصبر ﴾ اي بقهر النفس على تحمل المشاق والمكاره في حب ذات الله تعالى ﴿ والصلاة ﴾ اي واستعينوا ايضاً بالصلاة التي هي ام العبادات ومعراج المومنين ومناجاة رب العالمين * واعلم ان العبد اذا كانت صلاته مشتملة على موجب الخشوع والتذلل لا عقود والتدبر لآيات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب جرهُ ذلك الى اداء حقوق سائر الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ﴿ ان الله مع الصابرين ﴾ اي ان الله ولي الصابرين بالنصر والتوفيق الزائد والتائيد كما قال تعالى (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) * ثم بين تعالى ان الصبر قد يودي الى الشهادة التي هي حياة ابدية فقال ﴿ ولا تقولوا ﴾ ايها المؤمنون ﴿ لمن يقتل في سبيل الله ﴾ هم ﴿ اموات بل ﴾ هم ﴿ احياء ﴾ عندهم * فكانهُ تعالى يقول يا عبادي الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على اقامة ديني وسلوك طريقي فان احتيج في ذلك الى مجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم فتلف وهلكت بسبب هذا الجهاد فلا تضيع عندي لانه فلانكم احياء عندي فقد قيل ﴿ من قتله محبتهُ فديتهُ رؤيتهُ ﴾ ثم ان اكثر المفسرين اتفقوا على ان الشهداء احياء في الدنيا فان بن الجار ان يجمع الله تعالى اجزاء الشهيد جملةً فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في مقدار الذرة واما ما نرى من جسده ميتاً فانهُ لا يحس بالحياة والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ولكن لا تشعرون) بحالهم وما يويد هذا القول ان اري

عن الحسن ان السهدا احيا عند الله نعرض ارزاقهم على ارواحهم واجسامهم فيصل اليهم النعيم والفرح كما نعرض النار على آل فرعون غدوًا وعشيًا فيصل اليهم الالم والوجع فسوب العذاب لاهل القبر يدل على حياة السهدا وايضاً ان ارباب القلوب والاحوال لم يزالوا يزورون قبور السهدا ويعظمونها وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآية نزلت فى الصحابة الذين استشهدوا بغزوة بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ﴾

ثم انه تعالى لما امر اولا بالشكر على اكمال الشرائع ثم بالصبر على التكاليف الدينية حث ثانيا فى هذه الآية الكريمة على الثبات عند نزول النوائب واشتداد المصائب وبين لهم فيها طريق الاشارة ان كل بلا اصاب الانسان وان عظم ففوقه ما هو اعظم منه من

لهم ايضاً ان رحمه الله تعالى لا تفارق عباده فى كل حال فقال ﴿ولنبلونكم﴾ اى ولنصيبنكم اصابه من يختبر احوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من اداء حقوق الطاعه وتسلمون لامر الله وحكمه جميع اموركم او تقلقون على اعمالكم وتظهرون الجزع على احد ما اودعه عندكم من الاموال والاولاد ونحوهما مع ان ثبوت يدكم عليه كثبوت يد المستعير على ما استعاره من غيره وهذا الامتحان يكون (بشىء) قليل (من الخوف) الالهى (والجوع) الذى هو صوم رمضان (ونقص من الاموال) الزكاه والصدقه (والانفس) اى نقص من انفسكم بالامراض (والثمرات) اى ونقص من ثمرات كم التى هى الاولاد بالموت

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكه اقبضتم روح ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمره قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله جل وعلا ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنه وسموه بيت الحمد)

واعلم ان الصبر من خواص الانسان ولا يتصور حصوله من البهائم

لانها نا قصة ولا تصور ايضاً في الملائكة لانهم ليسوا مشغولين بشهوة تصرفهم عن جذبة في جلبهم وتمنعهم عن الاستغراق في ملكوت حضرته واما الانسان فانهُ في حالة صباه بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذا ثم شهوة اللعب بعده ثم شهوة النكاح لكنهُ اذا بلغ الحلم حصل له مع الشهوة الباعثة على اللذات العاجلة عقلٌ يدعوه الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيصير واقعاً بين داعية العقل وداعية الشهوة وبينهما تضادية وتصور زائد فقصد العقل الآمر بالتباعد والنفور عن داعية الشهوة هو الذي يسمى صبراً * وقد مدح الله الصبر في القرآن في اثنين وسبعين موضعاً واضاف اكثر الخيرات اليه فمنها قوله تعالى

(ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)

وقال تعالى (انما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب) وكلُّ طاعةٍ لها اجرٌ مقدرٌ الا الصبرُ فان اجره غيرُ محدودٍ لا يعلمه الا الله * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقالُ لهُ اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكرَ فيقولُ نعم يارب فيقولُ تعالى لقد انعمتُ عليه فشكرَ وابتليتُك فصبرتَ لاضعفن لك الاجرَ فيُعطى اضعاف جزاء الشاكرين)

وخلاصه القول ان الله تعالى بين لعباده المؤمنين في هذه الآية السر فيه ان هذه الدنيا دار بلا ومحن وانه تعالى سيمتحنهم فيها بالمصائب وامرهم بالصبر عليها في مواضع كثيره من القرآن لئلا يعملوا بغير الصبر في البلا والمصائب ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يخص بشاره امتاروا بها على غيرهم فقال تعالى ﴿ وبشر ﴾ اى اخبر يامحمد ﴿ الصابرين ﴾ اى الحابسين انفسهم على تحمل الشدائد التي انزلها عليهم ابتلاء لهم وهم ﴿ الذين ﴾ يعلمون ان جميع ما نزل بهم من نعمه فهو من قدرته بعودتي و توحيدي بالالوهيه و يصدقون بالبعث والرجوع الى فيرضون بقضائي و يرجون ثوابي ويخافون عقابي ﴿ اذا اصابتهم ﴾ اى نزلت بهم ﴿ مصيبه ﴾ اى بليه ﴿ قالوا انا ﴾ في حالتنا ممالك ﴿ لله ﴾ خلقا و ملكا ﴿ وانا ﴾ بعد مماتنا ﴿ اليه ﴾ اى لله ﴿ راجعون ﴾ اى عائدون فـ ﴿ اولئك ﴾ الصابرون ﴿ عليهم ﴾ اى لهم ﴿ صلوات ﴾ اى مغفره ﴿ من ربهم ﴾ اى خالقهم و مالكهم ﴿ ورحمه ﴾ اى ورافه ﴿ واولئك ﴾ اى الصابرون ﴿ هم المهتدون ﴾ اى هم السالكون طريق الحق والمانون اهتدى للصواب انتهى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون * انما حرم عليكم الميتة

والدَّم ولَحم الخنزيرِ وَما أُهِلَّ به لغيرِ اللهِ فمنِ اضطُرَّ غيرَ باغٍ ولاَ عَادٍ فلا اِثم عليه اِنَّ الله غفورٌ رحيمٌ ﴾

انه سبحانه وتعالى شرع فى بيان الاحكام الشرعيه المذكور فى هذه السوره الكريمه فالحكم الاول منها اباحه الاكل للمومنين وبين لهم فى هاتين الآيتين ايضاً ان التوسع فى الاكل الحلال والاستكثار من لذيذات الاطعمه ليس ممنوعاً بقوله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ﴾اى من لذيذات ﴿ ما رزقناكم ﴾اى اعطيناكم من الرزق ﴿ واشكروا لله ﴾ تعالى الذى رزقكم بها ﴿ان كنتم اياه تعبدون ﴾ اى ان صح انكم تخلصون له بالعباده وتعرفون انهُ هو المنعم لا غيره فان الشكر راس العباده فيجب على العبد ان يشكر ربهُ على النعم ظاهراً وباطناً فشكرهُ ظاهراً هو ان يذكر العبد نعم الله تعالى ويحصرها بلسانه بقدر امكانه وشكرهُ باطناً هو ان يستعين بنعمهِ على الطاعة لا على المعصيه قال بعض العارفين فى هذا المعنى (شعراً)

اولَيتني نعماً ابوحُ بشكرها
وكفيتني كُل الأُمور بأسرها

فلاشكرنك ما حييتُ وان امُت
فلتشكرنكَ اعظُمي فى قبرِها

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى (انى وَالجنَّ

وَالانس في بناء عظيم أخلق وتعبد غيري وارزق وتشكر غيري)

(فصل) اعلم ان الاكل قد يكون واجباً وذلك عند دفع ضرر الجوع عن النفس وقد يكون مندوباً كالاكل مع الضيف لانه قد يمتنع من الاكل حياء اذا انفرد وينبسط فيه وتطيب نفسه اذا اكل مع صاحب المنزل وقد يكون مباحاً اذا كان خالياً عن هذه العوارض وقد يكون حراماً وهو ما اذا كان الاكل من الاطعمة التي ورد النهي عن اكلها *
ولما امر الله تعالى بالاكل من الحلال في الآية السابقة بين تحريمه من اشياء مخصوصة وبين ايضاً انه لا يجوز الاكل من باب الاشياء الا لدفع ضرر الجوع عند عدم وجود غيرها من الاطعمة الحلال فقال (انما حرم عليكم) ايها المؤمنون (الميتة) اي اكل الميتة والانتفاع بها والميتة هي التي خرجت روحها بغير ذكاة شرعية فيدخل فيها الحيوان الميت بغير ذكاة اصلا والميت الذي لم يذك ذكاة شرعية واذا كانت الميتة محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعاً لان تحريم ما ليس فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة * والآية تدل على حرمة جميع التصرفات في الميتة كالانتفاع بجلدها وشعرها ونحو ذلك الا ما ورد الشرع بحله من انواعها كالسمك والجراد فانه لا يحرم اكله لقوله صلى الله عليه وسلم (احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون) اي السمك (واما الدمان فالطحال والكبد) — وقال صلى الله عليه وسلم ايضاً في صفة البحر (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) وهذا الحديث يشمل جميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم تكن على صورة

السمكه المسهوره ولا فرق فيها بين الحيوان الذى يوكل نظيره فى البر كالبقر والشاه البحريين وبين مالا يوكل كخنزير الما وكلها على اصح القولين للشافعى ثم قال تعالى (ولحم الخنزير) اى وحرم عليكم اكل لحم الخنزير وقد اجمعت الامه على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما خص الله تعالى لحمه بالذكر لان اللحم معظم ما يوكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له وشعر الخنزير لاتشمله ظاهر الآيه لكن اتفق الامه على حرمته ونجاسته * قال العلما لو ان مسلماً ذبح ذبيحه وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتداً عن الاسلام وذبيحته ذبيحه مرتد لا يحل اكلها * ومن ذلك ما جرت به العاده عند العامه وهو انهم يذبحون الذبيحه ويقربون بها الى الولى الفلانى فان هذا الفعل حرام ويصيرون به مرتدين عن دين الاسلام واما اذا قصدوا بذبحهم التقرب الى الله تعالى ويهدوا ثوابها الى الولى الفلانى او الى روح والديه او احد اقاربه فانه جائزٌ * ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب من اليهود والنصارى اذا لم يذكروا عليها اسم غير الله وهى حلال بخلاف ما اذا ذكروا عليها اسم غير الله لان مالكاً والشافعى وابا حنيفه واصحابه اجمعوا على ان اهل الكتاب اذا ذبحوا على اسم المسيح او العزير وقد اهلوا بذبحهم لغير الله فيجب الاحتراز عن ذبائحهم لانها حينئذ حرامٌ لما روى عن على بن ابى طالب كرم الله وجههُ انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم

انهم يقولون وأما ان ذكروا عليها اسم الله تعالى فهي حلال بالاجماع وهذا هو المراد من قوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) واعلم ان ظاهر هذه الآية يدل على ان هذه الاشياء الاربعة التي هي الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله هي المحرمة فقط لان لفظ انما يفيد الحصر ولكنا علمنا ان الشرع قد ورد بتحريم اشياء أخر غير ما ذكر في هذه الآية فيكون كلمة (انما) متروكة العمل بظاهرها ثم ان الله تعالى قد اباح الاكل من هذه المحرمات عند الضرورة وله سببان احدهما اذا حصل الاكل جوع شديد ولم يجد ما كولا حلالا يدفع به ذلك الجوع وثانيهما اذا أكرهه احد على التناول من هذه المحرمات ولم يمكنه الخلاص منه فحينئذ يحل له تناول ما أكرهه عليه كما قال تعالى ﴿فمن اضطر﴾ اي فمن خاف من ضرورة مجاعة واحوجته الى ماحرمه الله عليكم من هذه الاشياء الاربعة او اكرهه احد على اكل شيء منها فاكلها حال كونه ﴿غير باغ﴾ اي جائر على مضطر آخر ﴿ولا عاد﴾ اي ولا جائز قدر ما يسد الجوع ﴿فلا اثم﴾ اي فلا حرج ﴿عليه﴾ في الاكل واعلم انه لا يجب الامتناع من تناول المحرمات حتى يصل المضطر الى درجة الهلاك لان الاكل حينئذ لا ينفع بل يكفي ظن المضطر انه يحصل له ضرر من عدم التناول من المحرمات فيجب عليه الاكل منها حالا ﴿ان الله﴾ تعالى ﴿غفور﴾ اي كثير المغفرة لمن فعل ذلك لعذره المذكور ﴿رحيم﴾ به حيث رخص له في ذلك ولم يضيق عليه بالنهي

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ لس البرَّ أن بولوا وُحوهكُم ول المَسرِق وَالمعرِب وَلكنَّ البرَّ من آمنَ بالله واليوم الآخر والملائكه والكتاب وَالنَّبس وآبى المَالَ على حُبه ذَوِي القُربى واليامى والمساكن وابن السبيل والسائلين وفى الرِّقاب وَأَقام الصَّلوة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء وَالضرَّاء وَحين البأسِ أُولئك الذين صدقوا وَأُولئكَ همُ المتقون ﴾

لما تحول صلى الله عليه وسلم من مكه الى المدينه كثر كلام الناس فى القبلة قال لهم المولى سبحانهُ وتعالى ﴿ ليس البر ﴾ اى الخير العظيم الذى يقربكم الى الله هو ﴿ ان تولوا ﴾ اى توجهوا ﴿ وجوهكم ﴾ معلوم ﴿ قبل ﴾ اى جهه ﴿ المشرق والمغرب ﴾ معلوم ﴿ ولكن البر ﴾ الذى يجب عليكم الهمه اليه من الخير المذكور هو بر ﴿ من آمن ﴾ اى من صدق ﴿ بالله واليوم الآخر ﴾ اى يوم القيامه ﴿ والملائكه والكتاب والنبيين ﴾ معلوم ﴿ وآتى ﴾ اى اعطى ذلك المومن بعد التصديق ﴿ المال ﴾ اى الله ﴿ على حبه ﴾ اى المال الذى يعز عليه اعطائه ﴿ ذوى

القربى ﴾ اى اهل قرابته ﴿واليتامى﴾ اى من مات آباؤهم ﴿والمساكين﴾ اى الضعفا ﴿ وابن السبيل ﴾ اى المسافر الذى يمر عليك او الضيف الفقير ﴿ والسائلين ﴾ اى الذين يسألونك لحاجتهم ﴿ وفى الرقاب ﴾ اى وفى فك الرقاب من العبودية والمراد بهم المكاتبون الذين يسعون فى فك رقابهم بتحصيل المال الذى كاتبوا عليه ساداتهم لاجل العتق ﴿ واقام الصلاة ﴾ اى الدوام على ادائها بشروطها واركانها ﴿ وآتى الزكاة ﴾ اى اعطاها كما فرضها الله عليه ﴿ والموفون ﴾ اى المتممون ﴿ بعهدهم ﴾ اى باعترافهم واقرارهم والمراد ان تكون عهودهم على نظام الصداقة والامانة ﴿ اذا عاهدوا ﴾ اى اذا اعترفوا بالاشياء المتعلقة بالعادات الالهية او بالمعاملات مع الناس الا ورد الدين ﴿ والصابرين ﴾ اى الحابسين انفسهم على طاعة الله والممسكين عما يشتهيه انفسهم من الشهوات النفسانية ﴿ فى البأساء ﴾ اى فى حالة الفقر ﴿ والضراء ﴾ وفى حالة المرض ﴿ وحين ﴾ اى وقت ﴿ البأس ﴾ اى شدة القتال فى الحرب ﴿ اولئك ﴾ الموصوفون بهذه الاوصاف هم ﴿ الذين صدقوا ﴾ اى اخلصوا فى معاملتهم مع ربهم ﴿ واولئك هم المتقون ﴾ اى الخائفون عقاب الله فحبسوا عصيانه وادوا فرائضه اه

قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ

تخفيفٌ مِن ربكُم ورَحمهٌ فمنِ اعتَدَى بعد ذَلكَ فلَهُ عذابٌ أليمٌ ﴾ *

كانت عادت الناس قبل الا سه المحمديه مختلفه فى اسيفا حق القتل فاليهود كانوا يوجبون القتل ويمنعون العفو والنصارى كانوا يوجبون العفو ويمنعون القتل واما العرب فكانوا مره يوجبون القتل ومره يوجبون العفو وياخذون الديه ولكنهم كانوا يظهرون التعدى فى كل واحد من الحكمين فكانوا لا يرضون فى قتل العبد للحر الا بحر منه من سادات العبد يعنى لا يقبلون الجنس بمثله الشريف فالمولى سبحانهُ وتعالى جعل المساوات بين خلقه فعلمهم على لسان نبيه كيفيه القصاص فقال ﴿ يا ايها الذين آمنوا ﴾ اى صدقوا بالله ورسوله ﴿ كتب ﴾ اى فرض ﴿ عليكم ﴾ من الله ﴿ القصاص ﴾ اى المجازات على قدر الجنايه ﴿ فى القتلى ﴾ فيحصل الحكم بينكم ان يقتل ﴿ الحر ﴾ المسلم ﴿ بالحر ﴾ المسلم ﴿ والعبد ﴾ يقتل ﴿ بالعبد ﴾ ايضاً فلا يقتل مسلم بكافر ولا حر بعبد ﴿ و ﴾ يقتل ﴿ الانثى بالانثى ﴾ معلوم ﴿ و يقتل ﴾ الذكر بها كما بينه السنه ﴿ فمن عفى ﴾ اى ترك ﴿ له ﴾ اى لذلك القاتل ﴿ من اخيه ﴾ اى من دم المقتول ﴿ شى ﴾ بان ترك بعض اوليا المقتول حقه فى القصاص فيسقط عن القاتل المجازات بالقتل ويرجع الحكم الى احد الديه ﴿ ف ﴾ يطلبها الولى وعلى الولى ﴿ اتباع ﴾ اى طلب ﴿ المعروف ﴾ اى اللين وعدم الشده ويدفعها اليه القاتل ﴿ و ﴾ عليه اى على القاتل ﴿ ادا ﴾ اى دفع ﴿ اليه ﴾ اى

الي وليّ المقتول ﴿ باحسان ﴾ اي بلا تعبٍ ﴿ ذلك ﴾ الحكم الالهي ﴿ تخفيف ﴾ اي تهوين عليكم ﴿ من ربكم ﴾ اي خالقكم ﴿ ورحمة ﴾ اي رأفة بكم • فكأنهُ سبحانهُ وتعالى يقول فقد ابحت لكم مامنعته عن غيركم من الأمم السابقة فكانت الدية واجبةً على النصارى والقصاص واجباً على اليهودِ ﴿ فمن اعتدى ﴾ اي تعدى فقتل القاتل المعفو عنهُ المأخوذ منهُ الدية ﴿ بعد ذلك ﴾ العفو الواقع منهُ للقاتل ﴿ فله ﴾ اي للمتعدي في ذلك ﴿ عذاب ﴾ من الله المنتقم الجبار ﴿ أليمٌ ﴾ اي مؤلم في الدار الاخرة *

قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ • أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ •

هذا حكمٌ آخر من احكام الله التي بني عليها الاسلام • فان أركانه خمسه وهي النطق بكلمة التوحيد • ثم اقامه الصلاة • ثم ايتاء الزكاة • فقد أمر بها الباري تعالى كلها في القرآن فقدم اولا الامر بالصلاةِ والزكاةِ • ثم امر بالصيام ثانيا في هذه الآية فقال ﴿ ياأيها الذين ﴾ معلوم ﴿ آمنوا ﴾ اي صدقوا بالله ورسوله ﴿ كتب ﴾ اي فرض

﴿ عليكم الصيام ﴾ الشرعي وهو الامساك عن اشياء مخصوصة تسمى المفطرات، كالأكل والشرب والجماع وغيرها . وذلك الامساك يكون في زمن مخصوص وهو مبتدأ من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس . ولا بد في صحته من النية والاسلام والعقل والخلو من الحيض والنفاس . بشرط ان لا يحصل من ذلك شيء في اي جزء من اليوم ولا بد ايضاً من خلو الصائم من الاغماء بل يكون مستكملاً جميع الحواس الصحية طول اليوم . وقد كتب عليكم الصوم ﴿ كما ﴾ اي مثل الذي ﴿ كتب ﴾ اي فرض ﴿ على الذين من قبلكم ﴾ اي من الانبياء والأمم السابقين من آدم الى زمانكم . فحينئذٍ يكون الصوم عبادة قديمةَ ما ترك الله أمة الا وقد فرضه عليها . فكأنهُ تعالى يقول ان عبادتي هذهِ لم افرضها عليكم وحدكم بل فرضتها على جميع الامم من قبلكم ﴿ لعلكم تتقون ﴾ اي تخافون ربكم وتحسبونهُ بالمحافظة على تلك العبادة القديمة . فتمنعون انفسكم عن الشهوات وعمل السوء المبعد عن الله تعالى فان حكمة الصوم قطع النفس الشريرة التي هي اعظم داع الى المعاصي . وهي ايضاً اعظم شيء يصفوا بهِ القلب من الشواغل القاطعة عن التقرب الى تجليات الله تعالى انتهى * فعرفنا مما تقدم ذكره ان الأمر بالصوم ليس في جميع الاوقات بل فرضه الله تعالى علينا ﴿ اياما معدودات ﴾ اي مقدّراتٍ معلوماتٍ وهي مدة شهر رمضان ﴿ فمن كان منكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ مريضاً ﴾ في هذه المدة مرضاً يزداد بالصوم او يكون الصوم شاقاً معهُ ﴿ او ﴾ كان ﴿ على سفر ﴾ اي على سفر

قصر وهو يوم وليلة ﴿ ف ﴾ يلزمه ﴿ عدة ﴾ اي صوم عدة ايام المرض والسفر ﴿ من أيام أخر ﴾ ان أفطر بسبب المرض أو السفر المذكور ﴿ وعلى الذين ﴾ اي ويجب على الذين ﴿ يطيقونهُ ﴾ اي يصومونهُ بعسرٍ ومشقةٍ وهم الشيوخ والعجائز وضعفاء الابدان ضعفاً عمومياً ان أفطروا ﴿ فدية ﴾ اي اعطاء فدية وهي ﴿ طعام مسكين ﴾ وهو عند أبي حنيفه نصف صاع من برّ أو صاع كامل من غيرهِ كالزبيب والتمر • وعند الشافعي مدٌّ من غالب قوتِ اهل البلد يخرج عن كل يوم وقع فيهِ فطر • ويصرف ذلك الطعام الى الفقير والمسكين • ونص بعض الأئمة على أن الحامل والمرضع اذا خافتا على نفسها وولديهما يجوز لهم الفطر وتجب عليهما الفديه المذكورة فقط • ولا قضاء عليهما كالشيوخ والعجائز ﴿ فمن تطوع خيراً ﴾ في الفديه بأن يطعم مسكينين أو أكثر او يطعم المسكين الواحد أكثر من القدر الواجب ﴿ فهو ﴾ اي التطوع ﴿ خير له ﴾ عند الله تعالى ﴿ وأن تصوموا ﴾ أيها المؤمنون وتحملتم متاعب الصيام ﴿ خيرلكم ﴾ في الآخرة من الفديه والتطوع ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ ما في الصوم من الفوائد الدنيوية والأخروية •

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ • وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ حِينَ يُفْطِرُ وَحِينَ يَلْقَى رَبَّهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ

فَم الصَّائِمِ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ) . وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مَنْ صَامَ رَمضَانَ إِيمَاناً وَاحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ لَيلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) . انتهى

وفضائل الصوم ومنافعه أكثر من ان تحصى ولو لم يكن من فضائله الا التشبه بالملائكة والارتقاء من حضيض شهوات النفس البهيمية الى رفعة النسبة بالروحانيات الالهية لكفى به فضلا » هذا صوم الشريعة . وأما صوم الطريقة فهو الامساك عما حرمه الله عز وجل والافطارُ بما أباح . وصوم الحقيقة هو الامساك عن الاكوان والافطارُ بمشاهدة الرحمن — قال بعض العارفين (شعراً)

صُمْتُ عن غيرِهِ فلَمَّا تجلَّى * كانَ لي شاغِلٌ عَنِ الإفْطَارِ

فالمقصود من الصوم هو الامساك عما حرمهُ الله تعالى من الاقوال والافعال فعلى كل صائم ان يحفظ لسانهُ عن الكذب والغيبة والنميمة ويشغله بالذكر الذي أشرف أنواعه تلاوة القرآن الكريم وأن يحفظ جوارحه عن المعاصي ويشغلها بالطاعات . فان من اشتغل بالمنهيات وكان صائماً فلم يحصل من صيامه الا تعب الجوع والعطش فقط . ويكون محروماً من الحظ الوافر المترتب على الصوم . وهو طهارة الابدان من خبث الاوزار لان الصوم أعظم علامات العبودية

وأشقها فكلما اتعب العبد نفسه في العبادة الشاقة صار مرتقياً في مدارج الأنس واصلاً الى معارج القدس . وتخرق له الحجب المانعة من العرفان ويطلع على الحكم الالهية . وتنكشف له معانى القرآن ويتبدله العلم بالعيان

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

اعلم ان الله تعالى لما خص شهر رمضان بعبادة الصوم بين في هذه الآية السبب في هذا التخصيص . وذلك هو ان الله سبحانهُ وتعالى لما خص هذا الشهر باعظم آيات الربوبية . وهي نزول القرآن فيه فاستحق ان يميز عن غيره من الشهور بشرف رفيع وهو أن يخصه الله تعالى بنوع عظيم من علامات العبودية وهو الصومُ . وبيان ذلك ان الانوار الصمدية متجليةٌ دائماً يمتنع عليها الاختفاء والاحتجابُ . ولما كانت العلائق

جمع علاقة • مثل حب النفس للرفعة على سائر المخلوقات وكونها مائلة الى التكبر دائماً وتلك أمور حاجبة لها من ان تصل الى الانوار الالهية ومانعة من ظهورها في الارواح البشرية جعل الله الصوم سبباً قوياً في ازالة تلك العلائق حتى ان ارباب المكاشفات لا يصلون اليها الا بالصوم لان الصوم سبب في تواضع النفس و بتواضعها لا يحوم الشيطان حولها فتصل الى تلك الانوار • ولهذا قال النبي صلى الله عليهِ وسلم (لَوْلاَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ) *

وبما ذكرناه يظهر لك حكمة اختصاص هذا الشهر بفرض الصوم فيه كما قال تعالى (شهر رمضان) الواجب صومهُ على هذه الأمة (الذي أنزل فيه القرآن) في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في سماء الدنيا جملة واحدة • ثم أنزل على نبينا عليهِ الصلاة والسلام مفرقاً بواسطة الوحي وهو جبريل عليه السلام وهو ﴿ هدى ﴾ أي هداية ﴿ للناس ﴾ الى الحق ﴿ و بينات ﴾ أي آيات واضحات ﴿ من الهدى والفرقان ﴾ أي من جملة ما يهدى الى الحق من الكتب السماوية و يفرق بينهُ و بين الباطل * و بيان ذلك ان الهدى قسمان واضحٌ جليٌّ وخفيٌّ مشتبهٌ • فوصف الله تعالى القرآن أولا بجنس الهدايه • ثم وصفهُ ثانياً بانهُ من القسم الاول باعتبار معظمهِ • لان بعضهُ متشابه ايضاً ﴿ فمن شهد منكم الشهر ﴾ أي فمن حضر منكم الشهر أيها المخاطبون المستجمعون لشروط التكليف ﴿ فليصمهُ ﴾ أي الشهر المذكور ولم

يفرط في يوم منهُ بغير عذر ﴿ ومن كان مريضاً ﴾ مرضاً يبيحُ له الافطارُ ﴿ أو ﴾ كان ﴿ على سفر ﴾ أي مسافراً مدة قصر ﴿ ف ﴾ يلزمهُ ﴿ عدة ﴾ أي صوم عدة ﴿ من أيام أخر ﴾ من باقي ايام السنة غير يومي العيد وأيام التشريق الثلاث لانهُ يحرم صومهنّ ويثبت شهر رمضان بأحد أمرين . اما برؤية الهلال أو باكمال شعبان ثلاثين يوماً * فقد قال النبي صلى الله عليهِ وسلم

(صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ) يعني عدة شعبان (ثَلَاثِينَ يَوْماً)

ومهما شهد عند القاضي عدل واحد بأنهُ رأى هلال رمضان فانهُ يثبت اذا لم يردّ القاضي شهادتهُ ويجب الصوم على جميع الناس حينئذ . واما اذا ردّ القاضي شهادتهُ فان الصوم يجب عليهِ وحده . لما روي عن عمر انهُ رأى الهلال وحده فشهد عند النبي صلى الله عليهِ وسلم فأمر الناس بالصوم . ولما روي أيضاً ان علياً عليهِ السلام شهد عنده رجلٌ على رؤيةِ هلال رمضان فصام وقال (صومٌ من شعبانَ أحبُّ اليَّ من أن أفطرَ يوماً من رمضان) ولا يثبتُ الهلال في بقية الشهور الاّ برؤية عدلين وانما ثبت في رمضان بعدل واحد للروايتين المتقدمتين وللاحتياط في أمر العبادة . واذا ثبت هلال رمضان في موضع وجب الصوم على من كان بينهم وبين ذلك الموضع أقلّ مسافة القصر . ولا يجب الصوم على غيرهم ﴿ يريد الله ﴾ تعالى ﴿ بكم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ اليسر ﴾ السهوله وعدم المشقةِ ﴿ ولا يريد بكم العسرَ ﴾

أي الصعوبة والمشقة • وبيان ذلك ان الله تعالى لكمال رأفتهِ وسعةِ رحمتهِ أوجبَ الصوم على سبيل السهولة لأنهُ ما أوجبهُ علينا الاّ في مدة قليلة من السنة • ثم ان هذا القليل لم يوجبهُ على المريض والمسافر • ومن هنا يتحققُ صدق قوله صلى الله عليهِ وسلم (بعثتُ بالحنيفةِ السمحاءِ) * ثم ان الله تعالي شرع لكم ايها المؤمنون جملة ما ذكره وهو الامرُ بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر لرحمتهِ بكم ﴿ ولتكملوا ﴾ اي ولتتموا ﴿ العدة ﴾ أي عدة أيام الشهر وعدة أيام القضاء ﴿ ولتكبروا ﴾ أي ولتعظموا ﴿ الله ﴾ تعالى حامدينَ لهُ ﴿ على ماهداكم ﴾ أي على هدايتهِ لكم بالتوفيق لهذه الطاعة ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ ولأجل أن تشكروه على هدايته وتوفيقاته الربانيه *وتمام هذا التكبير انما يكون بالقولِ والاعتقادِ والعمل فالقولُ هو أن يقر العبد بصفاتهِ العلياء وأسمائه الحسنى وينزهه عما لايليق بهِ من الصاحب والولد والتشريك • وكل هذا لا يصح الا مع الاعتقاد القلبي • واما العمل فهو التعبد بالأوامرِ والتباعد عن النواهي • وهذا لايختص بوقت استكمال عدة رمضان بل هومطلوب في جميع الازمانِ •وقيل المراد بالتكبير تكبير عيدالفطر وهو مشروع في عيد الأضحى ايضاً • لما روي أن النبي صلى الله عليهِ وسلم كان يخرج يوم الفطر والأضحى رافعاً صوته بالتهليل والتكبير حتى يأتي المصلىَ • انتهى

وأول وقت التكبير في العيدين جميعاً هو غروب الشمس ليلةَ العيد

عند الشافعي • وقال أحمد ومالك لاتكبير في ليلة العيد وانما يكبر في يومهِ فقط • واستدل الشافعي بهذه الآية قائلاً معنى (ولتكملوا العدة ﴾ اي عدة صوم رمضان ﴿ ولتكبروا الله ﴾ عند اكمالها • واكمالها من غروب الشمس من آخر يوم من رمضان • واما آخر التكبير فهو وقت دخول الامام في صلاة عيد الفطر على أصح الأقوال لأن الكلام مباح الى هذا الوقتِ • ومعلوم أن التكبيرأولى مايقع بهِ الاشتغال من الكلام • والمسنون في صيغته أن يكبر ثلاثاً متوالية عند الشافعي ومالك • وقال أبو حنيفة واحمد يكبرُ مرتين على التوالي • واستدل الشافعي برواية عن ابن عباس واستدلّ أيضاً بأن التكبير شرعهُ الله تعالى لاظهار شعائر العيد فاللائق أن يكون وتراً كتكبير الصلاة • قال الشافعي وما زاد على التكبير من ذكر الله فهو حسنٌ * ويسنُّ رفع الصوت بالتكبير ليلتي العيد في المنازل والمساجد والطرق والاسواق سواءٌ كان ذلك في السفر او الاقامة • ويسنُّ أيضاً ذلك عند الذهاب الى صلاة العيد ويستمر حتى يدخل الامام فيها سواء كان المكبر يصلي مع الامام أم لا • ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الأضحى • انتهى والحكمة في فرض الصوم وتكليفنا به كسر أنفة النفس وضعف قوتها الشريرة ليحصل لها التواضع والخضوع فترتقي الى المعارف التي تقربها من مشاهدة الانوار الالهية * قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (من تواضع لله رفعه) اي في العلوم والأنوار الالهيه بطريق الفيض منهُ تعالى

قوله تعالى ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ *

لما أمر سبحانهُ وتعالى المؤمنين بالقتال للمحافظة على أرواحهم واهلهم واموالهم ووطنهم من شر الاعداء والكفار وكان مفتقراً الى العدد الكثير • ثم أنهُ يوجد أحياناً صاحب المال عاجزاً عن القتال وقد يكون القوي عليهِ قليل المال • فأمر سبحانهُ وتعالى أغنياء المؤمنين في هذه الآية بالانفاق في سبيله لأجل تجهيز الرجال والابطال في القتال فقال تعالى ﴿ وانفقوا ﴾ اي اصرفوا أيها المؤمنون أموالكم في المصالح الخيرية رغبة ﴿ في سبيل الله ﴾ اي طريقته الواضحة ودينهِ المشروع لكم وتلك المصالح الخيرية مثل الانفاق في الحج والعمرة والجهاد واعانة المديون وصلة الرحم • أو عمارة أماكن الخير مثل بناء مدارس لنشر العلوم الدينيه • وبناء اماكن لتربية اليتامى المنقطعين ولتربية الفقراء العاجزين المنقطعين • ولتداوي الفقراء والمساكين لوجه الله العظيم • وذلك لأن المال مال الله فيجب انفاقه في سبيله ولا يليق صرفه في لذاتنا وشهواتنا الموجبة الى الحرمان والبعد عن بابه • وانما خص الله تعالى المؤمنين بالأمر لأنهم هم الذين يهون عليهم صرف كل شيء في حب الله تعالى فكأنهُ تعالى يقول واصرفوا ايها المؤمنون ما أنعمتُ بهِ عليكم من الأموال الطيبة فيما يقربكم اليَّ واعرضوا في صرفها عما يبعدكم عني ولا تؤخروا عمل الخير فربما حال بينكم وبين مقصدكم الموت فلا تدركون ماعزمتم عليه بل عجلوا بالخير ﴿ ولا تلقوا ﴾ اي

ترموا أنفسكم ﴿ بأيديكم ﴾ اي بقدرتكم بحسب الظاهر لأن الله تعالى في الحقيقة هو الرامي وان كان الرمي ينسب الى العبد كسباً ﴿ الى التهلكة ﴾ اي الهلاك بسبب انفاق طيب المال في مصالح النفس والهواء الموجب للحرمان ﴿ وأحسنوا ﴾ ايها المؤمنون في فعل ما ألزمتكم به من فرائضي وفي تجنب مانهيتكم عنهُ من المعاصي وفيما أمرتكم بهِ من الانفاق في سبيلي ﴿ ان الله يحبُّ المحسنين ﴾ في أعمالهم — الخالصة عن الرياء *

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ *

بين المولى سبحانهُ وتعالى في الآيات المتقدمة ثلاثة اركان من الاركان الخمسة التي يبني عليها الاسلام وهي (الصلاه والزكاة والصوم) وأمرنا في هذه الآية بالركن الرابع وهو (الحج) ثم فرض آخر زائد عن الأركان الخمسة وهو العمرة وأرشدنا فيها الى كيفية التحلل من الحج والعمرة لو حصل لنا مانع عنهما في الطريق • ثم الى حكم التأذى بالسفر أو المرض تفضلا منهُ سبحانهُ وتعالى فقال ﴿واتموا﴾ ايها المؤمنين ﴿ الحج والعمرة لله﴾ قاصدين بهما وجهه الكريمَ بعد التطهر بالتوبة من المعاصي مكملين اركانهما وسنتهما المبينه في الكتاب والسنة مع استيفاء حقوقهما بخشوع ﴿ فان احصرتم ﴾ أي حبستم ومنعتم عن اتمامهما من عدو أو غيره كمرض بعد الدخول فيهما ﴿ف﴾ يلزمكم ان تفعلوا ﴿ ما استيسر ﴾ أي تيسر عليكم ﴿ من الهدى ﴾ وهو اما بدنه من الابل أو بقره أو شاة ﴿ ولا تحلقوا ﴾ وانتم محرمون بهما ﴿رؤسكم﴾ معلوم ﴿حتى يبلغ الهدي﴾ أي يصل الهديُ الذي لزمكم ﴿ محله ﴾ أي مكانه الذي يحل فيهِ ذبحه وهو محل الاحصار والمنع ﴿ فمن كان منكم ﴾ ايها المؤمنون في وقت احرامهِ ﴿ مريضاً ﴾ مرضاً يحوجه الى حلق رأسه ﴿أو﴾ كان ﴿ به أذى ﴾ أي ضرراً حاصلاً ﴿ من ﴾ أي في ﴿رأسه﴾ كالقمل وامثاله أو صداع وحلق رأسه وهو محرم بسبب ذلك ﴿ ف ﴾ تلزمه ﴿ فديه من صيام ﴾ وقدره ثلاثة ايام ﴿ أو﴾ من ﴿ صدقه ﴾ أي طعام يسلم الى مساكين ﴿ أو﴾ من ﴿ نسك﴾ أي قربان من الاصناف الثلاثه المذكورة يذبح ويقسمُ على الفقراء

﴿ فاذا أمنتم ﴾ أي زال عنكم خوفكم من عدوكم أو برئتم من مرضكم اللذين كان أحدهما سبباً في حصركم عن حجكم فتمتعتم بالخروج منه الى عمرتكم . أو من عمرتكم الى حجكم * وصفة التمتع أن يمنع الشخص من الحج بسبب خوف العدوّ أو المرض مثلا حتى يفوته الحج فيدخل مكه بعد زوال المانع ثم يخرج من احرامه بعمل عمرة . ثم بعد ان يتمها . يتمتع بالاشياء التي كانت حرمت عليه في الاحرام كالحلق ولبس الثياب المحيطة واستعمال الطيب الى ان تأتيَ السنه القابله فيحج ويقدم هدياً من الابل أو البقر أو الغنم فسمى بهذا العمل متمتعاً ﴿ فمن تمتع ﴾ منكم ﴿ بالعمرة ﴾ أي بعد عملها المذكور واستعمل ما كان ممنوعاً منهُ من محرمات الحج وقت الاحرام حتى تمضى السنه التي حصل فيها المنع فاذا جاءت السنة التى بعدها وخرج ﴿ الى ﴾ الاحرام با ﴿ الحج ﴾ فى السنة القابله ﴿ ف ﴾ يجب عليه ﴿ ما استيسر ﴾ أي ما تيسر ﴿ من الهدى ﴾ وهو شاه فقط يذبحها بعد الاحرام بهِ ﴿ فمن لم يجد ﴾ من هدى بان كان فقيراً ﴿ ف ﴾ يجب عليه ﴿ صيام ثلاثه ايام في ﴾ زمن احرامه ب ﴿ الحج ﴾ وصيام ﴿ سبعة ﴾ ايام ﴿ اذا رجعتم ﴾ من الحج الى اهلكم ف ﴿ تلك ﴾ الايام التي يجب صومها ﴿ عشرة كاملة ﴾ لا ينقص منها يوم واحد . ثلاثة قبل الوقوف بعرفة وسبعه بعد الرجوع الى الوطن ﴿ ذلك ﴾ الحكم المبين من الصيام أو الهدى على من تمتع هو ﴿ لمن لم يكن ﴾ من الحجاج اهله حاضري المسجد الحرام بان يكون بينه وبين

مكة مسافة قصر وهو مسافة يوم وليلة مشياً بالجمال محملةً باحمال ثقيلة ﴿ واتقوا الله ﴾ في المحافظة على ما يأمركم بهِ وفي اجتناب ما ينهاكم عنهُ ﴿ واعلموا ان الله ﴾ عند تعدي اوامره ونواهيه (شديد العقاب) أي قوي البطش * انتهى

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالركن الرابع من اركان الاسلام وهو الحج في الآية السابقة وأرشدهم في الآيات التي بعدها الى ما يجب عليهم فعله وما يمتنع عليهم تركه في الحج أمرهم في هذه الآية بالدخول في العمل بشرائع الاسلام كلها وحدوده والمحافظة على فرائضه التي فرضها . ونهاهم فيها ايضاً عن تضييع شيء منها للاشارة الى أن كل ركن منها لايكفي على حدته في تحقق ماهية الاسلام الكامل حتى الركن الخامس وهو النطق بالشهادتين لايكفي وحده ايضاً . بل لابد من الجمع فقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ بالله ورسوله ﴿ ادخلوا ﴾ ﴿ في السلم ﴾ اي الاسلام ﴿ كافة ﴾ اي جميعا واعملوا بشرائعه كلها وصدقوا بهِ قولا وعملاً ﴿ ولا تتبعوا ﴾ اي ولا توافقوا ﴿ خطوات ﴾ اي طرق ﴿ الشيطان ﴾ وطرق الشيطان هي مخالفة احكام الاسلام فخالفوه باتباعكم ما أمرتم به واجتنابكم مانهيتم عنه ف ﴿ انه ﴾ اي الشيطان ﴿ لكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ عدوّ مبين ﴾ اي ظاهر في عداوته لكم عداوةً طبيعيةً أظهرها لأبيكم آدم فانهُ امتنع من السجود له ورضي

مخالفة امر الله مع علمه بأن مخالفته تؤدي الى سوء العاقبة . فهو لا يطلب منكم دائماً الا أن تكونوا من اهل ملة لا من اهل النور . وهذه في الحقيقة صفة من هو عدوّ في صورة محب . اللهم اجعل حجاباً بيننا وبين نزعاته يا أرحم الراحمين .

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

روى ان اليهود والمجوس كانوا يتباعدون عن المرأة في زمن الحيض بعداً شديداً والنصارى كانوا يجامعوهن في زمنه ولا يلتفتون له . وكان أهل الجاهلية اذا حاضت المرأة يجتنبونها في الأكل والشرب والمجالسة والمساكنة . فسأل قوم من الأعراب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم لما اشتد عليهم البرد مع قلة ثيابهم وتحيروا في أمرهم مع النساء حال الحيض فان تركوا لهن الثياب والفراش والدثار هلكوا من البرد وان خصوا أنفسكم بذلك ومنعوا النساء منه هلكن من البرد ايضاً . فقالوا يارسول الله انا قد تحيرنا في أمرنا مع النساء فانزل الله هذه الآية وارشدهم فيها ان يعتزلوا مجامعتهن فقط وقت الحيض ولم يأمرهم

باجتناب فراشهن ولا باخراجهن من البيوت فقال تعالى ﴿ ويسئلونك ﴾ بعض الاصحاب يامحمد ﴿ عن المحيض ﴾ اي عن اتيان النساء في زمن الحيض ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ هو ﴾ اي الاتيان في زمنه ﴿ أذًى ﴾ اي مضرّ بصحة البدن وبالولد الذي يحصل من الجماع في وقت الحيض ﴿ فاعتزلوا ﴾ اي اجتنبوا ايها المؤمنون ﴿ النساء ﴾ اي جماعهن ﴿ في ﴾ زمن ﴿ المحيض ﴾ اي الحيض ﴿ ولا تقربوهن ﴾ بقصد الجماع ﴿ حتى يطهرن ﴾ بانقطاع الدم ثم بالغسل ﴿ فاذا تطهرن ﴾ اي اغتسلن بعد انقطاع الدم ﴿ فأتوهن ﴾ اذا أردتم الجماع ﴿ من حيث ﴾ اي من الموضع الذي ﴿ أمركم ﴾ به ﴿ الله ﴾ وأحله لكم وذلك الموضع هو الرحم فقط وانما يحل اتيانه بعد الطهر المذكور وبعد خلو المرأة من الصوم والاعتكاف والاحرام بالحج ويكون ذلك على وجه الحلال ﴿ ان الله يحب التوابين ﴾ اي الراجعين الى الله عن كل مافعلوه من الذنوب بالتوبة المستوفية لشروطها ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ من جميع الفواحش والأوزار لأن الذنب لما كان حاجباً بين العبد وربه فكأن العبد نجس بنجاسةٍ معنويةٍ * ثم بين الله تبارك وتعالى ان الغرض الأصلي من الجماع هو طلب النسل فقط وليس لقضاء الشهوة فيجب ان لا يكون الا في الموضع الذي يكون منه النسل *

فقال تعالى ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ نساؤكم ﴾ اي ازواجكم ﴿ حرثٌ ﴾ أي مزرعٌ ومنبتٌ للولد ﴿ لكم ﴾

ورحم المرأة كالأرض والنطفة كالبذر والولد كالنبات ﴿ فأتوا حرثكم ﴾ أي مزرعكم بحسب الأدب لطلب المنفعة كما تأتون أراضيكم التى تريدون ان تحرثوها وتنتفعوا من نباتها ﴿ أنى شئتم ﴾ اي من اي جهة شئتم خلفاً أو أماماً أو يميناً او شمالا ٠ بشرط ان يكون محل الاتيان واحداً وهو محل الولادة فقط دون غيره ﴿ وقدموا ﴾ اي افعلوا ايها المؤمنون ﴿ لانفسكم ﴾ ما تستوجبون به الجنة والكرامه عند ربكم ولا تضيعوا اوقاتكم بقضاء الشهوة بل اشتغلوا بتقديم خالص الطاعات ﴿ واتقوا الله ﴾ بفعل الطاعات وترك المنهيات ﴿ واعلموا ﴾ ايها المؤمنون ﴿ انكم ملاقوه ﴾ بالبعث بعد الموت فيجازيكم باعمالكم ﴿ وبشر ﴾ يامحمد ﴿ المؤمنين ﴾ بالجنة والنظر الى ربهم فيها اه

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

لما بين سبحانهُ وتعالى فى الآيات المتقدمه احكاماً ضروريه في الدين التي لاينتظم الايمان الا بها أعقبها بالأمر بالمحافظه على الصلاة التي يتسبب عنها الخضوع له والتذلل لهيبته تعالى ويذهب بها الكبر

ويحصل بها الانقياد والامتثال لأوامره والاجتناب والبعد عما نهى عنهُ فتكمل بها سعادة الدارين فقال تعالى ﴿ حافظوا ﴾ أي واظبوا أيها المؤمنون ﴿ على ﴾ فعل ﴿ الصلوات ﴾ الخمسة المكتوبة في أوقاتهن بمراعاة جميع شروطها كطهارة البدن والثوب والمكان وستر العورة واستقبال القبلة • وبالاتيان باركانها كالقراءة والقيام للقادر وبالاتيان بسننها المؤكدة كالتشهد الاول • وبغير المؤكدة كالتسبيح في الركوع والسجود • وبالاحتراز عن مفسداتها كأعمال القلب وأعمال اللسان والجوارح • وذلك لان الصلاة وصلة وارتباط بين العبد والرب ﴿ و ﴾ حافظوا أيضاً على ﴿ الصلاة الوسطى ﴾ منهن أي من الخمسة المذكورة وهي صلاة العصر عند الاكثر من الأئمة • وانما اعاد سبحانهُ وتعالى الأمر بالمحافظة عليها خاصة بعد ان عمم في الامر بالمحافظة على جميع الصلوات الخمسة لئلا يتركها عادة المؤمنون بسبب تقيدهم بأسباب دنياهم ومعاشهم على أسباب آخرتهم في ذلك الوقت لان وقت العصر لا يكون اهتمام الناس فيه الا بالكسب الدنيوي فقط لا بالكسب الديني ＊ فلما علم الله منهم ذلك وان نشاطهم لا يكون الا في هذا الوقت خصصها بالامر بعد ما عمم • ثم قال ﴿ وقوموا ﴾ أي قفوا ﴿ لله ﴾ في صلاتكم ﴿ قانتين ﴾ أي مطيعين له بترك جميع الكلام فيها سوى القرآن او ذكر الله بجميل الصفات او الدعاء وبالخشوع فيها مع حضور القلب ﴿ فان خفتم ﴾ أيها الناس من عدوّ لكم تخافون على انفسكم منه حال الحرب اذا صليتم قائمين على ارجلكم بالارض

﴿ف﴾صلوا ﴿رجالاً﴾ اي مشاة على ارجلكم وأنتم في قتالكم وجهاد عدوّكم ﴿او﴾ صلوا ﴿ركباناً﴾ أي راكبين على ظهور دوابكم فان ذلك يكفي بدل قيامكم ﴿فاذا أمنتم﴾ اي زال عنكم ايها المؤمنون خوفكم المذكور من عدوّكم ﴿فاذكروا الله﴾ اي صلوا له الصلاة المعتادة في زمن الأمن ﴿كما علمكم ما﴾ اي فرائض مشروعة اجرى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿لم تكونوا﴾ ايها المؤمنون ﴿تعلمون﴾ اي تعرفونها قبل ارساله لكم * انتهى

قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

ارشد الله سبحانهُ وتعالى في هذه الآية عباده المؤمنين الى ان من جملة ما ينفعهم في يوم القيامة هو انفاقهم مما رزقهم الله من الاموال في الطاعات كالصدقة على الفقراء واليتامى • وارشدهم فيها ايضاً الى ان الانسان يبعث في هذا اليوم المذكور منفرداً وليس معهُ الا ما عمله في الدنيا من الطاعات والاعمال الصالحة • فأمرهم تبارك وتعالى بأن يجتهدوا في اعمال الخير بحسب طاقتهم من قبل ان يموت وقته فقال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا انفقوا﴾ اى تصدقوا في طاعة الله ﴿مما﴾ اي من الذي ﴿رزقناكم﴾ اي اعطيناه لكم من الاموال والخيرات الدنيوية وادّوا حقوق الله التي فرضها عليكم منها لمن يستحقها من

الاصناف الثمانية المذكورة في قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين الى آخر الآية ٠ وامتثلوا الاوامر والنواهي ﴿ من قبل ان يأتي يوم ﴾ وهو يوم القيامة الذي ﴿ لا بيع ﴾ اي معاملة تجارية ﴿ فيه ﴾ فلا يمكنكم ان تكتسبوا ما لا تنفقون منه لينجيكم من العذاب لانه يوم جزاء بالعقاب والثواب لا يوم طاعة وعمل تجارة واكتساب ٠ ثم اعلمهم سبحانهُ وتعالى ايضاً بأنهُ يوم لاتنفع فيهِ محبةُ محبٍ ولا واسطةٌ كما كانت تنفع في الدنيا فقال تعالى ﴿ ولا ﴾ تنفع فيه ﴿ خلة ﴾ اي مودّةٌ لحبيبٍ لان كل احد فيهِ مشغول بنفسهِ ﴿ ولا ﴾ تنفع فيهِ ايضاً ﴿ شفاعة ﴾ اي واسطة ﴿ والكافرون ﴾ اى المنكرون لوجود الله ورسوله ولوحدانيتهِ ﴿ هم الظالمون ﴾ لانفسهم لانهم لما انكروا وجود الله تركوا تقديم الخيرات وادخارها ليوم احتياجهم ٠ فاذا عذبوا بتفريطهم بذلك فالله لم يظلمهم وانما هم الذين ظلموا انفسهم مع ادعائهم كمال العقل باختيارهم الكفر بالله واختيارهم الاوثان شفعاء لهم عنده فقد بلغوا في الظلم بسبب ذلك مبلغاً عظيماً ٭ انتهى

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

لما رغبنا سبحانهُ وتعالى في الانفاق عما بينه في الآيات المتقدمة وعرفنا انهُ ينقسم الى انفاق خالص لذاتهِ تعالى ٠ والى انفاقٍ يخالطهُ المن

والادى كالدي يقصد بهِ الرياء • بين بعد ذلك ان المال الذي يحب انفاقه في سبيل الله بقصد الزكاة المفروضة يكون من القسم الأول من القسمين المذكورين فقال تعالى ﴿ يأأيها الذين آمنوا ﴾ تقدم بيانه ﴿ انفقوا ﴾ اعطوا زكاتكم او غيرها من التطوع بدليل ان السابق يتناول النهي عن الانفاق من غير الطيبات وهذا مقابله ﴿من طيبات﴾ أي من أحسن وحلالِ ﴿ ما ﴾ أي الذي ﴿ كسبتم ﴾ اي صار لكم من كسبكم وملكتموه من الاموال بتصرفكم اما بتجارة واما بحرفه و بصناعةِ سواء كان ذلك المكتسب ذهباً او فضه طيبه بهِ نفسكم ﴿ و ﴾ اعطوا أيضاً الزكاة ﴿ من ﴾ طيبات ﴿ ما اخرجنا ﴾ اى الذى أنبتناه ﴿ لكم من الارض ﴾ وأوجبنا عليكم فيهِ الصدقة كالنخل والكرم والقمح والشعير وغير ذلك من كل طعام تجب فيه الزكاة وذلك لأن الزكاة من حقوق الله تعالى فهي كدين على المكلف وقد قال صلى الله عليهِ وسلم (خيركم احسنكم قضاء) واذا كان فيما تملكونهُ طيباً وخبيثاً فلا تخرجوا الا الطيب منه ﴿ ولا تيمموا ﴾ اى لا تقصدوا ﴿ الخبيث ﴾ اى الردىء وغير الجيد ﴿ منه ﴾ اى من المال الخبيث ﴿ تنفقون ﴾ اى تخصونهُ بالانفاق بل اقصدوا الطيب وتصدقوا منهُ ﴿ ولستم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ بآخذيه ﴾ اى بالآخذين له اى الخبيث ﴿ الا ان تغمضوا فيهِ ﴾ اى تغضوا بصركم عنهُ • فكأنهُ يقول ان هذا الخبيث الذى نهيتكم عن اخراجهِ لو اهدى احد مثله لكم ما اخذتموه الا على استحياء وانتم كارهون له غاضون ومغمضون بصركم عنهُ فكيف ترضون

لي ما لا ترضونهُ لانفسكم فلا تخرجوا من اموالكم الا ما كان طيباً ﴿ واعلموا ﴾ ايها المؤمنون ﴿ ان الله غني ﴾ اى مستغنٍ عن صدقاتكم وعن غيرها من طاعاتكم وانما امركم بها رحمة منهُ لكم ليجازيكم عليها في الآخرة ثوابهُ وليس محتاجاً لها منكم بوجه من الوجوه. فهو لاجل انعامهِ وفضلهِ عليكم ﴿ حميد ﴾ اى محمودٌ على ما خص عباده بهِ من النعم والفضل * انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ *

ارشدنا الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين بكمال رأفتهِ الى كيفية

حفظ المال الحلال وصيانتهِ عن التلف والضياع والى رعاية وجوه الاحتياط وذلك لما اقتضت حكمتهُ ان حفظ المال تتوقف عليهِ مصالح المعاش ويتسبب عنهُ زيادة الاجر في المعاد وايضاً من عجيب حكمتهِ انهُ لما حرم الربا على عباده اباح لهم السلف وانزل فيهِ هذه الآية الطويلة وهكذا جرت سنته في خلقه ان كل لذة ومنفعة يتوصل اليها من طريقٍ حرام لا بد وان يكون قد جعل بدلها لذةً ومنفعة مثلها يتوصل اليها من طريق حلالٍ . ولهذا امرنا في هذه الآية بعد آية الربا بما يتضمن كيفية الوصول الى هذه المنفعة من طريق حلال وهو القرض فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ اي المصدقون بالله و برسوله الطالبون حسن المعاملة مع الله ﴿ اذا تداينتم ﴾ اي تعاملتم فيما يحصل بينكم من بيع او شراء او اخذ او اعطاء ﴿ بدين ﴾ من سلم وهو ان تقول لصاحبك مثلا اسلمتك هذه المائة من الدراهم على ان تحضر لي في شهر كذا من هذه السنة اردباً من القمح او شيءٍ آخر يكون صفته كذا وكذا او سلف وهو معروف ﴿الى اجل﴾ اي الى وقت ﴿مسمى﴾ معلومٍ ميعاده بينكم ﴿ فاكتبوه ﴾ اي ذلك الدين المؤقت . وقد امر الله تعالى في المداينة بشيئين الكتابة والاستشهاد . وانما امرنا بهما ليكون كل من المتداينين آمناً من النسيان ومن الاختلاف الذي يقع بينهما من الزيادة او النقصان في مقدار الدين وفي انتهاء الأجل وفي كل ما يحصل بينهما من الشروط الجائزة شرعاً ﴿وليكتب ﴾ وثيقة الدين ﴿بينكم﴾ يا عباد الله ﴿ كاتب ﴾يجب ان يكون متصفاً ﴿ بالعدل﴾

اي الانصاف بحيث انهُ اذا كتب لا يزيد في الدين ولا ينقص عنهُ شيئاً ولا يخص احد المتعاملين بزيادة شرطٍ دون الآخر لعرضٍ من الأعراض . وان يكون ناطقاً فطناً عارفاً بأحكام الفقه والكتابة . وان يكون ما يكتبهُ متفقاً عليهِ في جميع المذاهب حتى انهُ لو رفعت الوثيقة التي كتبها الى اي قاضٍ من المسلمين لا يمكنهُ التوصل الى ابطالها ﴿ ولا يأب ﴾ اي ولا يمتنع عن الكتابة ﴿ كاتب ﴾ من الكتاب يعرف وجه الكتابة ﴿ ان يكتب ﴾ اذا طلب للكتابة لأجل تحصيل حاجة اخيه المسلم وشكراً لربهِ ﴿ كما علمهُ الله ﴾ اي فضله على كثير من خلقه بمعرفة صنعة الكتابة المذكورة ﴿ فليكتب ﴾ الكاتب تلك الوثيقة ولا يترك شرطاً من الشروط لئلا يضيع مال المسلم باهماله ثم انهُ سبحانهُ وتعالى امرنا بعد احضار الكاتب المذكور بأن يكون المملي لما في الوثيقة هو من عليهِ الدين لأجل ان يكون باملائهِ للكاتب مقراً بمقدار الحق وصفته وأجله . وبجميع الشروط المتفق عليها بينهما فقال ﴿ وليملل ﴾ على الكاتب ﴿ الذي عليهِ الحق ﴾ وهو الذي عليهِ الدين ﴿ وليتق ﴾ اي يخاف ذلك المملي ﴿ الله ربه ﴾ فيقر في الاملاء بجميع المال الذي عليهِ وبجميع ما اتفقا عليهِ ﴿ ولا يبخس ﴾ اي لا ينقص ﴿ منهُ ﴾ اي من المال الذي عليهِ او مما اشترط في الاملاء ﴿ شيئاً ﴾ معلوم ﴿ فان كان ﴾ المدينِ ﴿ الذي عليهِ الحق سفيهاً ﴾ اي محجوراً عليهِ لتبذيره وجهله بالتصرف لنقص عقله ﴿ او ﴾ كان ﴿ ضعيفاً ﴾ لصغر او مرضٍ او كبر سن ﴿ او ﴾ كان ﴿ لا يستطيع ﴾ اي لا يقدر ﴿ ان يمل

هو ﴾ للكاتب بنفسه ماعليه من الدين لخرس, او جهل باللغة ﴿فليملل﴾ على الكاتب ﴿ وليه ﴾ اى المتولي امره والقائم بمصالحه كأن كان وصياً على المدين ان كان سفيهاً او صبياً او كان الولي وكيلاً عنه ان كان عاجزاً عن اللغة فيعبر عنهُ وهو يصدقه • ولا بد ان يكون ذلك الولي متصفاً ﴿ بالعدل ﴾ أي بالانصاف لئلايخل بشيء • ثم لما كان المتم للمقصود من الكتابه هو الاستشهاد لاجل ان يتوصل صاحب الدين بالشهود الى تحصيله ان انكره المدين أمر نا سبحانهُ وتعالى بذلك فقال ﴿ واستشهدوا ﴾ أي أشهدوا على الدين ﴿ شهيدين ﴾ أى شاهدين ﴿ من رجالكم ﴾ أي من الاحرار البالغين من اهل ملتكم وهم المسلمون ﴿ فان لم يكونا ﴾ أي الشاهدان ﴿رجلين ﴾ للشهادة ﴿ ف ﴾ ليشهد بدلهما ﴿ رجل ﴾ أى حرٌّ بالغ مسلمٌ ﴿ وامرأتان ﴾ حرّتان مسلمتان بالغان بدل الرجل الآخر وتكون الثلاثه ﴿ ممن ﴾ أى من الذين ﴿ ترضون ﴾ اي ترضون بهم ﴿ من الشهداء ﴾ وشرط الشهادة ان يكونا متيقنين لما يشهدان بهِ وان لا تجرى عليهما بالشهاده منفعةٌ • وان لايدفع عنهما مضرة وان لا يكون بينهما وبين المشهود عليه عداوةٌ • ولا بينهما وبين المشهود له مودةٌ خالصة أو قرابةٌ خاصه • وانما يكون بدل الرجل الآخر امرأتان مخافه ﴿ ان تضل ﴾ أي لاتهتدي ﴿ احداهما ﴾ للشهادة بالنسيان لضعف ادراك النساء ونقص عقولهنّ ﴿ فتذكر احداهما ﴾ أي احدى المرأتين وهي الذاكرة ﴿ الأخرى ﴾ وهي الناسية

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

(١) ﴿ وَلاَ يأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلاَ تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَنْ لاَ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ لاَ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي ٱؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

ثم انه سبحانه وتعالى كما أمر الكاتب فيما تقدم ان لا يمتنع عن الكتابة أمر هنا الشاهد ايضاً ان لايمتنع عن تحمل الشهادة اولاً وعن أدائها ثانياً اذا طلبه اليها صاحب الحق فقال تعالى ﴿ ولا يأب ﴾ أي ولا يمتنع ﴿ الشهداء اذا ما دعوا ﴾ أي اذا طلبوا لتحمل الشهادة أو لأدائها

(١) وقد ذكرنا هذه الآية الشريفة في قسم الاوامر وان كانت نهياً في الابتداء ولكنها اشتملت على الأمر الذي هو (واشهدوا) الخ

عـنـد احتياج صاحب الحق اليها • وبعد ان بين ما يجب من الـكتابة والاشهاد بين انهُ لا يكسل عن كتابة الدين لصغره فقال ﴿ ولا تسأموا ﴾ أي ولا تملوا وتكسلوا ﴿ أن تكتبوه ﴾ أي الدين الذي جرت العادة بكتابته سواء كان ﴿ صغيراً ﴾ أي قليلاً ﴿ أو كبيراً ﴾ أي كثيراً بشرط ان يعـدّ مقداره في عرف الناس ديناً ولا بد ان يكتب الكاتب جميـع الشروط حتى ينتهي ﴿ الى أجله ﴾ أي وقت الدين المتفق عليـه بينهما ﴿ ذلكم ﴾ أي الذي امرتكم به من الـكتابة والاشهاد ﴿ اقسط ﴾ أي أعدل ﴿ عـنـد الله ﴾ معـلوم ﴿ وأقوم ﴾ أي أعون ﴿ للشهادة ﴾ أي على اقامتها ﴿ وادنى ﴾ أي اقرب ﴿ ان لا ترتابوا ﴾ أي لا تشكوا يعني والـكتابة والاشهاد على الحق أقرب لكم من عدم الشك فيه ﴿ الا أن تكون ﴾ التجاره التي تتعاملون بها ﴿ تجارة حاضرة ﴾ معلوم ﴿ تديرونها ﴾ أي تقبضونها ﴿ بينكم ﴾ بلا أجل ومعنى هذه الجملة انكم اذا تداينتم بدين مؤجل لا بد لكم من الـكتابة والاشهاد عليه بخلاف ما اذا وقعت بينكم معاملة بالنقد حاضرةٌ في المجالس ﴿ فليس عليكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ جناح ﴾ أي ضرر ﴿ ان لا تكتبوها ﴾ أي التجارة الحاضرة • وانما رخص سبحانهُ وتعالى لعباده في جواز ترك الكتابة والاشهاد في هذا النوع لانهُ يقع بينهم كثيراً فلو كلفهم فيه بالكتابه له والاشهاد عليه لـكان في ذلك تضييق عليهم وايضاً مثل هذا النوع يكون الانكار فيه نادراً ﴿ واشهدوا ﴾ على كل بيعٍ خوفاً من النزاع

بينكم اذا ﴿ تبايعتم ﴾ أي اذا حصل بينكم بيع ﴿ ولا يضار ﴾ أي ولا يضر ﴿ كاتب ﴾ أي كاتب الحقوق أحداً من المتعاملين بزيادة أو نقص فيه لغرض دنيويّ ﴿ ولا ﴾ يضار ﴿ شهيد ﴾ من الشهود أحداً بتغيير الشهادة أو ترك الاجابة اذا طلب اليها ﴿ وان تفعلوا ﴾ ايها الكتاب والشهود ما نهاكم الله عنه ﴿ فانهُ ﴾ أي فعلكم المنهيّ عنهُ ﴿ فسوق ﴾ أي خروج ﴿ بكم ﴾ عن أمر الله وطاعته * ثم حث سبحانهُ وتعالى على العمل الصالح مطلقاً فقال ﴿ واتقوا الله ﴾ في اوامره ونواهيه ﴿ ويعلمكم الله ﴾ العلوم الظاهرة والباطنة التي بها صلاح دينكم ودنياكم ﴿ والله بكل شيء ﴾ من اعمال عباده ﴿ عليم ﴾ فيجازي كلاً منهم بعمله * ثم انهُ سبحانه وتعالى قسم البيع الى ثلاثة اقسام • بيع بكتابة وشهود وقد تقدم في الآية السابقة • وبيع برهان مقبوضة • وبيع بالامانة • وقد بين الثاني والثالث في هذه الآية فقال تعالى ﴿ وان كنتم على سفر ﴾ أو غيره وحصلت بينكم معاملة فيها دين ﴿ ولم تجدوا كاتباً ﴾ أو وجدتموه ولكن لم تجدوا ادوات الكتابة ﴿ ف ﴾ يلزمكم ﴿ رهان مقبوضة ﴾ تستوثقون بها بدل الكتابة والشهود • ثم انهُ سبحانهُ وتعالى ذكر بيع الامانة وهو القسم الثالث فقال ﴿ فان أمن بعضكم ﴾ وهو المعطي صاحب الدين ﴿ بعضاً ﴾ أي المديون الآخذ للشيء في ذمته ولم يأخذ منه البائع رهناً في مقابلته لحسن ظنه ووثوقه بهِ ﴿ فليؤدّ ﴾ فليدفع المديون ﴿ الذي اؤتمنَ ﴾ على الدين ﴿ امانته ﴾ أي دينه الذي ثبت في ذمته ﴿ وليتق ﴾ المديون ﴿ الله ربه ﴾ فلا

يخطر بباله انكار ولا خيانه للدين . ثم شدّد سبحانه وتعالى على عباده في النهي عن كتمان الشهادة فقال تعالى ﴿ ولا تكتموا الشهادة ﴾ أي لا تمتنعوا من أدائها عند الحاجه الى اقامتها فان في كتمانها ضياعاً لمال الناس وضياع اموالهم كضياع ارواحهم لاستوائهما في الاحترار ﴿ ومن يكتمها ﴾ أي الشهادة وهو عالم بها ﴿ فانهُ آثم ﴾ أي فاجرٌ مذنبٌ ﴿ قلبهُ ﴾ وانما خص القلب بالفجور والذنب لان افعال الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحصل في القلب من الدواعي الشهوية الغضابية ﴿ والله بما ﴾ أي بالذي ﴿ تعملون ﴾ أي تعملونهُ من الضرر وغيره ﴿ عليم ﴾ لا يخفى عليه شيء انتهى*

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَآءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

﴿الباب الثاني في تفسير ما ورد من الاوامر﴾

(في سورة آل عمران)

ارسدنا حل تناوه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى كيفية تعطيمه والثناء عليهِ • وأرشدنا ايضاً الى انا اذا طلبنا منهُ شيئاً نكون معتقدين انهُ اذا تفضل بخير على عباده لايمكن غيره ان يمنعهُ واذا احرمهُ منهُ لايمكن احداً غيره ان يعطيه له وان الخير والشر كله منه تعالى فقال ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿اللهم﴾ أي يا الله ﴿مالك الملك﴾ أي يامالك كل الملكِ فلا يتصرف فيه تصرف الملاك غيرك • فهوتعالى مالك لافعال العباد حتى ان قدرتهم على كل ما يقدرون عليهِ ظاهراً من أي فعل لا تكون الا باقتداره تعالى فهو الذي يقدر كل قادر على كل ما يقدر عليهِ ويملكُ كل مالك مملوكه • فهو المالك والمتصرف والموثر في الحقيقة • ثم بعد ان أجمل جميع الملك فصلَ في بعضه فقال ﴿ توتي ﴾ أى تعطي يا الله ﴿ الملك ﴾ اي التسلط الظاهريّ وهو الاقتدار على المال بجميع انواعهِ • وعلى الجاه كالهيبة والوجاهة والغلبة ونفوذ الكلمة • تعطى كل ذلك ﴿ من تشاء﴾ أي لمن تريد ان تعطيه له بفضلك لا بوجوب عليك فتجعل من امكنتهُ ملكاً بارادتك متسلطاً عليهِ بالملكة في الظاهر فأنت تعطي ﴿ وتنزع ﴾ أي تأخذ ﴿الملك ممن تشاء ﴾ ايضاً وذلك بأن تجعله في يد غيره يتصرف فيه ولكن في الحقيقة ليس غيره في الوجود سواك فأنت المتصرف فيه على كل حال وانما ينقل الملك من يدٍ الى يدٍ حسب ارادتك ﴿ وتعز من تشاء ﴾

أي تجعله عزيزاً بالقاء نور من انوار عزتك عليه ﴿ وتذل من تشاء ﴾ أي تجعله ذليلاً بسلب تلك الانوار عنهُ • وتكون العزة والذلة في الدنيا والآخرة * فالعزة في الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة والقاء الهيبة في قلوب الخلق • والتقوى * والعزة في الآخرة بالدرجات العليا * والذلة في الدنيا • كسلب العقل السليم الفارق بين الحق والباطل * والذلة في الآخرة كالحرمان من الدرجات العليا * وكل ذلك بتقديره الأزلي تبارك وتعالى • فكأنهُ يقول يا الله أنت المالك والمعطي والآخذ والمعز والمذل ويحصل ﴿ بيدك ﴾ أى بقدرتك ﴿ الخير ﴾ أى جميع الخيرات وليس في يد غيرك منها شيءٌ ف ﴿ انك على كل شيء قدير ﴾ معلوم ﴿ تولج ﴾ أى تدخل ﴿ الليل في النهار وتولج النهار في الليل ﴾ • وذلك بأن يجعل الله الليل قصيراً ويدخل ما نقص منه في النهار ويجعل النهار قصيراً ويدخل ما نقص منهُ في الليل فان في كل منهما نظام العالم ﴿ وتخرج الحي ﴾ اي المؤمن • أو الحيوان ﴿ من الميت ﴾ اي من الكافر أو النطفة(١) ﴿ وتخرج الميت من الحي ﴾ ومعناه ان الله تعالى شبه اخراج الشخص من ظلمات الكفر الى نور الايمان بالحيات لان الايمان بالله يحيي القلب • وشبه اخراج الشخص من نور الايمان الى ظلمات الكفر بالموت لانه محجوبٌ عن نور الايمان ﴿ وترزق ﴾ اي تعطي من خزائن

(١) أو النطفة • كاخراج الشخص الحي من الميت وكاخراج الدجاجة من البيضة وبالعكس *

بفضلك ﴿ من تشاء ﴾ اي من تريد أن توسع عليه ﴿ بغير حساب ﴾ اي بغير محاسبة لك فان نعم الله لاتعد ولا تحصى * انتهى

قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

ولما ادعوا محبة الله تعالى بدون اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت المحبة بدون ذلك لاتجدي نفعاً . ولكنهم لما زعموا نفعها قال الله تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وسلم للرد عليهم في زعمهم ذلك ﴿قل﴾ يامحمد لمن يدعي انه يحب الله ولم يتبعك ﴿ ان كنتم ﴾ ايها المدعون محبة ربكم ﴿ تحبون الله ﴾ محبة خالصة وتريدون منازل القرب عنده وتنالوا في الآخرة مشاهدة انوار جماله وتفرحون بجوار أنسه ﴿فاتبعوني﴾ اي فاقتدوا بي في أقوالي وافعالي فاذا سلكتم طريقتي ﴿ يحببكم الله ﴾ ويجعلكم من اهل القرب منهُ والتنعم بمشاهدته فاني حبيبه فكل من يدعي محبته لزمه اتباعي لأن محبوب المحبوب محبوبٌ . فاذا تابعتموني حق المتابعة وسلكتم طريقتي في القول والعمل الظاهري والباطني يرفعكم الله مكاناً علياً ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ اي يسترعيوبكم ولم

يعاقبكم على ذنب ﴿ والله غفورٌ ﴾ لمن أخطأ في عمله ثم أخلص في التوبة بعد ما ظهر له الحق ﴿ رحيم ﴾ اي محسنٌ به * ثم لما أنزل الله هذه الآية قالت المنافقون ان محمداً يريد ان نجعل طاعته ومحبته له كطاعة النصارى ومحبتهم لعيسى عليه السلام ويأمرنا بذلك من غير ان يخبره الله به فأنزل الله تعالى ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ اطيعوا الله ﴾ اي اتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه ﴿ واطيعوا الرسول ﴾ في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه فانه من عندي ﴿ فان تولوا ﴾ اي فان اعرضوا عن اتباع الله ورسوله ﴿ فان الله لايحب ﴾ أي لاينظر اليهم بعين الرضاء والرحمة ﴿ الكافرين ﴾ اي المشركين المنكرين لوحدانيته تعالى

﴿ تابع ما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

ولما قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى رباً • وقالت النصارى مانريد ان نقول فيك الا كما قالت اليهود في عزير انهُ ابن الله • قال الله تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم للرد عليهم ﴿قل﴾ يامحمد ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ يعنى يا أصحاب التوراة والانجيل من اليهود والنصارى ﴿ تعالوا ﴾

أي التفتوا مقبلين بعقولكم ووجهوا النظر والفكر ﴿ الى كلمة ﴾ أقولها لكم ﴿ سواء ﴾ أي لا ضرر فيها بل فيها عدل وانصاف لا ميل فيه من احدنا على الآخر وتلك الكلمة ايضاً مستويه ﴿ بيننا وبينكم ﴾ لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل • وتفسير الكلمة المذكورة هو ﴿ ان لا نعبد ﴾ أي لا نخص بالعبادة احداً ﴿ الا اللهَ ﴾ * ﴿ ولا نشرك به شيئاً ﴾ أي ولا نجعل له شريكاً في الالوهيه بل كل ما سواه مخلوق له وموجود بعد عدم ﴿ ولا يتخذ ﴾ أي ولا يجعل ﴿ بعضنا بعضاً أرباباً ﴾ أي آلهة قادرين فنتبعهم فيما تأمرنا بهِ من الاحكام المخالفة لما أمرنا به ربنا كالركوع والسجود الذين لا يليقان الا لمن خلق الموجودات من العدم • وهو الذي نسميه نحن معاشر المؤمنين الهاً ورباً • ومن العبث والجهل أن نتخذ ﴿ من دون الله ﴾ رباً والهاً وانما دعاهم الى هذه الامور الثلاثة لان النصارى جمعوا بينها فعبدوا غير الله • وهو المسيح عليهِ السلام واشركوا معه غيره في الألوهية لانهم اثبتوا أموراً ثلاثةً وسموها أقانيم • يعني أصول وهي (الأب) (والابن) (وروح القدس) والأب عندهم هو ذات الله • والابن هو النطق المسمى بالكلمه • وروح القدس هو الحياة • ثم قالوا ان جسد عيسى عليهِ السلام جعلته الكلمه درعاً لها فتجسمت • وأقنوم روح القدس جعلت جسم مريم درعاً لها فتجسمت أيضاً • وقالوا ان هذه الأقانيم أي الاصول الثلاثة اجتمعت وصارت الهاً واحداً • وهو باطلٌ لان أقنوم الكلمه واقنوم روح القدس لو لم يكونا ذاتين

مستقلتين لما صحابهما يفارقان ذات الأب ويتدرعان بجسم عيسى ومريم عليهما الصلاة والسلام فيكونون قد أثبتوا ثلاث ذوات مستقله • وحيث اثبتوا هذه الثلاثه مستقله • وهي الأب والابن وروح القدس • كما ذكرنا فقد اشركوا بالله ثلاثة اسماء متباينين • ام جعلوه مركباً من هذه الثلاث • لكن قولهم ان هذه الثلاثة اتحدت وصارت الهاً واحداً لا يتصوره عاقل لانه لا يصح أن يتصور في العقل وفي الحساب شيء يسمى واحداً ويسمى ثلاثه • بل بطلان ذلك أمر متفق عليه عند كل عاقل لانه قبل وجود المسيح ما كان المعبود الا الله وحده فيجب بالضرورة ان يبقى الأمر بعد ظهور المسيح على ما كان قبله من افراد الله سبحانه وتعالى بالعبودية • لأن القول بالاشتراك في الالوهية بعد الانفراد بها لا يقوله الا من عميت بصيرتهُ وانطفى نور عقله وغلب عليهِ عناد الاستبداد الموروث من آبائهِ واجداده حتى منعهُ عن طريق الهدى ولم يدر انهُ اعتقد المستحيل • لانهُ لاحكم ولا وجود الا للهِ الأولِ الموجد كل شيء * ثم ان الله تعالى بعد ما أمر نبيه ان يدعوهم الى الكلمه المشتمله على الأمور الثلاثه المذكورة قال له ﴿ فان تولوا ﴾ أي فان أعرضوا عما دعوتهم اليهِ من كلمة العدل التي أمرتك بدعائهم اليها ﴿ فقولوا ﴾ ايها المؤمنون للمعرضين عن ذلك ﴿ اشهدوا ﴾ أي اقروا انتم ﴿ بأنا مسلمون ﴾ أي معترفون مقرون بوحدانيه الله تعالى وانتم بانكاركم وحدانيه الله تعالى بعد ما تبين لكم الحق في هذه الآيه الكريمه تعدّون من الكافرين انتهى *

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

(فصلٌ) روي أنهُ لما فتح النبي صلى الله عليهِ وسلم مكه وجدوا في مقام (١) سيدنا ابراهيم عليهِ وعلى نبينا الصلاة والسلام ثلاث كتب (الكتاب الاول) مكتوبٌ فيهِ أنا الله ذو بكةَ وضعتها يومَ وضعتُ الشمسَ والقمرَ وحففتها بسبعة افلاكٍ حفاً وباركتُ لاهلها في اللحم واللبن (والكتاب الثاني) مكتوبٌ فيه انا الله ذو بكهَ خلقتُ الرحمَ وشققتُ لها اسماً من اسمي من وصلها وصلتهُ ومن قطعها قطعتهُ (والكتاب الثالث) مكتوبٌ فيهِ انا الله ذو بكهَ خلقت الجنَّ والانسَ فطوبى لمن كان الخيرُ على يديهِ وويلٌ لمن كان الشر على يديهِ • وقد يستدلُّ على ذلك بما روي أن النبي صلى الله عليهِ وسلم قال يومَ فتح مكهَ (ألا ان الله قد حرَّمَ مكةَ يومَ خلق السموات والارضَ) ووجهُ هذا الدليل ان تحريمَ مكةَ لا يمكنُ الا بعد وجودها • وقد سماها الله تعالى في كتابهِ العزيز بأم القرى

---

(١) المراد من المقام هنا هو المكان الذي كان يقف فيه سيدنا ابراهيم الخليل عند بنائه الكعبة المعظمة

وهده التسمية تقتضي سقها على بقاع الأرض • ولما كان التكامف بالصلاة ثابتاً في جميع اديان الانبياء • ومعلوم ان الصلاة لا بدّ لها من قبلةٍ أخبر الله تعالى عنها في هاتين الآيتين انها أولُ بيت وضعَ للناس * ولما كان الحج من اعظم شعائر الدين بين الله تعالى في الآية الأولى والثانية فضيلةَ البيت الحرام ليبني عليها ايجابُ الحج لان بعض اركانهِ متعلقة بالبيت المذكور فقال ﴿ ان أول بيت وضع للناس ﴾ أي انّ اسبقَ بيت وضعهُ الله تعالى لعبادة الناس وطاعتهم ويتوجهون نحوه من جميع الاقطارِ ﴿ الذي ﴾ أي للبيت الذي ﴿ ببكه ﴾ أي في مكه حال كونه ﴿ مباركا ﴾ أي كثير الخير والنفع ﴿ وهدى ﴾ أي وهدايه ﴿ للعالمين ﴾ وانما كان البيتُ الحرامُ مباركا لان من حجهُ واعتمره واعتكفَ عنده وطاف حوله يحصل له جزيل الثواب وتكفير الذنوب *

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْف صَلَاةٍ فِيما سِوَاهُ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وقال صلى الله عليه وسلم أَلْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةَ) *

ولو استحضر العاقل في نفسه أن الكعبة كانا طه وأن صفوف المصلين

اليها من جميع أقطار الأرض كالدوائر المحيطة بمركز النقطة • ولا شك أنهُ يوجد في هؤلاء المصلين أشخاصٌ أرواحهم علويةٌ وقلوبهم قدسيه وأسرارهم نورانيهٌ وضمائرهم ربانية لعلم أنهُ اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت أجسادهم هـذه الكعبة الحسية اتصلت أنوار أولئـك الأرواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره • وانما كان هدًى للعالمين لأنهُ قبلتهم ومعبدهم • ويدل على وجود الصانع تعالى وصدق سيدنا محمدٍ صلى الله عليهِ وسلم لان ﴿ فيـه آيات بينات ﴾ اي واضحاتٍ عجيبات دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته • وهي كثيرة فمنها أن الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها اذا وصلت الى مايقابلها من الجو • ومنها أن الحيوانات المتنافرة في الطبائع اذا اجتمعت في حرمهِ لايؤذي بعضها بعضاً كالكلاب والظباء • ومنها قهر الله تعالى لـكل جبارٍ قصد هـذا البيت بسوءٍ كأصحاب الفيل الذين ثبتت قصتهم بالـكتاب العزيز • ومنها أن الآمر ببنائه الرب الجليل • والمهندس جبريل • والباني له ابراهيم الخليل • وتلميذه ابنه اسماعيل • ومنها مقام ابراهيم أي أثر قدميه عليهِ الصلاة والسلام في الصخرة التي كان يقوم عليهـا وقت رفع الحجارة لبناء هذا البيت عند ارتفاعه فبقي أثر قدميه على هذا الحجر الى اليوم • وهـذا الحجر يصح ان يكون وحده بمنزلة آياتٍ كثيرةٍ لظهور شأنه وقوة دلالتهِ على قدرة الله تعالى وعلى نبوة سيدنا ابراهيم عليهِ الصلاة

والسلام • ومنها الأمن اكل داخل فيه كما قال تعالى ﴿ ومن دخله ﴾ اي ومن دخل هذا البيت ﴿ كان آمناً ﴾ من التعرض له بالأذى في الدنيا بل ومن النار في الآخرة • قال النبي صلى الله عليه وسلم (من كان في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمناً) *
ولما بين تعالى فضائل البيت الحرام شرع في بيان وجوب الحج فقال ﴿ ولله ﴾ أي ويجب لله ﴿ على الناس حج ﴾ أي قصد ﴿ البيت ﴾ الحرام على الوجه المخصوص المعهود وهؤلاء الناس الذين يجب الحج عليهم هم ﴿ من استطاع اليه سبيلا ﴾ أي من أمكنهم الوصول اليه *

(فصل) اعلم ان الحج لا يجب على الشخص في عمره الا مرة واحدة * لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهُ قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالَ

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَقَامَ الأَقْرَعُ ابْنُ حَابِسٍ فَقَالَ أَفِي كُلِّ عَامٍ يا رَسُول الله فقال لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهَا • أَلْحَجُّ مَرَّةٌ فَمَنْ زَادَ فَتَطَوُّعٌ) *

وقد يجب اكثرَ من مرةٍ واحدة لعارض كالنذر والقضاء اذا فسد الحج الاولُ • ويشترط في صحة الحج الواقع عن حجة الاسلام ثلاثة شروطٍ (الاول) الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومهِ وصلاتهِ *

(والسرط الثاني والتالت) التكليف والحريه فغير المكلف كالصبي والمجنون لا يكون حجهُ واقعاً عن حجة الاسلام • وكذلك الرقيقُ • والدليل على صحة ما قلناه قول النبي صلى الله عليهِ وسلم أيما صبيٍّ حجَّ تم بلغ فعليه حجة الاسلام • وايما عبد حجَّ ثم عتق فعليهِ حجة الاسلام • والحكمة في دلك ان الحج لما كان عبادة تجب في العمر مرة واحدة اعتبر الشارع وقوعها في حالة الكمال وهي حالة التكليف • فلا تصح مباشرتهُ من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات • ويصح الاحرام والحج من الصبي المميز اذا كان باذن وليهِ * ثم ان حجةَ الاسلام لا تكونُ واجبة على المكلف الا بشرط زائد على الشروط المذكورة وهو الاستطاعه التي نبت بهذه الآية * ثم قال الله سبحانهُ وتعالى ﴿ ومن كفر ﴾ أي ومن أعرض عن الحج مع القدرة عليهِ بهوى النفس ﴿ فان الله غني ﴾ عنهُ و ﴿ عن العالمين ﴾ كلهم فلا يلتفتُ سبحانهُ وتعالى الى المعرض عن الحج لبعده ولكونهِ غير قابل لرحمتهِ تعالى واقعاً في ذل الحجاب وهو ان الحرمان مخذولا مردوداً * وانما قال تعالى ومن كفر ولم يقل ومن لم يحج تأكيداً لوجوب الحج وتشديداً على تاركه • ومن الاحاديث التى وردت في تأكيد وجوب الحج قوله عليهِ الصلاة والسلام (حجوا قبل ان لا تحجوا فانهُ قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة) • وروي من طريق آخر (حجوا قبل ان لا تحجوا • حجوا قبلَ ان يمنع البرُّ جانبهُ) أي قبل ان يتعذر عليكم الذهاب

الى مكة من جانب البر لعدم الأمن أو غيره • انتهى
(فصل) اعلم ان هذه الآية الكريمة قد حازت مالا مزيد عليهِ من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركهِ حيث كان ما فيها من انواع التأكيدات يفيد انهُ حق واجب لله سبحانهُ وتعالي في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائهِ والخروج عن عهدتهِ • وقد بالغ تعالى في هذا التشديد حتى عبر عن ترك الحج مع الانكار لوجوبهِ بالكفر • حيث قال تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وجعل جزاءه استغناءه تعالى عن العالمين الذي يفيد شدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه تعالى قد أعرض عنهُ واسقطه عن درجه الاعتبار بل عن جميع العالمين ممن فعل الحج وممن تركه منكراً وجوبه•انتهى• نسأل الله سبحانهُ وتعالى ان لا يجعلنا من التاركين المنكرين فرائضه آمين •

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
أمر الله سبحانهُ وتعالى نبيه صلى الله عليهِ وسلم ان يخاطب أهل الكتاب

من اليهود والنصارى ايضاً ويوبخهم في هاتين الآيتين على مايفعلونه من المخالفة والانكار للألوهيـه والعداوة والعصاء للمسلمين المؤمنين بوحدانيتهِ ومن خلطهم الحق بالباطل لأجل أن يعتنوا ويصرفوا بهِ أهل الاسـلام عن طريق الهدى • ووعظهم فيها أيضاً حتى أنهـم ينزجروا ولا يعودون لمثل هـذه القبائح فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لليهود والنصارى الذين يدّعون أنهم على الدين الحق ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ من التوراة والانجيل ﴿ لم تكفرون ﴾ أي لم تنكرون ﴿ بآيات الله ﴾ أي بحجج الله التي دلتكم على صدق محمد صـلى الله عليهِ وسـلم بعد ما بينها لكم في كتبكم وأبطل عنكم الشبهات والشـك في نبوتهِ حتى انكم تعلمون صدقه فكون كفركم بالله ورسوله بعد تأملكم ممـا بينه الله في كتبكم تعمداً ﴿ والله شهيد ﴾ اي بصير عليم ﴿ على ما تعملون ﴾ أي على ما تعملونه فيعاقبكم عليهِ • ثم انهُ تعالى بعد ما وبخهم على ضلالهم وبخهم ثانياً على اضلالهم فقال ﴿ قل ﴾ ايضاً لهم يا محمد ﴿ يا أهل الكتاب لم تصدون ﴾ أي لم تصرفون ﴿ عن سبيل الله ﴾ أي عن طريق الله التي شرعها لأنبيائه ولجميع المؤمنين ﴿ من آمن ﴾ أي من صدق بالله ورسوله وبما جاء به ﴿ تبغونها ﴾ أي تطلبون لهـا أي لسبيل الله الحق المعقول ﴿ عوجاً ﴾ اي ميلاً عنهُ عـلى أفكاركم ومعتقداتكم الباطلة ﴿ وأنتم شـهداء ﴾ أي وأنتم عالمون بأن الطريق التي تريدون أن تميلوا عنها عباده حق صحيحٌ معقولٌ تجدونه مفصلاً في كتبكم ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ أي ليس الله بغافل عن

اعمالكم الباطلة الغير المعقولة التي تريدون ان تجعلوها حقاً وتفسدوا بها أعمال خلقكم من أولادكم والناس أجمعين . وظاهر الخطاب في هاتين الآيتين مع أهل الكتاب . واما باطنه فهو مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون . انتهى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ *

لما حذر جل ثناؤه المؤمنين في الآيات السابقة من اضلال الكفر أمرهم في هذه الآيات بأتم الطاعات وأكمل الخيرات فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ اي خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب

معاصيه ﴿ حق ﴾ اي واجبَ ﴿ تقاته ﴾ اي خوفه وهو ان يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى وان تقولوا الحق ولو على انفسكم ﴿ولا تموتن﴾ ايها المؤمنون بالله ورسوله ﴿الا وأنتم مسلمون﴾ لربكم اي خاضعون له بالطاعه مخلصون له في الاقرار بالالوهية ﴿ واعتصموا ﴾ اى تمسكوا ﴿ بحبل الله ﴾ اى بدين الله و بعهده الذي بينها لكم في كتابهِ وهو المحبة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله • فان طريق الحق صعبه والسائر عليها يخاف عليهِ ان يَزِلَّ قدمه فيقع في بحر الخسران • فان المراد بالحبل هنا مايتوصل بهِ الى الاستمرار والثبات على الحق فتمسكوا به ﴿ جميعاً ولا تفرقوا ﴾ لان الحق لا يكون الا واحداً وما بعد الحق الا الضلال ويد الله مع الجماعة • ثم انهُ تعالى ذكرهم نعمته عليهم في الدنيا وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم العداوة والحروب المتصلة فألف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فقال ﴿ واذكروا نعمه الله عليكم ﴾ اي ما انعم به عليكم من المحبة والاجتماع على الاسلام ﴿اذ﴾ اي حين ﴿ كنتم ﴾ في الجاهليه ﴿اعداء﴾ بشرككم بالله وعداوتكم حتى كان ينشأ منهُ قتل بعضكم بعضاً في غير طاعة الله ورسوله ﴿ فألف ﴾ اي فجمع الله بالاسلام ﴿ بين قلوبكم فأصبحتم ﴾ اى فصرتم ﴿ بنعمتهِ ﴾ اي بنعمه الله تعالى عليكم بالاسلام ﴿ اخواناً ﴾ تحت رحمة الله متحابين متناصحين • و بيان ذلك ان من كان ناظراً الى الدنيا فلا يخلوا حاله من معادات ومناقشه بسبب الاعراض الدنيوية وأما من كان قلبه ناظراً متوجهاً الى الخالق سبحانهُ وتعالى

فانهُ يرى جميع الخلق أسيراً في قبضة القضاء والقدر • فلا تحصل منهُ العداوة لاحد ابداً لانهُ حينئذ ناظر بسرّ الله وتصريفهِ في القدر • فاذا أمر ذلك الناظر احداً بأمر أمره برفق ولين لا تصعير به وشدة وكان حبهُ في جرب الله وأهله واخوانه في الدين أشدّ من حب الوالد لولده حتى يكونوا بذلك كالاقربين بل كجسد واحد ونفس واحدة • ثم انهُ تعالى ذكرهم بالنعمة الاخروية فقال ﴿ وكنتم ﴾ يامعشر المؤمنين ﴿ على شفا ﴾ اى على طرف ﴿ حفرة من النار ﴾ اي على طبقة فاسقة موصلة الى الحرمان والتعذيب بسبب كفركم الذي كنتم عليهِ قبل الاسلام ﴿ فانقذكم ﴾ اى فاخرجكم وخلصكم الله ﴿ منها ﴾ اي من تلك التعذيبات والحرمان من الاسلام الذى هداكم اليه * ثم أنهُ كما بين لكم ربكم في هذه الآيات ايها المؤمنون ما اضمره لكم علماء اليهود من الغش وبين لكم فيها ايضاً ما أمركم به من الطاعات وما نهاكم عنه من المنهيات مع شان الحالة التى كنتم عليها في الجاهلية والتي صرتم عليها في اسلامكم ﴿ كذلك يبين ﴾ أي يظهرُ ﴿ الله لكم آياته ﴾ أي حججه في كتابه ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أى لأجل ان تهتدوا الى طريق الرشاد وتسلكوها فلا تضلوا عنها • ثم انه جلت قدرته رغب المؤمنين الكاملين في دعوة غيرهم الى التكميل فقال ﴿ ولتكن منكم ﴾ أي من جملتكم ايها الكاملون في الايمان ﴿ أمة ﴾ أي جماعة عالمون عاملون عارفون بالله ﴿ يدعون ﴾ الناس ﴿ الى الخير ﴾ أي الى شرائع الاسلام التي شرعها الله لعباده فان من لم يعرف الله

لم يعرف الخير ثم ان الخير • قسمان بينهما الله بقوله ﴿ ويأمرون ﴾ الناس ﴿ بالمعروف ﴾ وهو كل أمر واجب أو مندوب في الدنيا يتقرب بهِ الى الله تعالى ويصير فاعله طائعاً محموداً ﴿ وينهون ﴾ الناس ﴿ عن المنكر ﴾ وهو كل محرم أو مكروه في الدنيا يبعد فاعله عن الله تعالى ويصير عاصياً أو مقصراً مذموماً • فكل من كان متصفاً بهذه الاوصاف التي هي العلم والعمل والمعرفة يجب عليه ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فان الايمان منقسم الى ثلاث وسبعين شعبة أعلاها قول (لا اله الا الله) وأدنا بعد الاذى عن الطريق فالبيطر الداعى الى الخير في حال كل مكلف وغيره كالصبيان فعلهم الطاعة • وكالمجانين فيمنع عنهم الضرب والأذى من الناس • ثم يدعو كل انسان الى ما يليق بهِ مرتفياً في أمره ونهيهِ من السهولة الى الصعوبة في الامر والانكار • ويكون ذلك احتساباً لله لا رياءً ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانيه • ولا يخشى في الحق كبيراً فان درجة الدعوة الى الخير هي منصب النبي صلى الله عليهِ وسلم وخلفائهِ الراشدين • انتهى

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَخَلِيفَةُ رَسُولِهِ وَخَلِيفَةُ كِتَابِهِ) وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ

وَجِهَهُمْ أفضلُ الجِهادِ الأمرُ بالمَعْرُوف والنّهيُ عَنِ المُنكر)
وكفى بذلك مدحاً قوله تعالى ﴿ وأولئك ﴾ الداعون الى الخير ﴿ هم المفلحون ﴾ أي المختصون بالفلاح والفوز في الدنيا والآخرة • ثم ان الآمرَ بالمعروف والناهيَ عن المنكر يجب عليه ان لا يشرع فيهما الا بعد اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهمّ نفسه على مهم غيره لئلا يكون معدوداً من الذين يقولون ما لا يفعلون ومن الذين يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم • ويجب على العاقل ان ينظر لعيوبه قبل عيوب الناس (شعر)

وَغيرُ تَقِيٍّ يأمرُ النّاسَ بالتُّقى
طَبيبٌ يُداوي النّاس وهو مَريضْ

وقد ذمهم الله تعالى أيضاً بقوله (يَا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا لم تَقُولُون مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مقتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تقُولُوا مالا تفعلُونَ * وقال أيضاً أَتأمُرُونَ النَّاسَ بالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفسكُمْ) انتهى *
وقد مرّ الكلام عليها في صورة البقرة « انتهى • وعن داود الطائي انه سمع صوتاً من قبر يقول (ألم أرك ِ ألم أصلّ ِ ألم أصم ألم افعل كذا وكذا) • فأجيب بلى ياعدوّ الله • ولكنك كنت اذا خلوت بنفسك بارزتهُ بالمعاصي ولم تراقبهُ • ثم ان كثيراً من أهل هذا الزمان يعدّ نفسهُ أمام الناس من الواعظين واذا خلا بنفسه يحارب ربهُ بالمعاصي ولم يراقبه * وسيأتي

في سورة اللقمان من قسم النواهي تمام هذا الموضوع انشاء الله تعالى. وفقنا الله تعالى لما فيه صلاح الدنيا والدين *

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

(فصلٌ) اعلم ان الله تعالى اخبرنا في هذه الآيات الكريمة انهُ أعدَّ الجنةَ للمتقين دون غيرهم. ثم بين أوصاف المتقين فذكر بذلهم للاحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء فان من الناس من يبذل الاحسانَ في حالة اليسر والرخاء ولا يبذل في حالة العسر والشدة وهم خلافُ المتقينَ . ثم ذكر كفَّ أذاهم للناس بحبس الغيظ

بالكظم وحبس الانتقام بالعفو • فهذا حالهم مع خلق الله • ثم ذكر حالهم مع سبحانه وتعالى الذي يكون بينهم وبينه في ذنوبهم • فبين انها اذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الاصرار • ثم وعدهم بحسن الثواب والخلود في الجنة فقال ﴿وسارعوا﴾ أي وبادروا ايها المؤمنون ﴿الى مغفرة﴾ أي الى ما يكون سبباً في ستر ذنوبكم القبيحة • وهو الاخلاص في العمل والاتيان بجميع الطاعات الحميدة الحسنة والتباعد عن كل المنهيات فان فعلتم ذلك أمنتم العقاب ﴿من ربكم﴾ أي من خالقكم ﴿و﴾ أي وسارعوا ايضاً الى ما يكون سبباً في تحصيل ﴿جنة﴾ موصوفة بانها ﴿عرضها السموات والارض﴾ أي عرضها مثل السموات والارض • والمعنى انه لو جعلت السموات السبع سبع طبقات والارضون السبع مثلها وألصقت الطبقات بعضها ببعض تكون طبقاً واحداً مؤلفاً من أجزاء متصلة لكان ذلك مثل عرض الجنة • وهذا كناية عن كثرة اتساعها جداً وان كثرها وعظيم شأنها واحوالها لا يعلمها الا الله تعالى • ثم بين سبحانه وتعالى ان الجنة مهيأة لمن التزم طاعة الله تعالى وأعرض عن المعاصي فقال وتلك الجنة ﴿أعدت﴾ أي هيئت ﴿للمتقين﴾ أي العابدين الخائفين من ربهم ومن خالقهم ﴿الذين ينفقون﴾ أي يصرفون بعض ما يملكونه على المحتاجين ﴿في السراء﴾ أي في حالة الغنى ﴿والضراء﴾ أي وفي حالة الفقر فلا يخلوا حالهم من الانفاق لما قدروا عليه ﴿والكاظمين﴾ أي والحابسين ﴿الغيظ﴾

أي الغضب على من يتعدى عليهم مع قدرتهم على تنفيذ ما يريدونه من الانتقام منه ﴿ والعافين عن الناس ﴾ أي التاركين عقوبة من تعدى عليهم • والتاركين ايضاً حقهم لمن تعسر عليه أداءه فلا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه بالجفاء ويعفو عمن ظلمه ويعطي من بخل عليه بما عنده ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ أي يحب كل محسن لعباده وخصوصاً المذكورين في هذه الآية فان من انواع الانفاق الانفاق بالعلم والسعي في ايصال الخير والنفع الى الغير * ومن اوصاف المتقين ايضاً قوله تعالى ﴿ والذين اذا فعلوا ﴾ أي عملوا ﴿ فاحشة ﴾ أي كبيرة من الكبائر المذمومة باختيارهم كالربا وغيره ﴿ أو ظلموا انفسهم ﴾ بنقصهم حقوقها بسبب ارتكاب الصغائر كلمس النساء المحرمة بشهوة ﴿ ذكروا الله ﴾ أي ذكروا عظمته وما يكون من الوعيد في ذلك من العذاب ﴿ فاستغفروا لذنوبهم ﴾ أي فبادروا بالتوبة الخالصة وهي الندم على الفعل الحاصل في الماضي والعزم على ترك مثله في المستقبل واما الاستغفار باللسان فقط فلا يفيد في العفو عن الذنب • وانما يحب اظهاره لازالة الوسوسة النفسانية ولبيان كون المستغفر قد أخلص ورجع الى الله تعالى ﴿ ومن ﴾ أي ولا ﴿ يغفر ﴾ للمسيئين ﴿ الذنوب ﴾ التي يرتكبونها ﴿ الا الله ﴾ فانه تعالى لكمال قدرته وغناه كما يريد عقوبة العبد ولكمال رحمته وعفوه يريد ازالة العقاب عنه • خصوصاً وان صدور الرحمة عنه تعالى أمر ذاتيّ ازليّ لقوله جلّ ثناؤه • سبقتْ رحمتي غضبي فيكون جانب العفو والمغفرة

أقوى من جانب العقوبة والمؤاخذة فيجب على المسيئين انفسهم أن يلحقوا دونهم بالتوبة والاعتذار عما كسبته ايديهم ﴿ ولم يصروا ﴾ اي ولا يداوموا ﴿ على ما فعلوا ﴾ أي في عملتهم من قبح فعلهم مع ترك الاستغفار ﴿ وهم يعلمون ﴾ انما ارتكبوه مذموم ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بتلك الاوصاف ﴿ جزاؤهم ﴾ اي ثوابهم على هذه الاعمال الحسنة ﴿ مغفرة ﴾ لما عملوه من السيئات ينالونها ﴿ من ربهم ﴾ اي خالقهم ﴿ وجنات تجري من تحتها ﴾ اي من حول اشجارها ﴿ الانهار خالدين فيها ﴾ اي متنعمين فيها بلذات دائمة ابدية ﴿ ونعم ﴾ هذا الحال الذي هو ﴿ اجر ﴾ اي جزاء ﴿ العاملين ﴾ على ما عملوه من البر والتقوى • وقد ذكرنا لك انها الواقف على سر كتابنا هذا في تفسير هذه الآيات ما يغني عن اعادته ثانياً في بيان معنى التوبة فتذكره في الآيات الآتية والله تعالى يتولى هداك اه

قوله تعالى ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

جعل الله تعالى هذه الآية خاتمة لهذه السورة لانها اشتملت على اسباب جامعة لسعادة الدنيا والآخرة فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ تقدم تفسيره • ثم لما كانت أحوال الانسان قسمين القسم الاول ما يختص به وحده فأمر المؤمنين فيه بالصبر فقال ﴿ اصبروا ﴾ أيها المؤمنون على

مشقة النظر والاستدلال على معرفة توحيد الله وعلى معرفة العدل بين الناس وعلى معرفة حقيقة النبوة والمعاد وعلى أداء الواجبات والمندوبات وعلى الاحتراز عن المنهيات وعلى شدائد الدنيا وآفاتها ومخاوفها • وهذا هو القسم الاول من القسمين المذكورين * والقسم الثاني ما لا يختص بالانسان وحده بل يشترك فيه مع أهل منزله وغيره من أصحابه واحبابه واهل مدينته • فأمرهم أيضاً فيه بالمصابرة فقال ﴿ وصابروا ﴾ أي واصبحوا بالصبر يا معشر المؤمنين بعضكم بعضاً بتحملكم الاخلاق المذمومة من الاقارب والاحباب وترك الانتقام منهم • و بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر • و بالجهاد لاعداء الدين بالحجة و بالسيف اذا لزم الحال لذلك • ثم انهُ لا بدّ للانسان في تكامله أقسام الصبر والمصابرة من قهر النفس وابطال قوتها البهيمية الاسدية • فلهذا أمر الله بالمرابطة فقال ﴿ورابطوا﴾ اي وثبتوا قلوبكم على الصبر والمصابرة على هذه الامور• ثم لا بدّ من ملاحظة جانب المولى تقدست صفاته في جميع الاعمال والاقوال لأجل ان تكون مقبولة عنده • فلهذا أمرنا بالتقوى فقال ﴿ واتقوا الله ﴾ اي خافوه واحذروا أن تخالفوا أمره وأن لاتجتنبوا نهيه ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ اي لأجل ان تفلحوا فتصبروا في النعيم الأبديّ انتهى *

﴿ الباب الثالث في تفسير ما ورد من الاوامر في سورة النساء ﴾

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا. وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا. وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا. وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾

لما كانت هذه السورة مشتملة على انواع كثيرة من التكاليف

كالامر بالتسفقة على الاولاد والنساء والأيتام • وكايصال حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم لهم وكالامر بالطهارة والصلاة والجهاد والدية وغير ذلك من تحريم المحرمات من النساء وتحليل غيرهن • ومشتملة ايضاً على غير التكاليف من السياسات ومكارم الأخلاق التي يكون بها صلاح المعاش والمعاد • افتتحها الله جل قدرته بأمر المكلفين بالتقوى وتعريفهم بمبدء وجودهم فقال ﴿ يا أيها الناس اتقوا ﴾ اي خافوا ﴿ ربكم ﴾ اي المربي لكم والمحسن اليكم ﴿ الذي خلقكم ﴾ اي اوجد من العدم شقيكم وسعيدكم ﴿ من نفسٍ ﴾ اي من ذاتٍ ﴿ واحدة ﴾ وهي آدم عليه السلام • وانما وصف سبحانهُ وتعالى نفسه بذلك ليعرّف عباده انه المنفرد بخلق جميع الانام من شخصٍ واحدٍ وان حق بعضهم على بعض واجب كوجوب حق الاخ على اخيه لانهم مجتمعون في النسب الى أبٍ واحدٍ فيلزمهم المناصفة بالعدل ولا يظلم بعضهم بعضاً وليجتهد القوي منهم في نصرة الضعيفِ كما يجتهد في نصرة نفسه • وليعرفهم ايضاً السبب في وجوب الامتثال لما كلفهم به • والسبب في الخضوع لاوامره ونواهيه • وهو انهم لما كانوا مخلوقين له وانفرد بخلقهم لزمتهم العبودية • ومن شأن العبد ان يطيع مولاه في كل ما يأمره وينهاه خصوصاً وان ايجاد المولى جلّ جلاله للعباد غاية من الاحسان • فيجب مقابلتها بغايةٍ من التذلل والخدمة الصادقة * وايضاً عرّفنا في هذه الآية ان في خلقِ اشخاصٍ غير محصورةٍ من انسانٍ واحدٍ مع تغايرِ اشكالهم واختلاف امزجتهم واخلاقهم دالاً ظاهراً وبرهاناً باهراً

على وجود مدبر مختارٍ حكيم قدير . ولو كان ذلك خلق بالطبيعة كما ظنه بعض الفرق الضالة لكانوا كلهم على شكل واحد * ثم انهُ تعالى اوجد هذه النفس الواحدةَ ﴿ وخلق منها ﴾ اي اوجد من تلك النفس الواحدة ﴿ زوجها ﴾ وهي حوّاء ﴿ وبث ﴾ اي نشرَ ﴿ منهما ﴾ اي من آدم وحوّاء ﴿ رجالاً كثيراً ونساء ﴾ من جنسكم من الامم الماضية الغابية * وفي وصف الرجال بالكثرة تنبيهٌ على ان اللائقَ بحالهم الاشتهارُ والظهورُ واللائقَ بحال النساء الاخفاء ثم قال ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به ﴾ اي الذي يسئل ويقسم بعضكم على بعض به فلا تردون القسمَ والسؤلَ به بل توفون ما تعهدتم عليه خوفاً منهُ تعالى ﴿ والارحام ﴾ اي واتقوا ايضاً حق الارحام اي الاقربين وصلوها ولا تقطعوها ولا يخفى ما في الآية من تعظيم حق الرحم الذي هو صلتها . ومن التشديد في النهي عن قطعه لانهُ وصلَ الأرحام باسمه تعالى فقال (لا تعبدون الا الله وبالوالدين احساناً وذي القربى) الخ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انهُ قال . قال الله عزّ وجلّ (أنا اللهُ وانا الرحمنُ خلقتُ الرّحِمَ وشققتُ لها اسماً مِنْ اسمي فمنْ وَصلها وَصلتهُ وَمنْ قطعها قَطعتهُ) ثم انهُ تعالى ختم هذه الآية بما يشير الى الوعد والوعيد فقال ﴿ ان الله كان عليكم ﴾ ايها الناس ﴿ رقيبا ﴾ اي مراقبا . ثم انهُ تعالى بعد ما امر بالشفقة على الضعفاء ممن لهم قرابة . امر ثانيا بالشفقة على قسم آخر من الضعفاء وهم اليتامى فقال ﴿ وآتوا ﴾ اي اعطوا ايها الوكلاء والاولياء ﴿ اليتامى

اموالهم ﴾ وهم الصغار الذين ماتت آباؤهم اذا بلغوا مبلغ الرجال واحسوا التصرف في مالهم بالرشد . لأنهم اذا وصلوا تلك الدرجة لايحتاجون الى وصيٍّ يقوم بأمرهم ﴿ ولا تتبدلوا ﴾ اي ولا تستبدلوا ﴿ الخبيث ﴾ اي الحرام الذي هو أخذ مال اليتامى ﴿ بالطيب ﴾ اي بالحلال الذي هو مالكم فتأكلوه مكانه ﴿ ولا تأكلوا ﴾ اي ولا تخلطوا ﴿ أموالهم ﴾ فتضموها ﴿ الى أموالكم ﴾ وتأكلوها جميعا فتشتبه عليكم الحلال بالحرام والحق بالباطل ﴿ انهُ ﴾ اي ان أكل أموال اليتامى ﴿ كان حوبا ﴾ اي اثما ﴿ كبيراً ﴾ اي عظيما عند الله تعالى ﴿ وان خفتم ﴾ ايها الوكلاء والأولياء ﴿ ان لا تقسطوا ﴾ اي ان لا تعدلوا ﴿ في ﴾ نكاح ﴿ اليتامى ﴾ من النساء بأن تظلموهن اذا رغبتم في مالهن وجمالهن وكان تزوجكم لهن لأجل ذلك فقط . ثم تركتم تزوجهن وأكل أموالهن خوفاً من الله تعالى ﴿ فانكحوا ﴾ اى تزوجوا ﴿ ما ﴾ اي الذي ﴿ طاب ﴾ اى حل ﴿ لكم من النساء ﴾ غير اليتامى والعدد الذي يحل لكم هو ﴿ مثنى ﴾ اي بأن يكون في عصمتكم دائما اثنين ﴿ وثلاث ﴾ اي بأن يكون في عصمتكم دائما ثلاثاً ﴿ ورباع ﴾ اي بأن يكون في عصمتكم دائما أربعاً ولا يحل لكم أن تزيدوا على هذا العدد ﴿ فان خفتم ﴾ الله تعالى وعلمتم ﴿ أن لا تعدلوا ﴾ فيما يليق للعدالة ونظام الشريعة المحمدية بين النساء اذا تزوجتم اثنين أو ثلاثاً او أربعاً ﴿ ف ﴾ تزوجوا ﴿ واحدة ﴾ فقط واتركوا الجمعَ ﴿ أو ﴾ اختاروا ﴿ ما ملكت ايمانكم ﴾ اي ما دخل في ملككم

من الأرقاء واكتفوا بالتمتع بهن اذا حسبتم من عدم الوفاء بحقوق النساء الأحرار فقد جعل الله التسوية في السهولة بين الحرة الواحدة وبين مايحصل عند الرجل من الأرقاء سواء كانوا قليلين او كثيرين • وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم يفرض العدل بين من دخل في ملك الشخص الحر من الأرقاء كما فرضه عليه فيمن تزوجهن من الأحرار • بل خفف في مؤنتهن وخيره بين العدل في القسمة وعدمه لأجل ان يميز بين المملوك والحر في الدرجة ﴿ ذلك ﴾ اي تزوجكم الواحدة او تمتعكم بالأرقاء ﴿أدنى﴾ أي أقرب من ﴿أن لا تعولوا﴾ اي تميلوا عن الحق ﴿وآتوا﴾ اي اعطوا ﴿النساء صدقاتهن﴾ اي مهورهن ﴿نحلة ﴾ اى عطية مفروضة عليكم ﴿فان طبن﴾ اي فان وهبت النساء وتجاوزن ﴿لكم عن شيء منه﴾ اي من الصداق بأن طبن ﴿ نفساً ﴾ ورضين بترك شيء منه لكم ﴿ فكلوه ﴾ اي فتصرفوا فيه تصرف المالك سواء كان ذلك التصرف تجارة أو أكلاً ﴿ هنيئاً ﴾ اي صافياً لذيذاً في الدنيا ﴿ مريئاً ﴾ اي لايعاقبكم الله عليه في الآخرة *

قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ

وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ • آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ • وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾

لما بين الله تعالى ما يجوز للشخص ان يدخله تحت عصمته من الزوجات وما يجب الاقتصار عليه عند خوف عدم حصول العدل • وكان الغالب وقوع التناسل عند القران • اراد ان يبين لنا حكم ارث الاولاد وغيرهم • وللرد على ما كان يفعله أهل الجاهلية من توريث الذكور البالغين فقط فقال تعالى ﴿ يوصيكم ﴾ أي يأمركم ﴿ الله ﴾ تعالى ﴿ في ﴾ شأن ميراث ﴿ اولادكم ﴾ أي اولاد كل واحد منكم • ولما كان تعلق الانسان

باولاده اقوى التعلقات واشدها بدأ الله بذكر ميراث الاولاد فقال ﴿ للذكر ﴾ منهم حظٌ ونصيبٌ من التركة ﴿ مثل حظ ﴾ أي مثل حظ ونصيب ﴿ الانثيين ﴾ . ثم لما بين حكم ارث الاولاد ذكوراً واناثاً معاً عند الاجتماع اراد ان يبين لنا حكم الاناث عند انفرادهنّ فقال تعالى ﴿ فان كنّ ﴾ أى الاولاد ﴿ نساء ﴾ خالصاً ليس معهنّ أخٌ ذكر ﴿ فوق اثنتين ﴾ أي اثنتين فما فوقها كما بينتهُ السنة الغراء ﴿ فلهنّ ﴾ أي فللمتعدد من البنات اثنتين فما فوق ﴿ ثلثا ما ترك ﴾ أبوهنّ الميت ﴿ وان كانت ﴾ البنت المولوده امرأة ﴿ واحدة ﴾ ليس معها أخٌ ولا أخت ﴿ فلها النصف ﴾ مما ترك ابوها الميت . هذا الحكم فيما اذا خلف الميت اناثاً فقط ولم يترك غيرهن من الابوين والزوجات والاخوة . واما اذا خلف الميت ذكوراً فقط (١) فيعلم حكمه ضمناً من قوله تعالى . فللذّكر مثل حظ الانثيين . لانه يفيد عدم التفاوت بين الذكور في حال الاجتماع مع الاناث وكذلك حالهم ان وُجدوا بدون اناث . ثم اعلم ان الحكمة في انهُ تعالى جعل نصيبَ النساء من المال أقلّ من نصيب الرجال لان احتياجهنّ الى المال أقلُّ من احتياج الرجال اليه لان ازواجهنّ ينفقون عليهنّ * ومن الحكمه في ذلك ايضاً ان المال قد يصير سبباً

---

(١) ومن اراد الوقوف على معرفة احكام الميراث مفصلة فعليه بمراجعة كتب الفقه لان المقصود من كتابنا هذا ايراد الاحكام على وجه الاجمال فقط لعدم تطويل الكلام .

لزيادة فجورهن لما اتفق عليه الحكماء من كثرة الشهوة فيهن . ثم انه تعالى لما ذكر كيفية ميراث الاولاد في حالة انفرادهم عن الابوين بين كيفية ميراثهم في حالة اجتماعهم مع الابوين فقال ﴿ ولأبويه ﴾ أي ولأبوي الميت ﴿ لكل واحد منهما ﴾ أي من ابوي الميت ﴿ السدس ﴾ كائناً ﴿ مما ترك ﴾ الميت ﴿ ان كان له ولد ﴾ أو ولد ابن سواء كان ولد الميت او ولد ابنه ذكراً أو انثى واحداً او متعدداً . والمراد بالابوين الأب والأم فيستحق كلٌّ واحد منهما السدس عند وجود ولد الميت أو ولد ابنه . الا ان الأبَ في صورة ما اذا كان اولادُ الميت أناثاً يأخذُ السدسَ بالفرض ويأخذ ما بقيَ من ذوي الفروض بطريق العصوبة * ثم لما بين الله سبحانهُ وتعالى حكم ارث الاب والأم حاله اجتماعهما مع جنس الولد . اراد ان يبين لنا حكمهما في حالة انفرادهما عن جنس الولد فقال تعالى ﴿ فان لم يكن له ﴾ أي للميت ﴿ ولد ﴾ ولا ولد ابن ﴿ وورثهُ ابواه ﴾ فقط ﴿ فلامه ﴾ أي فلأم الميت ﴿ الثلث ﴾ فيعلم منه ان الباقي يكون للأب . فتكون القسمة بينهما للذكر مثل حظ الانثيين * واما حكم ارث الأم مع الأخوة فبينه الله تعالى بقوله ﴿ فان كان له ﴾ اي للميت ﴿ اخوة ﴾ أي عدد من الاخوة مطلقاً ذكوراً او اناثاً لأبٍ أو أم أولهما ﴿فلأمه السدس﴾ من ميراثهِ . ثم انهُ تعالى لما بين حكم الوارث مطلقاً ونصيبهُ من الميراث ذكر حكماً عاماً لكل نصيبٍ وهو انهُ لا يدفع لمستحقيه الا ﴿ من بعد وصية يوصين بها او دين ﴾ فلو استغرق

الذين جميع مال الميت لم يكن للورثة فيه حق • واذا لم يكن هناك دين او كان لكنهُ قضيَ وبقيَ بعده شيءٌ من التركه • فان أوصى الميت بوصيةٍ أخرجت من ثلث ما بقيَ ثم قسم الباقي على الورثه فرائض الله تعالى * قال الامام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه (انكم لتقرؤن الوصيه قبلَ الدين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصيه) انتهى

ثم قال الله سبحانهُ وتعالى ﴿ آباؤكم وابناؤكم ﴾ أي أصولكم وفروعكم الذين يموتون ﴿ لا تدرون ﴾ اى لا تعلمون ﴿ ايهم اقربُ لكم نفعاً ﴾ اي انفع لكم فكأنهُ تعالى يقول ايها الورثه ان أصولكم وفروعكم الذين يتوفون لاتعلمون مَنِ الانفع منهم فهل الذى اوصى ببعض ماله فوصلكم لثواب الآخره بسبب تبعيدكم لوصيته خيرٌ أم الذي لا يوصي بشيء خيرٌ • لانه يوفر عليكم عرَضَ الدنيا * ثم قال الله سبحانهُ وتعالى ﴿ فريضة من الله ان الله كان عليما ﴾ بكل المعلومات فيعلم بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد ﴿ حكيما ﴾ لا يأمر الا بما هو الاحسنُ والاصلحُ • ثم لما بين الله تعالي حكم الوارث بسبب النسب شرع في بيان حكمهِ بسبب الزوجيه فقال تعالى ﴿ ولكم ﴾ ايها الرجال ﴿ نصف ما ترك ازواجكم ﴾ من المال بعد وفاتهنّ ﴿ ان لم يكن لهنّ ولدٌ ﴾ وارث من صلبهنّ او من صلب ابنائهنّ او ابناء ابنائهنّ ذكراً كان اوانثى • واحداً او متعدداً • او سواء كان هذا الولد منكم او من غيركم والباقي لورثتهنّ من ذوي الفرض والعصبات

او غيرهم وليبت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلاً ﴿ فان كان لهنّ ﴾ اي لازواجكم يوم يحدث لهنّ الموت ﴿ ولد ﴾ ذكر او انثى على ما فصلناه ﴿ فلكم ﴾ ايها الرجال ﴿ الربع مما تركنَ ﴾ اي مما ترك ازواجكم من المال والباقي لبقية الورثة ٭ وهذه الانصباء لاتدفع اليكم ولا الى بقية الورثة الا ﴿من بعد﴾ اخراج ﴿ وصية يوصين بها ﴾ قبل موتهن ﴿ او ﴾ من بعد قضاء ﴿ دينٍ ﴾ ثبت عليهنّ بالبينة او بالاقرار بهِ قبل موتهنّ ﴿ ولهنّ ﴾ اي ولازواجكم ايها الرجال ﴿ الربع مما تركتم ﴾ بعد وفاتكم من المال ﴿ ان لم يكن لكم ولدٌ ﴾ ذكرٌ او انثى على التفصيل المذكور ٭ والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض العصبات ٭ او لبيت المال ان لم يكن لكم وارثٌ آخر اصلاً ٭ ﴿ فان كان لكم ولدٌ ﴾ على مافصل ﴿ فلهن الثمن مما تركتم ﴾ من المال والباقي للباقين ﴿ من بعد ﴾ اخراج ﴿ وصية توصون بها او دين ﴾ تقدم بيانه ٭ وانما فرض الله تعالى للرجل بحق الزوجية ضعف مافرضه للمرأة كما فرض ذلك في النسب لمزية الرجل عليها وشرفه الظاهر ٭ ولهذا خص الله تعالى الرجال بالخطاب في هذه السورة ثماني مرات وذكر النساء على الغيبة اقل من هذا المقدار ٭ ثم ان الزوجة الواحدة والجماعة من الزوجات سواءٌ في الربع والثمن ٭

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ

كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾

ثم انهُ تعالى شرع في بيان حكم من يتصل بالميت بواسطه وهي القرابة من غير جهة الولد والوالد فقال ﴿ وان كان رجلٌ ﴾ ميتٌ ﴿ يورث ﴾ منهُ لأجل كونه ﴿ كلالة ﴾ اي لم يخلف والداً ولا ولداً ﴿او﴾ كان ﴿ امرأةٌ ﴾ يورث منها لكونها لم يترك والداً ولا ولداً ﴿ وله ﴾ اي وللمذكور من الرجل والمرأة ﴿ أخٌ او أختٌ ﴾ من الأم فقط ﴿ فلكلّ واحدٍ منهما ﴾ اى من الأخ والاخت ﴿ السدس ﴾ من غير تفصيل للذكر على الأنثي فكأنه تعالى يقول اذا مات الميت ولم يترك والداً ولا ولداً بل ترك اخاً واحداً أواختاً واحدة من جهة أمه فقط وان من تركه من الأخ او الأخت لامه يأخذ سدس المال ﴿ فان كانوا اكثر من ذلك ﴾ اي اكثر من الأخ او الاخت المنفردين بأن كانوا اختين فأكثر او اخوين فأكثر ﴿ فهم شركاء في الثلث ﴾ يقتسمونهُ بالسويه والباقي لبقيةالورثه من اصحاب الفروض والعصبات ﴿ من بعد وصيه يوصى بها او دين ﴾ تقدم بيانه ﴿ غير مضارٍ ﴾ للورثه فلا تجوز الوصية للشخص الا اذا لم يقصد بها حرمان الورثه من الميراث كأن يوصي بأكثر من ثلث التركه او يوصى بثلثها او اقل منهُ لكنهُ مريد لضرر ورثته وقطع الميراث عنهم ولم يرد بها وجه الله تعالى فلا ثواب له بل عليه العقاب • فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما (ان الاضرار في الوصيه من الكبائر) انتهى

قال الله سبحانهُ وتعالى ﴿ وصيه من الله ﴾ يعني ان عدم الاضرار بالورثة وصيةٌ من الله تعالى بهم وعهدٌ منهُ لكم ايها المؤمنون فلا تتعدوا احكامه بنقض هذا العهد ﴿ والله عليم ﴾ بمن قبل وصيتهُ او عدل عنهُ ﴿ حليم ﴾ على الجائر فيها لا يعاجله بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وفي هذه الجملة مالا يخفى من الوعيد * انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾

لما كانت الاحكام قسمين فروعاً وأصولاً وبين لنا الله تعالى القسم الاول فيما تقدم من الآيات شرع في بيان القسم الثاني فقال ﴿ واعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ ولا تشركوا به ﴾ أى معهُ ﴿ شيئاً ﴾ من الاشياء في التعظيم . فان من عبد الله وجعل له شريكا في العبودية والتعظيم فقد ضاع سعيهُ ﴿ و ﴾ احسنوا ﴿ بالوالدين احسانا ﴾ أي براً وطاعة ﴿ و ﴾ احسنوا ايضاً ﴿ بذي القربى واليتامى والمساكين ﴾ تقدم بيان ذلك كله ﴿ و ﴾ احسنوا ايضاً الى ﴿ الجار ذي القربى ﴾ أي الذي قرب جواره من بيتكم ﴿ و ﴾ الى ﴿ الجار الجنب ﴾ أي الذي بعد جواره منكم ﴿ و ﴾ احسنوا ايضاً الى ﴿ الصاحب بالجنب ﴾ أي الصاحب الذي يكون بجنبكم أي بجوار لكم رفيقاً في سفر او جاراً ملاصقاً لكم في المجلس او شريكا لكم في تعلم او حرفة او غير ذلك من كل شخص حصلت بينكم وبينهُ ادنى صحبة ومعاملة فعليكم ان تراعوا ذلك الحق ولا تنسوه ﴿ و ﴾ احسنوا ايضاً الى ﴿ ابن السبيل ﴾ الماشي في الطريق ﴿ و ﴾ الى ﴿ ما ملكت ايمانكم ﴾ من الارقاء بأن لاتكلفوهم فوق طاقتهم ولا تؤذوهم بالكلام الصعب بل تعاشروهم معاشرةً جميلةً وتعطوهم من الطعام والكسوة ما يليق بحالهم في كل وقت . ويجب الاحسان ايضاً الى كل ما تملكونه من الحيوانات النافعة فان الاحسان الى كل نوع منها بما يليق بحاله طاعة عظيمة . واحذروا مخالفة اوامر الله تعالى ونواهيه بسبب تكبركم وتفاخركم ف ﴿ ان الله لايحب من كان مختالا ﴾ أي جهولا متكبراً على خلق الله بعدم

اكرامه لهم و باعراضه عنهم والاستخفاف بهم ولا يعتني باقاربه اذا كانوا فقراء ولا بجيرانه اذا كانوا ضعفاء • ولا يحب الله ايضاً من كان ﴿ فخورا ﴾ اي مفتخراً على عباد الله تعالى بما اعطاه من انواع نعمه ولا يجوز هــذا الافتخار الا على سبيل التحدث بالنعمة فقط * ثم وصف الله تعالى اهل التكبر والمفاخرة بقوله وهم ﴿ الذين يبخلون ﴾ بما اعطاهم الله من المال والعلم ﴿ ويأمرون النـاس ﴾ أي ويأمرون غيرهم من الناس ﴿ بالبخل ﴾ أي بمنع الاحسان لاجل كراهتهم للسخاء ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ أي من نعمتهِ العـامة سبحانهُ وتعـالى حتى صاروا فقراء في الظاهر اغنياء في الباطن فخالفوا السنة المحمدية باخفائهم نعمة الله عليهم • فقد قال عليهِ الصلاة والتسليم (ان الله تعالى يحب ان يرى على عبده أثر نعمتهِ) وقد يؤدي كتمان النعمة المذكور الى الـكفر اعاذنا الله منهُ كأن يكون العبد في نعمة تامة ويظهر الشكايةَ • وانما كان اظهار الشكاية مؤدياً الى الـكفر لانهُ في الحقيقه شكايه للناس من الله تعالى وعدم رضاء بقدره وقضائهِ فلذلك قال الله تعالى في حق من يكون هذا حاله ﴿ وأعتدنا ﴾ اي هيئنا وجعلنا ﴿ للـكافرين ﴾ أي للمنكرين نعمتنا ﴿ عذاباً ﴾ في النار ﴿ مهينا ﴾ أي مذلاً لهم • ثم لما ذم الذين لاينفقون اموالهم ألحق بهم من ينفقون اموالهم لغير ذاتهِ تعالى فقال ﴿ والذين ينفقون اموالهم رئاء النـاس ﴾ أي لاجل الرياء والمحمدة عند الناس لا لطلب مرضاة الله فيصيروا بنيتهم هذه يتبعون خطوات الشيطان ﴿ ولا يؤمنـون ﴾ أي ولا يصدقون

تصديقاً كاملا ﴿ بالله ولا باليوم الآخر ﴾ اي اليوم الذي فيه ثواب المحسنين وعقاب المسيئين • فهم بذلك اعداء الرحمن واحباب الشيطان ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا ﴾ اي صاحباً له في الدنيا يتبعهُ فيما يوسوس بهِ اليه من البخل والفحشاء ﴿ فساء ﴾ اي فبئس ﴿قرينا﴾ اي صاحباً له في الآخرة يحشر معهُ في النار • ثم استفهم سبحانهُ وتعالى على طريق التوبيخ لهم لعلمهِ بحالهم فقال ﴿ وماذا ﴾ اي وايُّ شيء يكون ضرراً ﴿ عليهم لو آمنوا ﴾ ايماناً كاملاً ﴿ بالله واليوم الآخر ﴾ فأصلحوا قلوبهم ﴿ وانفقوا ﴾ اى واعطوا بنية خالصة ﴿ مما رزقهم الله ﴾ من الاموال الطيبة وتركوا الانفاق والرياء وحب المحمدة والتفاخر ﴿ وكان الله بهم عليما ﴾ اي مطلعاً على افعالهم وسرايرهم * انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا • وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ

الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾

أمر الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بأداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب الديانات أو من باب الدنيا والمعاملات فقال ﴿ ان الله يأمركم ﴾ ايها العباد ﴿ ان تؤدوا ﴾ اي أن تردوا ﴿ الأمانات ﴾ اي الحقوق ﴿ الى أهلها ﴾ اي الى أصحاب الأمانات التي أعظمها الامانه مع الرب تعالى في كل ما أمرنا به كالوضوء والغسل والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من أنواع العبادات ومدارج الطاعات كبرِّ الوالدين والأمانات في كل ما نهانا عنهُ لحفظ الجوارح من الوقوع في المحرمات • ثم يلي أمانة الرب الامانه مع سائر الخلق ويدخل فيها رد الودائع وترك الغش في الكيل والوزن والاعراض عن عيوب الناس وما اشبه ذلك • ويدخل فيها ايضاً عدل العلماء في العوام بأن يرشدوهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقائد الباطلة وعن الاخلاق المذمومه • ويدخل فيها ايضا أمانة الانسان مع نفسه بأن لايختار لها الا ما هو أنفع وأصلح في الدين وفي الدنيا وان لا يوقعها بسبب اللذات الفانية في العذاب الدائم • وعلى كل حال فهي باب لايسعه تأليفنا هذا * ثم لما أمركم بأداء ما وجب عليكم لغيركم ولأنفسكم أمركم بأن تستوفوا للناس حقوقهم من بعضٍ اذا كنتم من اهل القضاء والحكم فقال ﴿ و ﴾ يامركم ايضا ﴿ اذا حكمتم ﴾ اي اذا توليتم الحكم ﴿ بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ اي بالانصاف ﴿ ان الله نعما ﴾ اي نعم

الدي ﴿ يعطكم ﴾ اي يدكركم ﴿ بهِ ﴾ من أداء الامانة والحكم العدل ﴿ ان الله كان سميعا ﴾ اي يسمع كف تحكمون ﴿ نصيرا ﴾ اي بصر كيف تؤدون الامانة الى اهلها ٠ ثم لما أمر سبحانهُ وتعالى الولاة في الآية المتقدمة بالشفقة على رعيتهم امر في هده الآية الرعيه بطاعة الولاة فقال ﴿ يا أيها الدين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ﴾ اي امتثلوا اوامرهما واجتنبوا نواهيهما ﴿ و ﴾ اطيعوا ايضاً ﴿ أولي ﴾ اي اصحاب ﴿ الامر منكم ﴾ من امراء المسلمين ﴿ فان نازعتم ﴾ اي فان اختلفتم ﴿ في شيء ﴾ من الامور الدينية سواء كان الاختلاف فيما بينكم فقط او كان فيما بينكم ورؤسائكم ﴿ فردوه ﴾ اي فردوا معرفة حكم ما اختلفتم فيهِ ﴿ الى الله ﴾ اي الى كتاب الله ﴿ و ﴾ ان لم تجدوه فيهِ فردوه الى ﴿ الرسول ﴾ ان كان حياً وان كان ميتاً فارجعوا الى سنتهِ وافعلوا دلك ﴿ ان كنتم تؤمنون ﴾ اي تصدقون ﴿ بالله واليوم الآخر ﴾ أي يوم البعث والجزاء ﴿ دلك ﴾ اي ردكم ورجوعكم عند الاختلاف الى الكتاب والسنة ﴿ خير لكم ﴾ عند الله في آخرتكم واصلح لكم في دنياكم لانهُ يدعوكم الى الاتفاق وترك الاختلاف ﴿ واحسن تأويلا ﴾ اي واحمد عاقبةً ٠ انتهى *

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴾

ارشد الله تعالى عباده في هذه الآية الى نوع من الآداب التي يكون بها صلاح الدين والدنيا فقال ﴿ واذا حييتم ﴾ اي دعا لكم أحد ﴿ بتحية ﴾ اي بطول الحياة والسلامة فقال السلام عليكم ﴿ فحيوا ﴾ اي فادعوا له ﴿ بأحسن منها ﴾ اى بأحسن من تحيته التي دعا لكم بها فقولوا له وعليكم السلام ورحمة الله ﴿ او ردوها ﴾ اي ردوا واحيوا تلك التحية بمثل لفظها و بعينها وانما خص الله تحية المسلمين بهذه الصيغة لان السلام نوع من السلامه ودعاءٌ بها والحياة ان لم تكن معها سلامةٌ عامةٌ فالموت خيرٌ منها . وقد سلم الله على المؤمنين في عدة مواضع من القرآن . وقد كانت تحية النصارى بوضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع . وتحية المجوس الركوع . وتحيتنا معشر المسلمين السلام عليكم ورحمة الله و بركاته . فاذا تبصر من عنده أقل عقل علم الفرق العظيم بين تحيتنا وتحيتهم وتيقن بأن هذا الدين أشرف الاديان واكملها . وابتداء السلام سنةٌ ورده فرض كفاية بالاجماع لقوله تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) وافعلوا ما أمركم الله به وانزجروا عما نهاكم عنهُ

﴿ ان الله كان على كل شيء حسيبا ﴾ اي حفيظاً لكل اعمالكم فيحاسبكم على حقوق التحية وغيرها ان خيراً فخيرٌ وان شراً فشرٌ • انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾

بين الله تعالى في هذه الآية ان كمال سعادة الانسان في أن يكون قوله لله وفعله لله (١) وحركته لله وسكونه لله فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين ﴾ أي قائمين متتابعين دائماً ﴿ بالقسط ﴾ اي بالعدل بأن تجتهدوا في اختيار الانصاف الذي هو أشرف الفضائل وتجتنبوا ارتكاب الميل عن طريق الحق وتسيروا على خطة العدالة التي توجب

(١) قوله ان يكون (قوله لله) بان يكون جميع كلامه سواء كان نفسياً او لفظيا فيما يرضى الله ورسوله ويوفي وعده في جميع افعاله ومعاملته مع الناس ولا يكون كاذباً • ومعنى كون (فعله لله) ان يكون في جميع معاملاته مع الناس أميناً صادقاً ولا يكون خائناً مضراً لعباد الله في كل حال من الاحوال •

الفور بالسعادة حتى لا يقع منكم جورٌ في شيء من الاشياء لعرض نفساني تطلبون بهِ نفعاً دنيوياً أو دفع مضرة ٠ فمن العدل ان تكونوا كما أمرتم في اداء شهادتكم ﴿ شهداء لله ﴾ أي لِذاته ولاجل مرضاته ﴿ولو﴾ كانت تلك الشهادة ضرراً ﴿ على انفسكم أو ﴾ على ﴿ الوالدين والاقربين ﴾ بأن تخافوا وقوعه عليهم من سلطان او غيره فتشهدونَ بغير الحق او تكتمون الشهادة واعلموا انهُ ﴿ ان يكن ﴾ المشهود عليه ﴿ غنياً ﴾ غير محتاج فلا تكتموا الشهادة طلباً لرضاهُ ﴿ او ﴾ يكن المشهود عليــه ﴿ فقيراً ﴾ فلا تكتموا الشهادة ايضاً شفقة عليهِ ورحمة له ٠ فان كان اخفاؤكم الشهادة لاجل ما تعلمونهُ من مصلحتهما ﴿ فالله أولى ﴾ أي احق منكم ﴿ بهما ﴾ اي بالغني والفقير لانهُ عالم بامورهما وبمصالحهما ولولا ان الشهادة فيها مصلحة لهما لما امر بها في الشرع ﴿ فلا تتبعوا الهوى ﴾ اي فلا تميلوا في شهادتكم تبعاً لهوى النفس فانهــا لاتحب منكم ﴿ ان تعــدلوا ﴾ اي ان تنصفوا بين الناس ﴿ وان تلووا ﴾ اي ان تغيروا الشهادة بألسنتكم ﴿ أو تعرضوا ﴾ أي ترجعوا عن العدل فتتركوا شهادة الحق أو حكومة الانصاف ﴿ فان الله كان بمــا تعملون خبيراً ﴾ اي عليما بكل ما تفعلونه من خير أو شر فيجازيكم عليه بما يليق ان خيراً فخيرٌ وان شراً فشرٌ ٠ وقد جرت عادة الله سبحانهُ وتعالى بان يتبع الاوامر والنواهي بجملة تذييليه بعد التحذير عن مخالفة الاوامر وارتكاب المنــاهي فلذلك قال بعد ما تقــدم من الاوامر والنواهي فان الله كان بما تعملون خبيراً ٠ انتهى

قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ • فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

اعلم ان هذه الآيه الكريمة خاتمة سورة النساء • وقد ختم الله تعالى هذه السورة الكريمة بمثل ما بدأها به وهو احكامُ المواريث • ثم قال اهل العلم ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين وسبب نزولها ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهُ انهُ قال اشتكيت فعادني رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وانا مريضٌ لا اعقلُ فتوضأ فصبَّ من وضوئه عليَّ فعقلت وفي رواية فنفخ في وجهي فقمتُ وكان عندي سبعُ اخوات فقلت يا رسول الله اوصي لاخواتي بالثلثين قال فاحسن فقلت الشطر قال احسن • ثم خرج صلى الله عليه وسلم وتركني ثم دخل فقال يا جابر اني لا أراك تموتُ في وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك وجعل لاخواتك الثلثين انتهى قال تعالى ﴿ ويستفتونك ﴾ أي و يسئلونك يامحمد ان تفتيهم في الكلالةِ ف

﴿ قل ﴾ لهم ﴿ الله يفتيكم في الكلالة ﴾ فاني لا أحكم الا بما امرني الله به * ثم انهُ تعالى بين الحكم بقوله ﴿ ان امروءٌا ﴾ أي ان انسان من الناس ﴿ هلك ﴾ أي مات ﴿ ليس له ﴾ أي ليس لذلك الميت ﴿ ولد ﴾ ذكراً كان او أنثى وهذا التعميم بحسب المعنى اللغوي ولكن بينت السنة ان المراد به هنا هو الذكر فقط ﴿ وله أخت ﴾ لابيه وأمه أو لأبيهِ فقط ﴿ فلها ﴾ أي فلأخته التي مات عنها سواءٌ كانت شقيقة أو من ابيه فقط ﴿ نصف ماترك ﴾ بالفرض والباقي مما تركه يقسم بين العصبه ان كان له عصبه او يعطى لها بطريق الرد ان لم يكن له عصبة انتهى • ثم انهُ تعالى لما بين ان الميت اذا مات ولم يترك ولداً ولا والداً وترك أخته الشقيقة او لابيه تأخذ اخته نصف تركته بين حكم ما اذا قدر الامر على العكس من موتها وبقائهِ بعدها فقال ﴿ وهو ﴾ اي واخوها ﴿ يرثها ﴾ اي يأخذ ميراثها كله ﴿ ان لم يكن لها ولد ﴾ ذكرٌ كما تقدم • فان كان لها ولد ذكر فلا يأخذ ذلك الأخ من تركتها شيئاً • واما اذا كان لها ولد انثى فانه يأخذ من التركه ما فضل من نصيبها • ثم ان هذا الحكم وارد في الأخ الشقيق والاخ للاب • واما الاخ من الأم فلا يأخذ الميراث كله وقد تقدم ما يستحقهُ في اول السورة • ثم ان المراد من قوله تعالى ان لم يكن لها ولد اي ولا والد ايضاً لان الأبَ مسقطٌ للاخ كما بينتهُ السنة • ثم قال الله سبحانهُ وتعالى ﴿ وان كانتا اثنتين ﴾ اي وان كان من يرث من الاخوات اثنتين فاكثر ﴿ فلهما الثلثان مما

ترك ﴾ أخوها ﴿ وان كانوا ﴾ اي وان كانت الورثة بطريق الاخوة ﴿ اخوة ﴾ مختلطه ﴿ رجالا ونساء فللذكر ﴾ منهم ﴿ مثل حظ الانثيين ﴾ فيقسمون التركة على طريق التعصيب للذكر سهمان وللانثى سهم واحد • ثم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يبين الله لكم ﴾ ايها المؤمنون احكامهُ وشرائعهُ التي من جملتها حكم الكلالة كراهة ﴿ ان تضلوا ﴾ في ذلك ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ فيكون بيانهُ تعالى حقاً وتعريفه حقاً * وانما ختم الله هذه السورة ببيان كمال علمهِ وابتدأها ببيان كمال قدرته لان بهما تتم الالوهية ويحصل الترغيب للمطيع والترهيب للعاصي جعلنا الله من الراغبين بجاه النبي الامين *

﴿ الباب الخامس في تفسير ماورد من الأوامر ﴾
﴿ في سورة المائدة ﴾

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾

لما كان الايمان هو معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله والرضى بأحكامه التي من جملتها انهُ يجب على جميع الخلق اظهار الامتثال الى الله تعالى في كل ما كلفهم بهِ من الاوامر والنواهي التي من جملتها الوفاء بالعهود

حاطبهم جلت قدرتهُ بوصف الايمان فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقودِ ﴾ أي قوموا بموجب العقود اي العهود الوثيقة التي تشبه عقد الحبل . والمراد قوموا بما ألزمتكم بهِ وعقدته عليكم من التكاليف والاحكام الدينيه وبما تعقدونه بينكم من عقود الامانات والمعاملات ومن كل ما يجب عليكم الوفاء به او يحسن منكم فعله في الدين والدنيا وانما سمى الله سبحانهُ وتعالى التكاليف عقوداً لانهُ ربطها بالعباد كما يربط أحدنا الاشياء بالحبل المتين . ثم انهُ جلت قدرته فصل الاحكام التي أمر بالوفاء بها وبدأ بما يختص بضروريات معايشهم فقال ﴿ أحلت لكم بهيمة الانعام ﴾ اي أحل الله لكم أكل البهيمة التي هي كل دابةٍ لها أربعة أرجلٍ من الانعام وهي الابل والبقر والغنم من الضأن والمعز وألحق بها في الحل الظباء وبقر الوحش وغيرهما مما يحل أكله من الدواب الوحشية ﴿ الا ما ﴾ أي الا المحرم الذي ﴿ يتلى عليكم ﴾ آيه تحريمه فيما سيأتي من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ فكلوا ما أحل لكم ﴿ غير محلى الصيد ﴾ اي غير محلين لصيد البر ﴿ وأنتم حرمٌ ﴾ اي وانتم داخلون في الحرم المكي أو محرمون بالحج وكل ما ذكر لا يحل أكله الا بعد الذبح وانما لم يحل أكله الا بعده مع أن فيهِ تعذيباً له لانهُ مملوك لله تعالى وله ان يتصرف في ملكه كيف يشاء فلا اعتراض عليه في حكمه بأن حل الاكل لا يكون الا بعد الذبح ولهذا قال ﴿ ان الله يحكم ﴾ اي يقضي ﴿ ما يريد ﴾ اي ما يشاء في الحكم بالتحليل او بالتحريم . فليس لاحد اعتراض على

حكمه انتهى *

قوله تعالى ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّٰهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

لما نزلت آية تحريم الميتة التي سنذكرها في قسم النواهي ان شاء الله تعالى جاء بعض الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزات اي الصقور وانها تصطاد لنا الدواب الوحشية المأكوله فتارة ندرك ما تصطاده لنا حياً فنذبحهُ وتارة تقتله ولا ندركه الا ميتاً وقد حرم الله علينا اكل الميتة فماذا يحل لنا من صيد تلك الكلاب والطيور * فسكت النبي صلى الله عليهِ وسلم عن الجواب حتى انزل الله تعالى عليهِ ﴿ يسئلونك ﴾ أي يسئلك بعض اصحابك يا محمد ﴿ ماذا احل لهم ﴾ يعني اي شيء احله الله لهم من المطاعم ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ احل لكم الطيبات ﴾ اي ما ليس خبيثاً منها وهو الذي لم يأت تحريمهُ في كتابٍ ولا سنه ولا في اجماع الامه ولا في قياس مجتهد من الائمه * ومن الطيبات ايضاً كل ما كان طيباً لذيذاً يشتهي عند اهل الطباع السليمه والاخلاق الحميدة * ثم ان الاصل في الاشياء كلها هو الحل لان الله تعالى خلقها لمنافع العباد ثم جاء الشرع بتحريم بعض الاشياء كالميتة والدم وجميع الحيوانات التي

لا يحل اكلها • ثم انهُ لا يعرف الطيب من المطاعم وخبيثها جميع طبقات الناس لانهم مختلفون في الطبيعة حتى ان بعضهم يشتهي ما كان خبيثاً وحراماً بنص الكتاب والسنة وانما يعرف ذلك من كان من العرب (١) المترفهة وقد خاطبهم الله بهِ اولاً وليس لهم تلذذ وتنعم يحصل منهُ تضييق المطاعم على الناس بل هم في غالب احوالهم متحشون في المطعومات • والعرب الذين يرجع اليهم ويقتفي اثرهم في معرفة الطيبات هم سكان القرى والبلاد دون سكان البادية من المتوحشين الذين لا تمييز لهم بين الخبيث والطيب • ثم ان سكان القرى والبلاد الذين يرجع اليهم في معرفة الخبيث من الطيب لابد ان يشترط فيهم الغنا واليسار وعلو النفس دون الفقراء ومن ليس عندهم تعفف • ويشترط ايضاً ان يكونوا في حالة سعة العيش لا في حالة القحط وضيقه ﴿ و ﴾ أحل لكم ايضاً صيد ﴿ ما علمتم ﴾ اي الذي علمتموه الصيد ﴿ من الجوارح ﴾ اي التي تجرح ما تصيده كالكلب والفهد والطيور ونحوها حال كونكم ﴿ مكلبين ﴾ اي مؤدبين ومعلمين لهنّ ف ﴿ تعلمونهن ﴾ لاجل الاصطياد ﴿ مما علمكم الله ﴾ من الحيل المناسبة للصيد • ثم انهُ لا يصير الكلب متعلماً الا اذا كان ينزجر بزجر صاحبه حين يأمره بالارسال للصيد وكذا اذا انطلق واشتد جريه طالباً للصيد

---

(١) وانما خصص العرب بالذكر لانهم هم الموجودون عند النبي صلى الله عليه وسلم في وقت تشريع الاحكام فلا ينافي ان غيرهم من ذوي الطبايع السليمة ايضا يفرق بين الخبث والطيب •

يشترط ان ينزجر بزجره ايضاً و بذلك يظهر التعليم وان لايجرح في طلب الصيد الا بارسال صاحبه وان يمسك الصيد ولا يأكله * لقوله تعالى ﴿ فكلوا مما امسكن عليكم ﴾ اى من الذي حفظنهُ لكم بعد الصيد ولم يأكلن منهُ ولو ادركتموه ميتاً ﴿ واذكروا اسم الله ﴾ اى وسموا الله ﴿ عليهِ ﴾ اي على ما وجدتموه حياً واردتم ذبحه • وسموه ايضاً عند ارسال الحيوان المعلم لطلب الصيد ﴿ واتقوا الله ﴾ واجتنبوا ما حرمه عليكم ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ فيحاسبكم على ارتكابها ﴿ اليومَ احلّ لكم الطيباتُ ﴾ تقدم بيانه ﴿ وطعام ﴾ اي وذبائح ﴿ الذين اوتوا ﴾ اي اعطوا ﴿ الكتاب ﴾ من التوراة والانجيل ﴿ حل لكم ﴾ اى يحل لكم اكله فقط دون ذبائح غيرهم من اهل الشرك الذين ليس لهم كتاب من مشركي العرب والمجوس وعبدة الاصنام والاوثان فانه يحرم عليكم اكل ذبائحهم ﴿ وطعامكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ حل لهم ﴾ اي يحل لكم ان تطعموهم منهُ ﴿ و ﴾ احل لكم ايضاً ﴿ المحصنات ﴾ اى النساء العفيفات سواءٌ كنّ حرائر او ارقاء ﴿ من المؤمنات ﴾ اى من المسلمات ﴿ و ﴾ احل لكم ايضاً ﴿ المحصنات ﴾ اى الحرائر فقط ﴿ من ﴾ اليهود والنصارى ﴿ الذين أوتوا ﴾ أي اعطوا ﴿ الكتاب ﴾ اي التوراة والانجيل واقروا بهما ﴿ من قبلكم ﴾ ايها المؤمنون ولكن يحل لكم التمتع بهن ﴿ اذا آتيتموهن ﴾ اي اعطيتموهن ﴿ أجورهنّ ﴾ اي مهورهنّ في حالة كونكم ﴿ محصنين ﴾ اى عفيفين ممتنعين من الفسق ﴿ غير مسافحين ﴾ اي

غير طاهرين بالزنا ﴿ ولا متخذي أخدان ﴾ اى ولا منفردين بأخلاء لكم من الزانيات فيتخذ الواحد منكم صديقة منهن ويعصي الله معها سراً فانهُ لم يشرع الزواج والتمتع الا للعفة عن الزنا * انتهى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ . مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

لما افتتح سبحانه وتعالى هذه السورة بالامر بالوفاء بالعقود فكان قائلاً قال يارب عهدُ الربوبيه منك وعهدُ العبوديه منا . فاجابهُ الله تعالى نعم ياعبدي وفيتُ بعهد الربوبيه حيث اني جعلت منافع الدنيا محصورة في نوعين . لذات المطاعم ولذات النساء فبينت لكم الحلال والحرام

من هاتين اللذتين • وقدم بيان الطعام على بيان لذات النساء لانهُ الاصل في استمرار الحياة • وبعد تمام هذا البيان كانه سبحانهُ وتعالى قال ياعبدي وفيتُ عهد الربوبية فاشتغل أنت بوظائف الطاعات لتوفي عهد العبودية واجتهد فيما خلقتَ لاجله خصوصاً اقامة الصلاة التي هي اعظم العبادات • ولا يصح لك الدخول فيها الا بالطهارة لانك تقف بين يديّ لمناجاتي وقد أمرتكم بها في كتابي فقلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ معلوم ﴿ اذا قمتم ﴾ أي اذا اردتم القيام ﴿ الى الصلاة ﴾ وانتم على غير طهارة وقصدتم الحضور والتوجه اليّ فطهروا قلوبكم بعمل الشريعة وحسن الاخلاق والمعاملات وصونوا انفسكم عن دنس الشهوات والافراط في اللذات وصفوا ارواحكم بنور الهدى واليقين ﴿فاغسلوا﴾ بعد النية ﴿وجوهكم ﴾جميعها ﴿ و﴾ اغسلوا ايضا ﴿ أيديكم الى ﴾ أي مع ﴿ المرافق ﴾ معلوم ﴿ وامسحوا برؤسكم ﴾ كلها أو بعضها ﴿ و﴾ اغسلوا ﴿ ارجلكم الى ﴾ أي مع ﴿ الكعبين ﴾ ﴿ وان كنتم جنباً ﴾من جماع أو احتلامٍ ﴿ فاطهروا ﴾ أي فاغتسلوا قبل القيام الى الصلاة ﴿ وان كنتم مرضى ﴾ مرضاً يضر معه استعمال الماء سواء كان جرحاً اوغيره وان كنتم مقيمين ﴿ او﴾ كنتم ﴿على سفر ﴾ اي مسافرين سفراً طويلا او قصيراً ﴿ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط ﴾ أي من المكان الذي يقضي احدكم فيه حاجته ﴿ او لامستم ﴾ اي جامعتم ﴿ النساء ﴾ معلوم ﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ للطهارة وتعذر عليكم تحصيله ﴿ فتيمموا ﴾ اي اقصدوا ﴿ صعيداً ﴾ اي وجه الارض من تراب

أو حجر أو غيرهما مما يكون عليه غبار ﴿ طيباً ﴾ اي طاهراً نظيفاً واضربوا بأيديكم ذلك الصعيد ﴿ فامسحوا بوجوهكم ﴾ مرة ﴿ و ﴾ ب ﴿ ايديكم ﴾ الى المرافق مرة أخرى بضربة ثانية ﴿ منه ﴾ اي من الصعيد الذي التصق في ايديكم ﴿ ما يريد الله ﴾ بما فرضه عليكم من الوضوء اوغسل الجنابة اومن التيمم بالتراب عند فقد الماء ﴿ ليجعل عليكم ﴾ اي ليلزمكم ويكلفكم ﴿ من حرج ﴾ اي من ضيق وعسر ﴿ ولكن يريد ﴾ الله ﴿ ليطهركم ﴾ أي ليطهر قلوبكم بهذا التكليف من الظلمة المانعة عن طاعته تعالى ﴿ وليتم نعمتهُ ﴾ التي هي اباحة الطيبات الدنيوية من المطاعم والمناكح بهذه النعمة الدينية ﴿ عليكم لعلكم تشكرون ﴾ الله الذي خلق لكم تلك النعم *

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

بين الله سبحانهُ وتعالى في هذه الآية ان التكاليف كلها محصورة في نوعين احدهما التعظيم لله واليه اشار بقوله ﴿ يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ﴾ وتقدم بيانهُ في آية سورة النساء • وثانيهما الشفقة على خلق الله وأمر بها بقوله ﴿ شهداء بالقسط ﴾ تقدم بيانه ايضاً في الآية

المذكورة • ثم امر جميع الخلق بانهم لا يعاملوا احداً الا على طريقة العدل والانصاف ويتركون الظلم فقال ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ اي ولا يحملنكم ويدعونكم ﴿ شنآن قوم ﴾ اي بغض قوم ﴿ على ألاّ تعدلوا ﴾ فيهم بان تعتدوا عليهم فلا تشهدوا في حقوقهم بالانصاف او تظلموهم فتعملوا معهم مالا يحل من قذف اعراضهم او قتل نسائهم وصبيانهم أو غير ذلك • ثم بعد ما نهاهم عن الجور الذي هو اغراض النفس ولا يرمى بصاحبه الا الى الهلاك • صرح لهم ثانياً بالامر بالعدل وبين لهم انه بمنزلةٍ عظيمةٍ من التقوى فقال ﴿ اعدلوا هو ﴾ اي العدل ﴿ اقرب للتقوى ﴾ أي أقرب شيء تتقون بهِ عذاب الله تعالى ويوصلكم الى رحمتهِ حيث ان هذه الآية نزلت بالامر بهِ في حق الكفار • واذا كان العدل في حق الكفار واجباً فيكون في حق المسلمين اولى * ثم لما كانت منزلة العدل عظيمة عند مدبر الكائنات أمر عباده بالتقوى بعد الامر بهِ فقال ﴿ واتقوا الله ﴾ أي اجعلوا بينكم وبين الله ما يقيكم من عذابهِ وهو امتثال الاوامر واجتناب النواهي ﴿ ان الله خبير بما تعملون ﴾ أي عليم بالذي تعملونهُ من خيرٍ أو شرٍ فيجازيكم عليه — انتهى

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

أمر الله سبحانهُ وتعالى المؤمنين في هذه الآية بان يتقوه في كل اعمالهم فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ أي خافوا عذابه ﴿ وابتغوا ﴾ أي واطلبوا لانفسكم ﴿ اليه ﴾ أي الى ثوابه ﴿ الوسيلة ﴾ أي ما يتوسل ويتقرب بهِ الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي فان ذلك يرفعكم الى كل خير ويبعدكم من كل شر . ثم لما كان ترك ما لا يصح من الافعال وفعل ما يصح منها مكروهاً للنفس ثقيلاً على الطبع لان العقل دائماً يدعوا الى خدمة الله تعالى والنفس تدعوا الى الشهوات واللذات الحسية وكان الجمع بينهما كالجمع بين الضدّين . أعقب التكليف المذكور بقوله ﴿ وجاهدوا ﴾ أنفسكم ﴿ في سبيله ﴾ أي طريقه بمحاربة اعدائهِ الذين ينكرون وحدانيته . وبالجملة فيجب ان تكون عبادتكم ابتغاء مرضاة الله لا لعرضٍ سواه ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أي تفوزون بالسعادة الدنيوية والأخروية التي من جملتها رؤية الذات العلية . انتهى

قوله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

بين الله تعالى في هذه الآية الحكم الذي قضاه في عقوبة السارق وهو الذي يأخذ المال خفيةً فقال ﴿ والسارق والسارقة ﴾ أي ومن سرق من رجل أو امرأةٍ ﴿ فاقطعوا ﴾ ايها الحكام ﴿ ايديهما ﴾

أي أيامهما بان تقطع يد كل منهما من كوعه * وقدر السرقة الذي يجب قطع يد السارق فيه اقله ربع دينارٍ وانما نقطع يد السارق والسارقة ﴿ جزاء ﴾ أي مكافأةً لهما على سرقتهما ﴿ بما كسبا ﴾ اي بسبب ما فعلاه من التعدي لحدود الله و﴿ نكالا ﴾ اي عقوبةً ﴿ من الله ﴾ على هذا الفعل ﴿ والله عزيز ﴾ أي غالبٌ على امره يأمر بهِ من يشاء من غير منازعة شريكٍ له ﴿ حكيم ﴾ في شرائعه لا يحكم الا بما يكون فيه المصلحة. فكانهُ يقول فلا تفرطوا ايها المؤمنون فيما بينته من الحكم على السارق وغيره من أهل الكبائر فاني جعلت هذا الحكم عقوبة لهم في الدنيا وقضيت بهِ عليهم لعلمي بأن فيه صلاحاً لكم ولهم * ثم انهُ جل شأنهُ بين عظم نعمته تعالى الدالة على تمام كرمهِ فقال ﴿ فمن تاب ﴾ من السارقين ﴿ من بعد ظلمه ﴾ الذي هو سرقته ﴿ وأصلح ﴾ أمره بالاخلاص والتبرئ مما ارتكبه والعزم على ترك المعاودة اليه وأحسن بعد التوبة المذكورة معاملته مع ربه ومع عباده ﴿ فان الله يتوب عليه ﴾ اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة على ما حصل منهُ أي من حقه تعالى. وبيان ذلك ان السرقه مثلاً فيها حقانِ حق لله تعالى وحق للآدمي فالتوبة تسقط حق الله تعالى لأنهُ مبني على المسامحة دون حق الآدميِ فانهُ لا يسقطُ الا بردهِ الى صاحبهِ أو عفوهِ عنه . ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ اي ساترٌ لذنوبهم محسنٌ اليهم . انتهى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

لما بين الله تعالى في هذه السورة قصص اليهود والنصارى وذكر فيها معايبهم وجراءتهم على ربهم وخباثة معتقداتهم وتعديهم على أنبيائهم وتبديلهم كتابه وتحريفهم له وبين أن طعامهم وطعام جميع المشركين خبيثٌ ٠ أمر الله سبحانهُ وتعالى نبيه ان يبلغ جميع ما انزل عليهِ في حقهم من ذلك كله وأن لا يبالي بهم بأن يشغل نفسه بالتحفظ على نفسه خوفاً من ان يصيبه منهم مكروهٌ لكثرة عددهم وقلة اصحابه في ذلك الوقت٠ واعلمه سبحانهُ وتعالى انهُ ان كتم شيئاً مما أمر بتبليغه فكأنهُ لم يبلغ من الرسالة حكماً واحداً٠ ثم ناداه بلفظ الرسول تشريفاً له صلى الله عليهِ وسلم فقال ﴿ يا أيها الرسول بلغ ﴾ الناس ﴿ ما أنزل اليك ﴾ اي جميع ما انزله الله عليك من الأحكام وغيرها وافعل ما امرت به ﴿ من ربك ﴾ اي مالك امورك وموصلك الى كمالك اللائق بك بدون مراقبة احدٍ ﴿ وان لم تفعل ﴾ ما امرتك بهِ من التبليغ ﴿ فما بلغت رسالته ﴾ اي فما بلغت شيئاً من رسالته لانك اذا لم تبلغ بعضها فكأنك تركت جميعها حيث ان بعضها ليس أولى في التبليغ من البعض

الآحر وكما ان من لم يؤمن ببعضها فليس مؤمناً بجميعها فلم ولا تبالي بهم ﴿ والله يعصمك ﴾ اي يحفظك ﴿ من الناس ﴾ وهم اليهود والنصارى وهذا وعدٌ كريمٌ منهُ سبحانهُ وتعالى بعصمةِ نبيهِ صلى الله عليهِ وسلم من ضررهم . ولما نزلت عليهِ هذه الآية وامن على نفسهِ العزيزة من اعدائه قويت همته واجتهد في التبليغ كما امره سيده ولم يخش عداوتهم ولذلك قال تعالى ﴿ ان الله لا يهدي القومَ الكافرين ﴾ اي لا يمكنهم مما يريدونهُ من ضررك * ثم ان الرسول صلى الله عليهِ وسلم ما بعث الى الناس الا بعد ان انقطعت آثار الوحي ووقع التحريف والتبديل في الشرائع القديمة فكان ذلك عذراً ظاهراً للخلق في اعراضهم عن عبادة ربهم وحق لهم ان يقولوا يا الهنا عرفنا انهُ لا بد من عبادتك ولكنا لم نعرف كيف نعبدك حتى منَّ الله تعالى عليهم بكشف هذه العلة وبعث سيدنا محمداً صلى الله عليهِ وسلم الى كافة الناس بالدين المستقيم وزال هذا العذر فآمن منهم من آمن وكفر من كفر * والحكمة في ارسال الرسل مع ان الله تعالى قادر على هداية الخلق من غير ارسال احدٍ لهم لأنهُ قادر على كل شيء هي ان الناس ما خلقوا الا لعبادتهِ تعالى ولا يمكن تكليفهم بها الا بارسال الرسل اليهم لينذروا العاصي بعذابه ويبشروا الطائع بنعمه جل وعلا فلا يكون لهم معذرة يعتذرون بها عند ربهم فيقولون فيها يا الهنا كان اللائق برحمتك ان ترسل لنا رسولاً فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلمه من احكامك . ثم انهُ قد يتوقف تبليغ الرسل لاحكام الله على ازال

الكتب عليهم • وقد يكون انزال الكتاب منها مفرقاً في اوقات متعددة اقرب الى مصلحة الخلق لانهُ اذا نزل مرة واحدة كثرت عليهم التكاليف فلا يمكنهم القبول بل يكون ثقيلا عليهم كما ثقل على قوم موسى حين أنزلت عليهم التوراة دفعةً واحدةً فعصوا • وسبب ذلك ان القوة البشرية قاصرة عن ادراك جزئيات المصالح وان اكثر الناس عاجزون عن ادراك كلياتها • وهذا تفضلٌ وكرم منهُ تعالى وحسن تدبير لايدرك سرَّه كل احد • والا لو عاقبهم سبحانهُ وتعالى على تقصيرهم ولم يرسل لهم رسلاً ابداً ما امكن احدا أن يعارضه في شيء بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء • ولكن اقتضت ارادته وعدالته ان لا يعاقب الا من تعدى حدوده وخالف امره ولاَ يظلم ربك أحداً والى ذلك الاشارة الالهية بقوله(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) جعلنى الله واياكم ايها الاخوان ممن يهتدي بهدايته ويتباعد عن خطوات الشيطان وغايته أمين *

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾

اعلم ايها العاقل الذكي انهُ نزلت في شأن الخمر اربع آيات (الأولى) نزلت بمكة وهي قوله تعالى (ومنْ ثمراتِ النخيلِ والاعناب تتخذون منهُ سكراً ورزقاً حسناً الخ) فاكثر المسلمون من شربها (الثانيـة) ما روي ان عمر بن الخطاب وجماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قالوا أفتنا يارسول الله في الخمر فانها مذهبةللعقل • فنزل قوله تعالى (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) فلما نزلت هذهالآية شربها قوم من الصحابة وتركها آخرون (الثالثة) ماروى انهُ بعد نزول الآية المتقدمة دعا عبد الرحمن بن عوف جماعة من الصحابة وشربوها فسكروا ثم حضرت الصلاة فصلى بهم واحد منهم فقرأ ـ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ـ من غير (لا) النافية حتى أتمها فنزل قوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فلم يشربها بعد ذلك الا قليلون (الرابعة) ما روي ايضاً انهُ بعد نزول تلك الآية دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص ومعه جماعة من قومهِ فشربوا جميعاً فلما سكروا صاروا يفتخرون على بعضهم وينشدون الاشعار الدالة على مدح قبائلهم وذم من سواها حتى انشد سعد شعراً

فيه مدح قبيلته التي هي الخزرج وذم الانصار فضربهُ رجل انصاريٌ بلحي بعيرٍ فشجّ رأسهُ شجة وصلت الى العظم فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فقال عليهِ الصلاة والسلام عند ذلك (اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً) فنزل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمرُ﴾ التي تشربونها وهي كل شرابٍ مسكرٍ ﴿والميسرُ﴾ أي القمار وصفتهُ ان العرب كانت لهم عشرة اقداح وجعلوا لكل واحدٍ منها اسماً وكتبوه عليه • وتركنا ذكرها خوف التطويل وجعلوا لكل منها قدراً معلوماً من ابل ينحرونها ويقسمونها عشرة اقسام الا ثلاثة منها فلم يجعلوا لها شيئاً من ذلك فكانوا اذا ارادوا المقامرة جعلوا تلك الاقداح العشرة في الخريطةِ ووضعوها على يد رجل عدلٍ منهم ثم يجلجلها أي يرجها ويدخل يده فيها فيخرج منها قدحاً باسم رجل من الموجودين ثم يفعل ذلك ثانياً وثالثاً حتى ينتهي الى العشرة اقداح فمن خرج باسمِ قدحٌ من الاقداح التي لها قدر معين من الابل أخذ ذلك القدر المعين له • ومن خرج له واحد من الاقداح الثلاثة التي لا نصيب لها من الابل لم يأخذ شيئاً وغرم ثمن ابل معينة • وكانوا يدفعون تلك الابل الى الفقراء بعد نحرها وقسمتها عشرة اقسام كما ذكرنا ولا يأكلون منها شيئاً ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يشاركهم في ذلك • فنزلت الآية الشريفة بتحريم هذا النوع وما أشبهه من جميع انواع القمار كالطاولة والشطرنج وغيره

﴿ والأنصاب ﴾ أي الاصنام المنصوبة للعبادة ﴿ والأزلام ﴾ أي الاقداح التي كانوا يستقسمون بها أي يطلبون بها معرفة ما قسم أي قدر لهم وذلك انهم كانوا اذا قصدوا فعل امر اخذوا هذه الاقداح الثلاثة ووضعوها في خريطة وقد كان مكتوباً على احدها أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي • وعلى الثالث غفل • فان خرج ما فيه الامر فعلوا ما ارادوه وان خرج ما فيه النهي تركوه ولم يفعلوه وان خرج ما فيه غفل اعادوا الاستقسام مرة أخرى • فظهر من هذا البيان ان الاستقسام عندهم يشبه ما يفعله المسلمون من عمل الاستخارة بالسبحة • فالله سبحانهُ وتعالى حرم عليهم هذا الفعل وامرهم باجتنابهِ فكانهُ يقول انما شربكم الخمر وفعلكم القمار على الجزر وذبحكم للانصاب واستقسامكم بالازلام ﴿ رجس ﴾ أي شيءٌ رديءٌ تشمئز منه النفوس الزكية وتتباعد عنه العقول السليمة وهو حاصل ﴿ من عمل الشيطان ﴾ لانهُ هو الذي دعاكم وحسنه لكم وليس من الاعمال التي دعاكم اليها ربكم ويرضاها لكم بل هي من الاعمال التي تكون سبباً في غضبه عليكم ﴿ فاجتنبوه ﴾ أي فاتركوا هذا الرجس ولا تفعلوه ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أي تفوزون برضاء الله سبحانهُ وتعالى عليكم * فانظروا يا أولي الالباب كيف جمع الله سبحانه وتعالى الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في حكم التحريم فاذا تأمل العاقل عرف ان شرب الخمر ولعب القمار شرٌّ عظيم مستقبح عند الله تعالى ولذلك جعل اجتنابهما سبباً للفلاح فيكون فعلها خيبه للعبد وتجارة خاسرة

ثم بين سبحانهُ وتعالى ما ينشأ عن الخمر والميسر من المفاسد الدنيوية والدينية الموجبة لتحريمها فقال ﴿ انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ﴾ أي بسبب تعاطيهما فهذه اشارة الى المفاسد الدنيوية التي تترتب على تعاطيها . وبيان المفاسد الناشئة من شرب الخمر . ان الانسان اذا شربها زال عقله فتتمكن منهُ الشهوة والغضب الموصلان الى وقوع الشر والنزاع بينه وبين غيره وكذلك القمار يؤدي الى تلف المال حتى ان الرجل يقامر على مال زوجتهِ وولده طلباً في لذة الغلبة الشهوية التي لا يقع منها الا الشقاق والبغض والتفرق وكل ذلك مخالف لغرض الشارع لان غرضهُ الاجتماع الذي تنشأ عنه الالفةُ والمودة . وبالجملة فتعاطيهما موجب للحرمان من اللذة الحقيقية الحاصلة من الاستغراق في طاعة المعبود * ثم انهُ اشار تعالى الى ما ينشأ عنهما من المفاسد الدينية فقال ﴿ ويصدكم ﴾ أي ويمنعكم الشيطان ﴿ عن ذكر الله ﴾ والاشتغال بهِ ﴿ وعن الصلاة ﴾ والحضور اليها . ثم أكد الامرَ بصيغة الاستفهام على طريقة الزجر والتخويف وتنبيهاً على انهُ لا عذر لمن يتعاطاهما بعد ما بين المفاسد الحاصلة فقال ﴿ فهل انتم منتهون ﴾ أي راجعون عما يبعدكم عن الخير ويوقعكم في الشر فكأنه يقول قد بينت ما هو كاف في باب المنع فهل انتم بعد هذا البيان منتهون أم انتم مستمرون

على تعاطي ما نهيتكم عنهُ ولم تنزجروا • ولهذا لما نزلت هذه الآية قالوا انتهينا يارب انتهينا • ثم انه تعالى أعقب ذلك تكليفهم بالطاعة في المأمورات وتحذيرهم عن المخالفة في هذا الباب فقال ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ في اجتنابكم هذا الرجس وخالفوا الشيطان ولا تتبعوه فيما يزعكم فيه من معصية الله تعالى ﴿ واحذروا ﴾ أي وخافوا الله وراقبوه حتى لا يراكم مرتكبين لهذه الامور التي حرمها في هذه الآية وغيرها ﴿ فان توليتم ﴾ أي فان أعرضتم ورجعتم عن الطاعة ولم تعملوا بما أمرناكم بهِ وتنتهوا عما نهيناكم عنهُ ﴿ فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ أي فاعتقدوا انهُ ليس على رسولنا الذي أرسلناه اليكم الا ان يبلغكم الرسالة التي أرسل بها اليكم فقط • وقد اشتملت على بيان ما يوضح لكم سبيل الحق الذى أمرناكم بسلوكه • واما العقاب على الاعراض عن الطاعة فانما يكون من ربهِ الذي ارسله فانهُ هو القادر على جزاء المخالف • فعلى العاقل الفطن أن يجد في خدمة مولاه بكل جوارحه ولا يغلب عليه سلطان هواه في مجاهدة نفسه بل يلزم مولاه مخلصاً في السر والجهر بشوقٍ وصدقٍ لابساً لباس التقوى مخرجاً نفسهُ من رق عبودية الحرص والهوى • فحينئذٍ يفتح له الباب ولا يرد له جواب • فاذا أقسم على سيده بجماله وجلاله ان يرزقه شيئاً من اقباله ووصاله عاجله بما يتمناه وبلغه كل مناه * فاسلكوا اخواني مذهب التسليم حتى توصلكم الى شريعة الرضى ومنهج الكمال وذلك لايكون الا بحسن النية والاستقامة * جعلنا الله واياكم من السالكين

في مسلك أهل اليقين أمين *

قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

سبب نزول هذه الآية ما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل حرم عليكم عبادة الاوثان • وشرب الخمر • والطعن في الأنساب • ألا وانّ الخمر لعنَ شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها • فقام اليه اعرابيٌّ فقال يارسول الله اني كنت رجلاً كانت هذه اي الخمر تجارتي واستفدت من بيعها مالاً كثيراً فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعةِ اللهِ • فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

(إِنْ أَنْفَقْتَهُ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ لَمْ يَعْدِلْ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ)

وأنزل الله عز وجل هذه الآية تصديقاً لقول رسوله وبين فيها حكماً عاماً بنفي المساواة عند الله تعالى بين الخبيث من النفوس والاعمال والأخلاق والأموال وبين الطيب منها ترغيبا في الطاعة وزجراً وتخويفاً عن المعصية فقال ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ لايستوي ﴾ عند ربكم ﴿ الخبيث ﴾ الشامل للحرام من الاموال والفاسد من الاعمال والضعيف من المعتقدات والرديء من النفوس ﴿ والطيب ﴾ الشامل للحلال من الأموال والصالح من الأعمال والصحيح من الاعتقادات

والطاهر من النفوس • فقد علمت ايها العاقل مما تقدم ان الخبيث مردودٌ موجب للبعد والطرد والحرمان وأن الطيب مقبولٌ موجب للقرب والوصول الى الخيرات فلا تستبدل الخبث بالطيب أيها الانسان الكامل ﴿ ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ ولما كان عدم استواء الخبث والطيب ناشئاً من أمرٍ معنويٍ قام بهما وليس ناشئاً من حيث الظاهر منهما لانهما مستويان بحسب الظاهر • قال الله تعالى • ولو اعجبك كثرة الخبيث • يعني أنهما لا يستويان ولو اعجبك الخبث من حيث كثرته وعظم لذته ورغبة النفس فيه وقد يكون سبباً للحرمان من الفوز بالسعادة الابدية * واذا علمتم ايها المخاطبون أن الخبث سببٌ فيما تقدم ﴿ فاتقوا الله ﴾ اي وراقبوه في اجتناب الخبيث اي المال الحرام وان كان كثيراً في الظاهر • وفي اختيار الطيب واجعلوه بضاعتكم وان كان قليلاً في الظاهر لأن المحمود القليل خيرٌ من المذموم الكثير ﴿ يا أولي الالباب ﴾ اي يا أهل العقول الخالصة عن حب الشهوات واتباع هوى النفس ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ اي تفوزون بنجاح أنفسكم ووصولها الى الله تعالى * وفقنا الله واياك الى مافيه الفلاح والنجاح آمين انتهى

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

أرشد الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الى انهم لا يسعوا الا فيما

يكون فيهِ صلاحٌ لأنفسهم ولا يشتغلوا بغيرهم من الجهال الذين لم يقبلوا نصحاً في الدين اذا نصحوهم بل استمروا على جهالتهم وضلالتهم. وأخبرهم سبحانهُ وتعالى ايضا انهم ماداموا متمسكين بشرعهِ طائعين لامره ونهيهِ لا يضرهم شيءٌ من جهل غيرهم وضلاله. فالطائع لربهِ لايؤاخذ بذنبِ العاصي فقال﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾سبق تفسيره ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ اى احفظوها والتزموا صلاحهـا بأن يعظ بعضكم بعضاً ويرغبهُ في الخيرات وينصحهُ في القبائح والسيئآت. واعلموا أنهُ ﴿ لا يضركم ﴾ ضلال﴿ من ضل ﴾اي سلك غير طريق الحق ﴿اذا﴾ أنتم ﴿اهتديتم ﴾ أي أطعتم ربكم فيما أمركم بهِ ونهاكم عنهُ. ولا يجب عليكم أمرُ غيركم بالمعروف ونهيه عن المنكر الا اذا كنتم آمنين على أنفسكم من ضرره. وأما ان علمتم أنهُ يتطاول عليكم بالضرر في أنفسكم أو في أموالكم أو في عرضكم لو نصحتموه فاتركوه واعملوا لانفسكم ما ينجيها من عقاب الله تعالى ويقربها اليه فان ﴿ الى الله مرجعكم جميعاً ﴾ وهو العالم بما تعملونه من خيرٍ وشرٍ ﴿ فينبئكم ﴾ اي فيخبركم يوم القيامه ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ اى تفعلونهُ في الدنيا فيجازيكم عليه بحسب ماتستحقونهُ فانهُ لايخفى عليه من أعمالكم شيءٌ * جعلنا الله تعالى من المستحقين الجزاء الحسن بمنهِ وكرمهِ آمين *

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ * فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

بعد ما أمر الله عباده في الآية السابقة بحفظ أنفسهم أمرهم في هذه الآية بحفظ أموالهم وأمرهم أيضاً بأن الوصية لازمةٌ عند الموت . أي عند مجيء أسبابه فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ سبق تفسيره ﴿ شهادة

بيىكم ﴾ اي شهادة ما يقع بيىكم ﴿ اذا حضر ﴾ اي اذا جاء ﴿ أحدكم الموت ﴾ بأن قرب أجلكم وظهرت علاماته ﴿ حين ﴾ اي وقت ﴿ الوصية ﴾ معلوم هي ان يشهد ﴿ اثنان ﴾ معلوم ﴿ ذوا ﴾ اي صاحبا ﴿ عدل ﴾ اي انصافٍ ﴿ منكم ﴾ اي من أقاربكم لأنهم اعلم بأحوال الميت وأعرف الناس بما هو أصلح له اذا أراد الوصية لأحدٍ بشيء من ماله ﴿ أو ﴾ أن يشهد على تلك الوصية رجلان ﴿ آخران من غيركم ﴾ اي من غير أقاربكم ان لم تجدوهما من الاقارب ﴿ ان أنتم ضربتم ﴾ اي سافرتم ذاهبين او راجعين ﴿ في الأرض فأصابتكم ﴾ أي فنزلت بكم ﴿ مصيبة الموت ﴾ وظهرت علاماته وأسندتم وصيتكم الى الشاهدين المذكورين حين السفر ودفعتم اليهما ما كان معكم من مال ليدفعاه الى ورثتكم بعد رجوعهما من السفر فادّعوا عليهما خيانةً في الوصية او في المال فان الحكم فيهما أن ﴿ تحبسونهما ﴾ اي توقفوا الشاهدين ﴿ من بعد الصلاة ﴾ اي صلاة العصر • وقد روى ان النبي صلى الله عليهِ وسلم • حلف فيهِ اي في وقت العصر • من نزلت فيهم هذه الآيةُ • والحكمة في ذلك هو التغليظ على الحالف • لانهُ وقتٌ يعظمه جميع أهل الأديان • اذا علمت أن تغليظ اليمين على الشاهدين المذكورين يكون بما تقدم ﴿ فيقسمان بالله ﴾ اي فيحلفان به ﴿ ان ارتبتم ﴾ اي ان اتهمتموهما بخيانةٍ كتغييرِ وصيةٍ او اخفاءِ شيء من تركةٍ دفعها لهما الميت وهما معهُ في السفر ﴿ لا نشتري بهِ ثمناً ﴾ اي لا نأخذ لأنفسنا بدلا من الله • اي من حرمته

عوضاً دنيوياً اي لا نحلف بالله كاذبين لأجل اخفاء شيء من التركة أو تغيير في الوصية ﴿ ولو كان ﴾ المحلوف له ﴿ ذا قربى ﴾ اي صاحب قرابةٍ ما ﴿ ولا نكتم ﴾ اي ولا نخفي ﴿ شهادةَ الله ﴾ اي الشهادة التي امرنا الله باقامتها ﴿ انا اذاً ﴾ اي اذا كتمناها ﴿ لمن الآثمين ﴾ اي المذنبين ﴿ فان عثر ﴾ اي فان حصل اطلاعٌ ﴿ على أنهما ﴾ اي الشاهدين المذكورين ﴿ استحقا ﴾ اي استوجبا من الله ﴿ اثماً ﴾ اي ذنباً بسبب ما ظهر من حلفهما بالله كذبا ﴿ ف ﴾ يقوم حينئذ رجلان ﴿ آخران يقومان مقامهما ﴾ اي مقام ذلك الرجلين اللذين ظهرت خيانتهما بتغيير الوصية ويقفان بعد الصلاة المذكورة لأجل التحليف بشرط ان يكونا ﴿ من ﴾ أهل الميت ﴿ الذين استحق ﴾ اي ثبت لهم حقٌ ﴿ عليهم ﴾ اي على الشاهدين ﴿ الأوليان ﴾ اي الأقربان للميت ﴿ فيقسمان بالله ﴾ اي فيحلفان به ويقولون ﴿ لشهادتنا ﴾ اي أيماننا ﴿ أحق ﴾ اي اصدق ﴿ من شهادتهما ﴾ اي من أيمانهما لصدقنا وكذبهما ويقولون ايضاً ﴿ وما اعتدينا ﴾ اى وما تجاوزنا الحق ﴿ انا اذاً ﴾ اي اذا تجاوزناه ﴿ لمن الظالمين ﴾ لأنفسنا. وكأن صورة الحكم الذي نصت عليه الآية الكريمة هكذا. يا أيها المؤمنون ان من ادركته منكم مصيبة الموت اي ظهرت علاماته لا بد له من الوصية قبله. فاذا أوصى أحدكم بشيء عند موته فيجب عليه أن يشهد على وصيته رجلين عدلين من اقاربه لأنهما اعلم بحاله. فان لم يجدهما بأن كان هذا الذي قربت وفاته مسافراً فليشهد على

وصيته رحلين عدلين من عـير أقاربه * ثم ان حصلت من الورثة تهمةٌ للشاهدين في الوصية او في مالٍ سلمه لهما المتوفي لأحل أن يدفعاه لهم بعـد الرجوع من السفر فطنوا تغييراً او تبديلا في الوصية او نقصاً في المال المذكور فانكم تصبرونهما وتوقفونهما عن الخروج من بعد صلاة العصر فيحلفان بالله انا لانحلف بهِ كاذبين لأحل المـال وما أخفينا من الشهادة ولا من التركة شيئاً • فان حصل اطلاع بعد التحليف على كذبهما بأن ظهر بأيديهما شيءٌ من التركة وادّعيـا أن المتوفي ملـكه لهما فليقم رجلان من الورثة فيقسمان بالله أن يمينا مرةٌ عن الـكذب وأصدق من يمينهما • ثم يصدقان في يمينهما من جهـة الحاكم الشرعي فيؤخذ من الشاهدين ماظهر في أيديهما من التركة وتثبت عليهما الخيانة • ثم بين ان هذا الحـكم الذي تقـدم تفصيله واردٌ على مقتضى المصلحة والنظام الالهي فقـال ﴿ ذلك ﴾ الحـكم الذي شرعنـاه والطريق الذي سلـكناه ﴿ أدنى ﴾ اى أقرب الى ﴿ أن يأتوا ﴾ اى ان يؤدي الشهود ﴿ بالشهادة ﴾ التي تحملوها ﴿ على وجهها ﴾ اي على صحتها من غير تحريف ولا خيانةٍ خوفاً من العذاب الأخروي بسبب اليمين الـكاذبة ﴿ أو يخافوا أن تردَّ أيمانٌ ﴾ من من الورثة ﴿ بعد أيمانهم ﴾ فيفتضحوا عند الناس بسبب ردها وقبول أيمان الورثة فلا يفعلون الخيانة ومتى حصل أحد الخوفين فقد حصل الاتيان بالشهادة على وجهها ﴿ واتقوا الله ﴾ في مخالفة أحكامه ﴿ واسمعوا ﴾ ما أمركم بهِ سماع قبولٍ • فان لم تتقوه ولم تسمعوا كنتم من الفاسقين

﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ اي الخارجين عن طاعته • ومعنى عدم هدايته لهم انه لا يدلهم على الطريق الموصلة الى سعادتهم الدنيوية والأخروية انتهى

﴿ الباب السادس في تفسير ما جاء من الاوامر ﴾
﴿ في سورة الأنعام ﴾

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ • قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ

عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ . وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ *

أمر الله تعالى في هذه الآيات رسوله بأن يأمر المعاندين والمنكرين لوحدانيته تعالى ولكونه صانعاً لهذا العالم بالسير في الأرض ليشاهدوا آثار الأمم الماضية فيعتبروا ويتدبروا في أحوالها ليرجعوا عن انكارهم لما تقدم فقال ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد لاتغتروا بما تبصرونه من زينة الحياة الدنيا التي لادوام لها و﴿ سيروا ﴾ اي سافروا ﴿ في الأرض ﴾ لتشاهدوا آثار الامم الماضية الذين كذبوا رسلهم فنزل بهم ما نزل من البلاء . فان السير في الأرض يورث الاعتبار ويفيد الاستبصار ﴿ ثم انظروا ﴾ بنظركم الحسي والقلبي باخلاصٍ وتدبرٍ في أحوال من مضي قبلكم ﴿ كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ لرسلهم في النصيحة حتى هلكوا بسيوف القطيعة حيث ساروا بجهلهم وتعصبهم الطبيعي في بحر التلف والخسران * ثم انهُ سبحانهُ وتعالى أمر نبيه صلى الله عليهِ وسلم

ان يقيم لهم الدليل القاطع على اثبات الصانع وصدق الرسالة واثبات الحشر بطريق الالزام والاعتراف • وذلك لانهُ جعل الدليل على ما ذكر بالحوادث والموجودات التي يشاهدونها بابصارهم لان علامات الحدوث والايجاد ظاهرة على صفحات العالم السماوي والعالم الارضي ظهوراً لا يقدر أحدٌ من العقلاء على انكاره • بل يقرّ من غير شك بأنهُ تعالى هو المحدث والصانع لهذين العالمين فقال ﴿ قل ﴾ لهم ايضا يا محمد ﴿ لمن ﴾ ملك ﴿ ما ﴾ اي الذي ﴿ في السموات والأرض ﴾ ثم أجبره تعالى أن يجيبهم بقولهِ ﴿ قل ﴾ لهم في الجواب هو ﴿ لله ﴾ الذي اوجد كل شيء وقهره بملكه وسلطانه لا بمعونة الأوثان التي يتخذونها آلهة مع أنها لاتملك لأنفسها نفعاً ولا يمكنها ان تدفع عنها ضرراً بل هو سبحانهُ وتعالى هو المنفرد بالأيجاد والملك من غير شك • ثم انهُ لايتم له الملك وثبوت الايجاد له الا اذا كان قادراً على اعادة هذه الموجودات بعد فنائها • كما انهُ هو الذي أنشئها بقدرته • ولم تحصل حكمة الاعادة للموجودات الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين * واعطاء الثواب وحصولُ العقابِ لا يحسنا (١) الا بعد نصب الدلائل وارسال الرسل • فلأجل ذلك قال ﴿ كتب ﴾ اي فرض وأوجب بفضله وكرمهِ ﴿ على نفسهِ ﴾ اي على ذاتهِ بلا الزامٍ ﴿ الرحمة ﴾ لعباده • وهي انهُ تعالى أقام لهم الأدلة القاطعة على معرفته وارشدهم

---

(١) لا يحسنا من حيث انهما مقتضى حكمته تعالى والا فلو عذب المطيع واثاب العاصي من غير ارسال الرسل فلا يسئل عما يفعل

الى طريق النجاح بواسطة رسله * فحينئذ لاحجة يوم القيامة لمن عصا وخالف الأمر وارتكب النهي * ومن رحمته تعالى ايضاً انهُ تجلى على من ترك تكذيب الرسل وصدقهم وقبل شريعتهم بقبول توبته. فهو سبحانهُ وتعالى هو المفيض لكل خيرٍ والمنعم بكل كمالٍ اما ابتداء بدون تقدم معصيةٍ او انتهاء . فالسعيد كتب سعيداً والشقيُّ كتب شقياً في الازلِ . فمن قضي لهُ في الازل بخيرٍ اوكمال لابدّ انهُ عند مجيئ وقت استحقاقهِ له في حياته ينعم عليه بما قضي وقدر له * واذا علمتم ان كل ما في السموات والأرض مملوك لله تعالى وحده. فاعلموا انهُ ملكٌ حكيمٌ لايهمل امور عبيده ابداً و ﴿ ليجمعنكم الى ﴾ المحشر جميعاً في ﴿ يوم القيامة لاريب ﴾ اي لاشك ﴿ فيهِ ﴾ اي في اليوم المذكور ومنكره كافرٌ بالاجماع . وهو من المحجوبين الذين لانورَ في عقلهم. فضلوا بجهلهم عن طريق الحق وسلكوا طريق الباطل زاعمين أنهم من أهل العقول السليمة والمعرفة. مع ان بينهم و بينهما مثل مابين السماء والارض من البعد بل هم ﴿ الذين خسروا ﴾ اي هلكوا وضيعوا ﴿ انفسهم ﴾ بسبب تعصبهم ومعاندتهم وانكارهم لتوحيد الاله والحشر واتباع أهوائهم في حب الشهوات واللذات من هذه الدنيا الفانية . فهؤلاء لما استمروا على محبتها حجبت بصيرتهم عن الحقائق الباقية النورانية . وضلت قلوبهم فاشتغلت بالمحسوسات الفانية الظلمانية ﴿ فهم ﴾ بالضرورة ﴿ لايؤمنون ﴾ اي لايصدقون بما جاء من عند الله تبارك وتعالى . ثم لما بين سبحانهُ وتعالى أنهُ مالكٌ للمكان

العلويّ والسفليّ ولكل ما هو كائن فيهما بين ايضاً انهُ مالكٌ للزمان وما يقع فيه فقال ﴿ وله ﴾ اي ولله ملك ﴿ ما ﴾ اي الذي ﴿ سكن ﴾ اي حل ووجد. وليس المراد بالسكون هنا ما قابل التحرك لئلا يلزم قصرُ العبارة على الساكن ﴿ في الليل والنهار ﴾ معلوم. واذا علمت أن كل ما حلّ في الوقت والزمان سواء كان متحركاً أو ساكناً او ثابتاً مملوك له تعالى تعلم يقيناً ان الدخول تحت الزمان يستلزم التغيير من العدم الى الوجود ومن الوجود الى العدم . وكل ما كان متغيراً فهو حادثٌ اي موجودٌ بعد العدم . واذا كان كل ما دخل تحت الزمان حادثاً فلا بد له طبعاً من محدثٍ . اي من موجدٍ يوجده ويتقدم عليه وعلى الزمان ﴿ وهو السميع ﴾ اي الذي يسمع نداء المحتاجين ويسمع أنين من التجاء اليه من العارفين ﴿ العليم ﴾ اي الذي يعلم حاجات المضطرين وحنين من اشتاق اليه من المحبين * فظهر ان هذه الاية الكريمة دلت على وجود الصانع تعالى دلالةً قطعيةً عند أهل العقول * ثم بعد أن وبخهم بما سبق من الخطاب أمر نبيه صلى الله عليهِ وسلم ان يخاطبهم على طريق الاستفهام الانكاري فقال ﴿ قل ﴾ يامحمد لهؤلاء المشركين بربهم ﴿ أ ﴾ سبتاً ﴿ غير الله ﴾ تعالى ﴿ أتخذ ﴾ اليوم ﴿ ولياً ﴾ اي معبوداً أستنصره واستعين بهِ. وهو سبحانهُ وتعالى قد اتخذني في الازل حبيباً وهو ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ اي منشئهما وخالقهما ﴿ وهو يطعم ﴾ اي وهو الرزاق لكل ما سواه ﴿ ولا يطعمُ ﴾ اي ولا يرزقه أحدٌ . لانهُ لايحتاج الى قبول الفض

من غيره بسبب غناه المطلق • بل هو الذي يطعم أرواح العارفين طعام المشاهدات ويسقيهم شراب المكاشفات • ثم بين تعالى أن النبي صلى الله عليهِ وسلم داخلٌ في التكليف بالمعرفة • بل هو أسبق من غيره أزلاً في ذلك فقال ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ اني أمرت ﴾ اي امرني ربي ﴿ أن أكون أول من ﴾ اي أول انسان ﴿ اسلم ﴾ اي أقر بتوحيده وصدق بكتابه • لأني حصصت بكمال المعرفة والتقدم عنده • ولهذا تقول الانبياء جميعاً في المحشر نفسي نفسي وانا أقول أمتي أمتي ﴿ و ﴾ قد نهاني جل شأنه بقولهِ تعالى ﴿ لاتكونن من المشركين ﴾ بالله *

ثم بين تبارك وتعالى ان نبيه صلى الله عليهِ وسلم مع رفعة منزلته وقربه منه تعالى لو فرض وحصلت منهُ مخالفةٌ عامله بالمؤاخذة مثل غيره من الناس فقال ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ان ربي نهاني عن عبادة شيءٍ سواه و ﴿ اني أخاف ان عصيت ربي ﴾ بعبادة غيره ﴿ عذاب يومٍ عظيم ﴾ وهو يوم القيامة • ثم انهُ لايلزم من ظاهر هذه الآية جواز وقوع المعصية من الانبياء جمعاً بل هو مستحيل عليهم • وانما ذلك على طريق الفرض والتقدير كما سنبينه فيما سيأتي ان شاء الله تعالى ﴿ من يصرف عنه ﴾ اي من يصرف اللهعنهُ من خلقه العذاب ﴿ يومئذ ﴾ اي يوم القيامة ﴿ فقد رحمه ﴾ الله الرحمة العظمى وأحسن اليه كمال الاحسان وأدخله الجنة • لان من يدفع عنهُ العذاب لابد ان يمنّ عليهِ بالثواب تفضلاً منهُ تعالى • وقد استدلت الاشاعرة (١)

---

(١) اي الشيخ الاشعري المشهور والتابعون له

من اهل السنة بهذه الآية على أن اعطاء الثواب منهُ تعالى في مقابلة الطاعة غيرُ واجب عليه . وانما هو فضلٌ واحسانٌ منهُ تعالى . لانهُ لو كان واجباً عليه لما حسن ذكر الرحمة هنا . لان الرحمة تقتضي التفضل والاحسان والوجوبُ لايقتضيهما ﴿ وذلك ﴾ اي صرف العذاب وايصال الثواب منهُ تعالى على سبيل الفضل هو ﴿ الفوز ﴾ اي الخير والنجاح ﴿ المبين ﴾ اي الظاهر . لانهُ المطلب الاعلى والمقصود لكل مكلفٍ . واذا عرفت ذلك فاعلم ايها العاقل انهُ لاينبغي لك ان تتخذ معبوداً تلتجئ اليه غيره تعالى . لانهُ ليس في الكون منفرداً باعطاء الثواب وايصال العقاب سواه ﴿ وان يمسسك الله بضر ﴾ من مرضٍ او فقرٍ او غير ذلك من البليات ﴿ فلا كاشف له ﴾ اي فلا يقدر على كشف ذلك الضر ﴿ الا هو ﴾ جل شأنه ﴿ وان يمسسك بخير ﴾ من صحةٍ او غنى ﴿ فهو ﴾ سبحانهُ وتعالى ﴿ على كل شيء قدير ﴾ اي لايعجز عن اي شيء كان . فثبت ان دفع جميع المضار وحصول جميع الخيرات بقدرتهِ تعالى . لان كل ما سواه تحت قهره وتسخيره . ولم يحصل الا بايجاده وتكوينه . لان العالم كله من حيٍّ او جمادٍ او غيرهما حادثٌ ولا يمكن ايجاد الحادث الا بايجاد محدثٍ واجب الوجود لذاتهِ . ورأس المضار هو الكفر . واصل الخيرات هو الايمان . وكل ما يتصور في العقل انهُ نفعٌ او ضرٌّ من الموجودات او المخترعات فانهُ ينتهي الى خلق الله تعالى لذلك النفع او الضرر . وجعله هذا الشيء واسطةً اي اسباباً ظاهرةً فيهما . فلا ضار ولا نافع

في الحقيقة الا هو سبحانهُ وتعالى فهو الفاعل المختار من غير شريك ﴿ وهو القاهر ﴾ اي الغالب الذي نفذ حكمه بكمال قدرته ﴿ فوق عباده ﴾ اجمعين (١) لانهُ قهر الكفار بموت قلوبهم فضلوا في ظلمات الطبيعة عن سعادتهم وقهر نفوس المؤمنين باحياء قلوبهم فخرجوا من ظلمات الطبيعة الى أنوار الشريعة وأغرق قلوب المحبين في بحر نور الأشواق • فهم بها سكارى الى يوم التلاق • وجذب أرواح المحبين بهيبة الجلال • في أوقات الوصال * فسبحان من اتسعت رحمته لأحبابه في حال شدة نقمته لأعدائه ﴿ وهو الحكيم ﴾ اي الذي يضع كل شيء في موضعه ﴿ الخبير ﴾ اي الذي يطلع على خفيات أحوال عباده *ألهمنا الله وإياكم الى طريق الرشاد * روى ان رؤساء مكةَ قالوا للنبي صلى الله عليهِ وسلم • يا محمد ما رأينا أحداً يصدقك في دعوى الرسالة ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انهم لم يجدوا في كتبهم شيئاً من صفاتك ولم يذكر لك اسم فيها فأرنا من يشهدلك أنك رسول الله حتى نصدقك فيما تدعيهِ • فأنزل الله هذه الآية الآتية وبين لنا فيها ان أكبر الشهادات وأعظمها شهادتهُ تعالى • لانهُ مطلعٌ على من يفعل المعاصي مختفياً عن الناس فلا يشهد عليه في الموقف غيره • لانهُ يحاسب على القليل والكثير • وبين تعالى ايضاً ان شهادتهُ حاصلةٌ لاثبات نبوته صلى الله عليهِ وسلم فقال ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ اي شيء ﴾

---

(١) فوق عباده • ليس المراد بالفوقية فوقية المكان بل المراد فوقية اجلالٍ واعتبار لانه منزه سبحانه وتعالى عن جميع الجهات

من الأشياء ﴿ أكبر ﴾ اي اعظم ﴿ شهادة ﴾ اي حجةً وبرهاناً على صدقي . فان لم يجيبوك فاجبهم أنت و ﴿ قل ﴾ لهم في الجواب ﴿ الله ﴾ هو ﴿ شهيد بيني وبينكم ﴾ على صدقي وكذبكم . لانهُ محيطٌ بجميع الاشياء ﴿ وأوحي ﴾ اي وانزل ﴿ اليّ ﴾ بطريق الوحي ﴿ هذا القرآن ﴾ الشاهد بصحة رسالتي ﴿ لأنذركم ﴾ اي لاخوفكم ﴿ بهِ ﴾ اي بما فيهِ من الوعيد بعقابه تعالى ﴿ و ﴾ لانذر بهِ ايضاً ﴿ من بلغ ﴾ اي من بلغه ووصل اليهِ هذا القرآن من كل مكلف انساً وجناً الى يوم القيامة . لانهُ صلى الله عليهِ وسلم بعث الى الثقلين كافة . وقل لهم يا محمد على طريق الاستفهام الانكاريّ ﴿ ائنكم ﴾ ايها المشركون ﴿ لتشهدون ان مع الله ﴾ تعالى ﴿ آلهة أخرى ﴾ اي معبودات غيره من الاوثان والاصنام . ثم قال تعالى لنبيهِ صلى الله عليهِ وسلم ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ لا أشهدُ ﴾ بذلك لانهُ باطل ﴿ انما هو اله واحد ﴾ اي بل انما أشهد أنهُ تعالى لا اله الا هو ﴿ وانني بريءٌ مما تشركون ﴾ اي من شرككم فلا أعبد سوى الله شيئاً ولا أدعو غيره الهاً . انتهى

قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

لما كان من ضلالات المشركين المتقدمة في الآية السابقة انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تدعون الاخلاص في عبادة الله فكان اللائق بدعوا كم هذه أنكم تأكلون ما قتله الله اي الذي مات بدون سبب ظاهري وتجعلونهُ احق بالأكل مما قتلتموه أنتم • فقال الله تعالى للمسلمين ان كنتم مخلصين في الايمان ﴿ فكلوا ﴾ ايها المؤمنون ﴿مما﴾ اي من الحيوان الذي ﴿ ذكر اسم الله ﴾ فقط ﴿ عليهِ ﴾ عند الذبح واجتنبوا ما ذكر عليهِ اسم غيره خاصةً او مع اسمه تعالى • او مات من غير ذبح • فتناولوا ما احله الله لكم من الاطعمة واتركوا ماحرمه عليكم منها ﴿ ان كنتم بآياته ﴾ الواردة في بيان ذلك وغيره ﴿مؤمنين﴾ اي مصدقين • فان من علامات الايمان ان تأكلوا الطعام الذي ورد الشرع باباحته لكم وتتركوا مالم يبحه لكم ولو كان موافقا لطباعكم • ثم تبدؤا الطعام بذكر الله وتختموه كذلك لقوله صلى الله عليهِ وسلم أذيبوا طعامكم بذكر الله انتهى • فالأكل مع الغفلة عن ذكره دليلٌ على عدم الشكر لنعمهِ وعلى ان متعاطيه لايستعين الا على تربية الجسم وقوته على العصيان المؤدي الى الحرمان *

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

قال الله سبحانه تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ أَنْ لاَ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ

إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ • وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ • إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾

لما أمر سبحانهُ وتعالى بأكل ماذكر اسم الله عليه أكد الله تعالى الامر السابق منكراً على المؤمنين بقوله ﴿ وما لكم ﴾ اي وأي غرض يحملكم على ﴿ ان لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ ويمنعكم من أكله ﴿ و ﴾ الحال انهُ تعالى ﴿ قد فصل ﴾ اي بين ﴿ لكم ما ﴾ اي الذي ﴿ حرم عليكم ﴾ بقوله تعالى قل لا اجد فيما أوحي اليّ محرماً على طاعمٍ يطعمه الا ان يكون ميته او دماً مسفوحا او لحمَ خنزيرٍ فانهُ رجسٌ او فسقاً أهلّ لغير الله بهِ • وحينئذ كلوا ما احله الله لكم واجتنبوا ماحرمه عليكم ﴿ الا ما اضطررتم اليهِ ﴾ اي الا الطعام الذي احوجتكم الضرورة الى أكله كالميتة بسبب شدة الجوع • فانهُ حينئذ يحل لكم • فكلوا بأمر المولى لا برأيكم وهواكم ﴿ وان كثيرا ﴾ اي من الكفار ﴿ ليضلون ﴾ الناس بسبب تحليل الحرام وتحريم الحلال وذلك ﴿ بأهوائهم ﴾ اي بمذاهبهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بل ﴿ بغير علم ﴾ مأخوذ من الشرع الشريف ﴿ ان ربك ﴾ يا محمد ﴿ هو اعلم بالمعتدين ﴾ اى المتباعدين عن طريق الحق السالكين في طريق الباطل — انتهى *

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾

جرت سنة الله سبحانهُ وتعالى بانهُ اذا أمر بشيء خاصٍ او نهي عن شيء خاصٍ اعقب ذلك بما يفيد العموم ولذلك قال بعد ما تقدم ﴿ وذروا ﴾ اى واتركوا ايها المؤمنون ﴿ ظاهر الاثم ﴾ اي افعال الجوارح المحرمة كالربا وشرب الخمر والسرقة والقتل وغيرها ﴿ وباطنه ﴾ اي افعال القلب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للعباد ويدخل في ذلك الاعتقاد الفاسد والعزم على المعصية والنظر الى الاجنبية بشهوة وظن السوء بالناس والندم على فعل الخير • فظهر من ذلك ان الانسان قد يؤاخذ ببعض ما يوجد في القلب من الخواطر كالعزم على المعصية وان لم يقترن به عمل • فزينوا ظواهركم بالطاعات وبواطنكم بالاخلاص وترك الشهوات ف ﴿ ان الذين يكسبون ﴾ اي يرتكبون ﴿ الاثم ﴾ اي الذنب ظاهراً او باطناً ﴿ سيجزون ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ بما كانوا يقترفون ﴾ اي بالذي كانوا يعملونهُ ويرتكبونهُ من الاخلاق المذمومة والاعمال الطبيعية الظلمانية التي توجب فساد مرآة القلب فتحجب العبد عن ادراك نور المعرفة الموصل الى كل خير وسعادة — انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

انهُ سبحانهُ وتعالى بين في هذه السورة الكريمة أموراً متعددة فمنها اثبات التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر . ثم بدأ بشرح احوال السعداء والاشقياء . ثم انتقل منه الى ابطال قول منكري البعث والقيامة . ثم اتبعه حكاية اقوالهم الفاسدة تنبيهاً منهُ تعالى على ضعف عقولهم . فلما تم بيان هذه المقاصد رجع الى ما هو المقصود الاصلي الذي هو اقامة الدلائل على اثبات ذاته ووجوب توحيده وعرف عباده موضع احسانه وانه هو المنعم لا غيره فقال ﴿ وهو ﴾ أي ربكم ﴿ الذي انشأ ﴾ أي خلق وابدع ﴿ جنات ﴾ أي بساتين من الكروم وغيره ﴿ معروشات ﴾ أي مرتفعات على ما يحملها من خشب(١) ونحوه ﴿ وغير معروشات ﴾ أي وغير مرفوعات بشيء يحملها بل قائمة على ساقها

---

(١) وليس المراد بالخشب حقيقته بل الكلام من باب تشبيه حالة الآخرة بحالة الدنيا

وحدها نقدرة الله تعالى ﴿و﴾ انشأ ايضاً ﴿ النحل ﴾ معلوم ﴿ والزرع ﴾ أي جميع النباتات التي تخرج منها الحبوب للقوت ﴿ مختلفاً اكله ﴾ أي مأكوله والمراد انهُ تعالى لما خلق النحل وجميع النباتات القوتية قدر حال خلقهما اختلاف ثمرهما فجعل لكل شيء منهما طعماً غير طعم الآخر ﴿ و ﴾ أنشأ ﴿ الزيتون والرمان ﴾ معلوم ﴿ متشابهاً ﴾ كل واحد منهما متشابه لصفه في القدر واللون والطعم ﴿ وغير متشابه ﴾ في ذلك ﴿ كلوا ﴾ ايها الناس ﴿ من ثمره ﴾ أي من ثمر ما ذكر من النحل والكرم ونحوهما ﴿ اذا اثمر ﴾ أي اذا أخرج ثمره • ثم انهُ تعالى ذكر في آية أخرى قبل هذه الآية (انظروا الى ثمره اذا أثمر) فقدم الامر بالنظر في الثمر على الامر بالاكل منهُ لينبه تعالى عباده على ان الامر بالاستدلال بهذه النباتات على وجود الصانع الحكيم متقدم على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل على الامر الاول سعادة ابدية * والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة * ثم قال تعالى ﴿ وآتوا ﴾ أي وأعطوا ﴿ حقهُ ﴾ أي الزكاة المفروضة فيهِ ﴿ يوم حصاده ﴾ أي قطعهِ بعد استوائهِ • وان قيل كيف يمكن اخراج الزكاة منه يوم قطعهِ وحصاده والحب في سنبله • فالجواب ان المراد من (آتوا) اعزموا على اعطاء الحق منهُ يوم حصاده واهتموا بهِ حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيهِ الاعطاء * ثم ان القدر الذي يجب اخراجه من الزرع لاجل الزكاة اما العشر وذلك اذا كان الزرع يسقى من غير مؤنة واما نصف العشر وذلك اذا كان

الزرع يسقى بآلة كالسواقي ونحوها وفي الآية اشارة الى ان الله خلق هذه النعم للاكل والتصدق • والاكل لكونه حقّ النفس قدم في الآية على التصدق لكونه حقّ الغير لقوله صلى الله عليهِ وسلم (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) وهذا مقامٌ ادنى • واما المقام الأعلى ان يقدم غيره على نفسهِ • لقوله تعالى (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)* فاشكروا الله ايها الناس وكلوا مما تفضل بهِ عليكم من النباتات واخرجوا منها ما فرضه عليكم ﴿ ولا تسرفوا ﴾ اي ولاتخرجوا عن الحد في اعطاء الصدقة حتى لا تظلموا انفسكم وعيالكم ولا تمنعوا الصدقة رأساً بل أخرجوا ما حده الله لكم في الاعطاء ﴿ انهُ ﴾ اي ان الله ﴿ لا يحب المسرفين ﴾ اي لا يرضى اسرافهم • وكل مكلف لا يحبهُ الله تعالى فهو من اهل النار لان محبته تعالى عبارة عن ايصال الثواب ورفع العقاب • انتهى

﴿ تابع لما تقدم من الآية الشريفة ﴾

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

ثم بين تعالى لعباده نوعاً آخر مما انعم بهِ عليهم فقال ﴿ و ﴾ انشأ ﴿ من الانعام ﴾ وهي الابل والبقر والغنم ﴿ حمولة ﴾ اي ما يحمل الاثقال ﴿ وفرشاً ﴾ أي ما يفرش على الارض لاجل الذبح او ما ينسج من وبره وصوفهِ وشعره لاجل الفراش ﴿ كلوا مما ﴾ أي من الذي

﴿ رزقكم ﴾ أي أحله ﴿ الله ﴾ لكم من هذه الانعام ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أي ولا تسلكوا طريقه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ف ﴿ انهُ لكم عدوٌّ مبينٌ ﴾ أي ظاهر العداوة انتهى

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

لما بين الله ان ما يقوله المشركون في التحريم والتحليل كذب لا أصل له أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم ما حرم عليهم فقال ﴿ قل ﴾ يامحمد للمشركين الذين يحللون ويحرمون برأيهم ﴿ لا أجد فيما أوحي ﴾ أي فيما أنزل ﴿ اليّ ﴾ بطريق الوحي طعاماً ﴿ محرماً على طاعم يطعمهُ ﴾ اي على آكل يأكله ﴿ الا ان يكون ﴾ ذلك الطعام المأكول ﴿ ميتة ﴾ وهي التي ماتت من غير ذبح ﴿ او ﴾ الا ان يكون ﴿ دماً مسفوحاً ﴾ أي مصبوباً سائلاً واما الدم الغير السائل كالكبد والطحال وما يختلط باللحم فانهُ حلال ﴿ او ﴾ الا ان يكون ﴿ لحم

خنزير فانهُ ﴾ أي لحم الخنزير ﴿ رجس ﴾ اي حرامٌ خبيثٌ ﴿ او ﴾ الا ان يكون ﴿ فسقاً ﴾ اي ذبح عصياناً وكفراً لانهُ ﴿ أُهلّ لغير الله بهِ ﴾ أي ذبح قرباناً للاصنام ﴿ فمن اضطر ﴾ أي فمن أحوجتهُ الضرورة الى اكل ما ذكر من المحرمات كشدة الجوع حال كونه ﴿ غير باغٍ ﴾ أي جائر على محتاج آخر مثله باخذ ما يسد رمقه منهُ طلماً ﴿ ولا عادٍ ﴾ أي ولا متجاوز قدر الضرورة في الأكل من المحرم المذكور ﴿ فان ربك غفورٌ ﴾ أي كثير المغفرة ﴿ رحيمٌ ﴾ أي كثير الرحمة فلا يؤاخذه بالأكل لهذه المحرمات عند ضرورتهِ واحتياجهِ . هذا وقد تركنا من هذه السورة بعضاً من الاوامر لانها ليست واردةً فيما نقصده من تأليف هذا الكتاب الذي هو بيان الاوامر التي وردت في الآداب الدينية والدنيوية الضروريه فقط كما سنعلمهُ في فاتحه هذا الكتاب ان شاء الله تعالى و بالله التوفيق

﴿ الباب السابع في تفسير ما ورد من الأوامر ﴾
﴿ في سورة الأعراف ﴾

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

انهُ سبحانهُ وتعالى أراد خلق جميع الكائنات • وكلُّ شيء منها لا يخرج عن حكمهِ وارادته وتقديره وقد بين لنا سبحانهُ وتعالى في هذه الآية أنه لايأمر الا بالعدل والصواب ولا يأمر بالفحشاء كما تدعيه المشركون فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المعاندين ان الله لا يأمر بالفحشاء كما تقولون بل ﴿ أمر ربي ﴾ أي خالقي ﴿ بالقسط ﴾ أي بالعدل وبكل ما يظهر في العقول السليمة أنهُ حسنٌ • ويدخل فيهِ معرفة الله تعالى ﴿ و ﴾قل لهم ايضاً ﴿ أقيموا ﴾ أي وجهوا ﴿ وجوهكم ﴾ الى القبلة واستقيموا وأخلصوا في عبادتكم ﴿ عند كل مسجد ﴾ اي عند كل وقت سجودٍ وفي اي مسجدٍ وجبت عليكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم بل اسرعوا بأدائها مجتنبين فيها كل رياء ونفاق صادقين في نياتكم غير ملتفتين فيها الى ما سوى الله محافظين على شروطها • ثم لما امر سبحانه وتعالى عباده بما ذكر امرهم بالاخلاص فقال ﴿ وادعوه ﴾ اى واعبدوه ﴿ مخلصين ﴾ معلوم ﴿ له الدين ﴾ اي الطاعة فان مرجعكم اليهِ تعالى لانهُ ﴿ كما بدأكم ﴾ اي بدأ خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً كذلك ﴿ تعودون ﴾ اي ترجعون احياءً •

فحينئذٍ يبعث المولى سبحانه وتعالى اليه المؤمنَ على حالة الايمان والكافر على حالة الكفر • فان من خلقه الله تعالى في اول الامر للشقاوة يعمل بعمل أهل الشقاوة • وكانت عاقبته ذلك • ومن خلقه للسعادة فانه يعمل بعمل السعادة وكانت عاقبته السعادة • فجعل سبحانه وتعالى العباد فريقين ﴿ فريقاً هدى ﴾ بأن وفقهم للايمان ﴿ وفريقاً حق ﴾ اي ثبت ﴿ عليهم الضلالة ﴾ اي العذاب بسبب اعراضهم عن طريق الحق • وذلك بقضائهِ تعالى وحكمهِ الازلي التابع لارادته الذي لا يسئل عنهُ • فأهل اللطف والهداية يعودون اليهِ بالاخلاص والطاعة واهل الضلالة يعودون اليه مخذولين • ثم بين تعالى السبب الذي لاجله حقت على هذه الفرقة الضلالة بقوله ﴿ انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ﴾ فاطاعوهم وأعرضوا عن طاعتهِ تعالى ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل • ثم بين ان جهلهم مركبٌ لا بسيط فقال ﴿ ويحسبون ﴾ اي ويظنون ﴿ أنهم مهتدون ﴾ اي مصيبون في اعتقاداتهم * انتهى

قوله تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

لما امر الله تعالى عباده في الآية المتقدمة بالقسط وكان من جملتهِ امر الملبوس والمأكول والمشروب وأمرهم فيها ايضاً باقامة الصلاة وكان ستر العورة شرطاً في صحتها أتبع هذين الامرين بهذه الآية وأمر

عباده فيها باللبس والأكل والشرب فقال ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم ﴾ اي ثيابكم لستر عورتكم ﴿ عند كل مسجد ﴾ اي كل طوافٍ او صلاةٍ • ومن السنة ان يأخذ الرجل أحسن لباسه في الصلاة • ومن السنة ايضاً التزين بالطيب و بأخذ الثياب في الجمع والاعياد • فقوله خذوا زينتكم أمرٌ لوجوب أخذ الزينة فدل على وجوب ستر العورة عند اقامة كل صلاة • ثم ان زينة العبد لله تعالى في الظاهر هي التواضع والخضوع • وزينتهُ في الباطن الاخلاص والخشوع • وزينة نفوس العابدين ظهور آثار السجود في جباههم • وزينة قلوب العارفين ظهور أنوار الشهود في صدورهم • فالعابد واقف على باب القرب تشرق عليهِ صفات العبودية • والعارف جالس على بساط الوصال مطلق الحرية • فزينة الابدان التجمل بالاعمال الشرعية • وزينة النفوس التحلي بالآداب الالهية • وزينة القلوب مراقبة الله وانوارها • وزينة الارواح بالمعارف الربانية واسرارها • فمن طلب الدخول في هذه المقامات فهي مباحة له من غير تأخير ولا منع مالم يكن مشتغلا بحب الدنيا وحظوظ النفس وشهواتها فانهُ لايمكنهُ الوصول اليها مادام على تلك الحالة لان هذه الكرامات والمقامات التي لايصل اليها الا العارفون السادات محجوبة عن طالبها المتلبس بهذه الآفات * انتهى ثم قال تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ ماطاب اي ما احله الله لكم من المطعومات والمشروبات ﴿ ولا تسرفوا ﴾ في الاكل والشرب اي لاتتعدوا الى الحرام منها • ولا تكثروا من الانفاق المستقبح • ولا

تناولوا من الطعام والشراب مقداراً كثيراً يضركم ف ﴿ انهُ ﴾ تعالى ﴿ لايحب المسرفين ﴾ اى لا يرضى فعلهم ٠ انتهى (لطيفة) يحكى ان الملك هارون الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فاجتمع ذلك الطبيب يوما مع علىّ بن الحسين بن واقد عند الرشيد فقال الطبيب لعلىّ ٠ ان العلم قسمان علم أبدان وعلم أديان وليس في كتابكم من علم الطب والأديان شيءٌ فقال له عليٌّ رضي الله عنه ان الله تعالى قد جمع الطب كله في نصف آية من كتابه فقال له الطبيب وما هو نصف الآية فقال له عليّ هو قوله تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) فقال له النصرانى ان نبيكم لم يروَ عنهُ شيء في الطب فقال له علىّ قد جمع رسولنا صلى الله عليهِ وسلم الطب كله في الفاظ يسيرة فقال الطبيب وما هي فقرأ له عليٌّ الحديث الآتي فقال

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(أَلْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ وَالْحِمْيَــةُ رَأْسُ كُلِّ دَوَاءٍ وَأَعْطِ كُلَّ بَدَنٍ مَا عوَّدْتَهُ)

فقال الطبيب النصراني عند ذلك ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيئاً من الطب ٠ انتهى

قوله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

أرشد الله عباده في هذه الآية على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم كيف السير في نهجه القويم وصراطه المستقيم والتحمل بمكارم الأخلاق فقال ﴿ خذ ﴾ يامحمد من الناس ﴿ العفو ﴾ اي الشيء الذي يتيسر لهم ولا تكلفهم مالا يتيسر لهم . ﴿ وأمر بالعرف ﴾ اي بالمعروف وهو أمر يعرف المكلف العاقل انهُ لابد من الاتيان بهِ ويكون فعله جميلاً مستحسناً وتركه قبيحاً مذموماً لان تركه لايجوز لانهُ يؤدي الى السعي في تغيير الدين وابطال الحق وهذا لايجوز * ثم انهُ تعالى علم ان بعض الناس اذا أمروا بالمعروف ورغبوا فيهِ او نهوا عن المنكر ونفروا عنهُ حملهم ذلك على السفاهة والأذى لمن يأمرهم او ينهاهم . فلأجل ذلك أمر الله تعالى عباده بعدم مؤاخذتهم فقال ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾ اي عن مؤاخذتهم بجهلهم . انتهى وقد روى عن جعفر الصادق رضى الله عنهُ انهُ قال أمر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية . وذلك لانها داله على قوة التوحيد فان من شاهد مالك الملك وعلم تصرفه في عباده تيقن انهم في الحقيقة ليس لهم فعل الشيء ولا تركه . بل المؤثر في الفعل والترك هو الله تعالى ولا ينسب الفعل للعبد الا من حيث الكسب فقط فحينئذ يترك منازعتهم في تكاليفهم وعاملهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل رفق ولين ولم يشدد عليهم * فقد روى عن عكرمة انهُ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل ما هذا . اي ما معنى هذه

الآية فقال جبريل لا أدري حتى اسأل . ثم سأل ربه ورجع الى النبي صلى الله عليهِ وسلم فقال يا محمد

(إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ . وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ . وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) .

ثم قال اهل العلم ان تفسير جبريل مطابق للفظ الآية لانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنهُ . واذا أعطيت من حرمك فقد أمرت بالمعروف . واذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهل . انتهى

قال الله تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

لما كانت السفاهة تؤدي الى الغضب والغيظ وتقلب حالة الشخص الى حالة أخرى وعند حصول تلك الحالة يجد الشيطان مجالا في حمل ذلك الشخص على مالا يليق بهِ من الشر فلاجل الحفظ من ذلك بين تفضلاً منهُ في هذه الآية لعباده شيئاً يدفع به هذا الضرر ويكون كالعلاج للمرض . انتهى * جعلنا الله من المستعيذين بالله والمتحصنين بهِ من الشيطان ومن وسوسته آمين * ثم أدبهم فيها تأديباً عاماً على لسان نبيهِ صلى الله عليهِ وسلم فقال ﴿ واما ينزغنك ﴾ أي واما يغضبك بسبب الوسوسة ﴿ من الشيطان ﴾ أي ابليس وجنوده

﴿ نزغ ﴾ أي غضب يمنعك من الاعراض عن الجاهلين ﴿ فاستعذ ﴾ أي فاستجر ﴿ بالله ﴾ أي من وسوسة ذلك الشيطان وتبرأ من حولك وقوتك الى حول الله وقوته . واعرض عن مقتضى الطبع واقبل على اوامر الشرع واذكر لفظ الاستعاذة بلسانك ف ﴿ انهُ سميع ﴾ أي يسمع احاديث النفس ووساوس الشيطان في الصدر . واستحضر معناها بقلبك فانهُ ﴿ عليم ﴾ أي يعلم بالنيات والاسرار . وذلك لان الذكر باللسان لا يفيد من غير معرفة المعنى واستحضاره بالقلب . انتهى

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

ارشد الله تعالى عباده في هذه الآية الى طريق الفوز بالمنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن فقال ﴿ واذا قرئ القرآن ﴾ الذي عظم الله شأنه وجعل العمل بما فيه من الاحكام سبباً للسعادة الابدية ﴿ فاستمعوا ﴾ ايها الناس ﴿ له ﴾ استماع تدبر في معانيه وقبول لما اشتمل عليه من اسرار الشريعة ﴿ وأنصتوا ﴾ أي واسكتوا في حال القراءة واحفظوا اسرار معانيها بقدر الامكان تعظيما للقرآن ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أي تفوزون بالرحمة التي هي سبب في القرب ممن انزل هذا الكتاب الكريم . وظاهر الآية الكريمة يدل على وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها . ولكن غالب العلماء اتفقوا على أن الاستماع والانصات واجبان عند القراءة في الصلاة . واما خارجها فهما سنة وفي ذلك خلاف كثير . انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وهي في الحقيقة خطاب لعموم المكلفين . فأمرهم فيها بان يذكروه تعالى في انفسهم لان انتفاع الانسان بالذكر لا يكمل الا اذا كان بهذه الصفة . لان الذكر في النفس أقرب الى الاخلاص وأسرع في الاجابة . فلهذا أمر تعالى به في جميع الاحوال فقال ﴿ واذكر ﴾ ايها المؤمن ﴿ ربك ﴾ أي المربي الحقيقي لك والمنعم عليك ﴿ في نفسك ﴾ أي في قلبك مخلصاً له ومحتداً عن الرياء وعارفاً بمعاني الاسماء التي تذكره بها وافعل هذا الذكرَ ﴿ تضرعاً ﴾ أي متضرعاً وخاضعاً لالهك ﴿ وخيفة ﴾ أي وخائفاً منهُ . فالتضرع لاظهار ذل العبودية . والخوف اما ان يكون خوفاً من عقابهِ . وهو مقام المذنبين . واما ان يكون خوفاً من جلاله وعظمته . وهو مقام العارفين . فاذا انكشفت لهم حقيقة جماله عاشوا مطمئنين . واذا انكشف لهم حسبه جلاله صاروا مدهوشين . واما ان يكون خوفاً من الخاتمة عند الموت نسأل الله حسنها ﴿ و ﴾ اجعل هذا الذكرَ ﴿ دون الجهر من القول ﴾ أي متوسطاً بين الجهر والاخفاء بان يكون على طريقة يسمع الذاكر بها

نفسهُ فقط . وانما امر تعالى اولاً بالذكر القلبي لانهُ تحصل منه قوة في النفس ولا يزال يتزايد نوره الى ان يجريَ على اللسان بل يسري في جميع اعضاء الذاكر . وجوارحه سرياناً معتدلاً خالياً عن التكلف فالزم ايها الذاكر ذكر الله تعالى ﴿ بالغدو ﴾ أي في وقت الغداة الذي هو ما بين طلوع الشمس الى الزوال ﴿ والآصال ﴾ أي وفي العشيّ الذي هو ما بعد العصر الى المغرب . وانما امر الله تعالى عباده بالذكر في خصوص هذين الوقتين لان المكلف في وقت الغداة ينتقل من النوم الذي هو كالموت الى اليقظة التي هي كالحياة . فيتحول من الظلمة التي هي طبعه عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية . وفي وقت الآصال ينتقل من ضد الاول الى ضد الثاني . ولما كان في هذين الوقتين تغيرٌ عجيبٌ يدل دليلاً باهراً على وجود صانع قدير وحكيم خبير وجب ان يكون المكلف فيهما مشتغلاً بالذكر والحضور مداوماً عليهما بقدر الامكان . فلازمهما ايها المؤمن ﴿ ولا تكن ﴾ في حال من الاحوال ﴿ من الغافلين ﴾ أي من اللاهين عن الذكر بل كن من الذين يداومون عليه المستحضرين لجلال الله وكبريائهِ بحسب الطاقة البشرية ليتنور جوهرُ نفسك وتستعد لقبول الاشراقات القدسيه فتكون متشبهاً بالملائكة الروحانية الكرام الذين مدحهم الله تعالى بقوله (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادتهِ ويسبحونهُ وله يسجدون) فبين الله تعالى في هذه الآية ان الملائكه مع كونهم في غايه الطهارة وكمال العصمة وفي غاية الحفظ من

دواعي الشهوة والغضب والحقد والحسد لا يتأخرون عن العبادة والطاعة في كل لحظة • فالانسان الذي هو موضع ظلمات عالم الطبيعة ومحل كدورات الدلالات البشرية اولى بالمداومة على ذكر معبوده وأحقّ تصفية مرآة قلبه عن حجب الخواطر النفسانية حتى تنجلي بالانوار القدسيه والمعارف الحقيقية الالهية * ومعنى الاية الكريمة ﴿ ان الذين عند ربك ﴾ أي ان الذين شرفهم ربك بالقرب من عنايته والطافه ورحمته ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ﴾ بل يؤدونها حسبما أمروا به ﴿ ويسبحونه ﴾ أي وينزهونهُ عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه ﴿ وله ﴾ أي ولربهم ﴿ يسجدون ﴾ أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل • ولا يشركون معهُ شيئاً * ثم انهُ تعالى ذكر في هذه الاية التسبيح اولا والسجود ثانياً وهذا الترتيب يدل على ان الاصل في الطاعة والعبودية أعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال الجوارح والله ولي التوفيق انتهى

﴿ الباب الثامن في تفسير ما ورد من الاوامر ﴾
﴿ في سورة الانفال ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

أدب الله تعالى المؤمنين في هذه الآية ادباً يوصلهم الى السعادة الابدية وبين لهم فيها انهُ تعالى مطلعٌ على بواطن العبد وضمائره * وبين لهم ايضاً ان قربه تعالى من عبده أشد من قرب قلبهِ منه فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ اي صدقوا بالله ورسوله تصديقاً كاملاً فتنورت قلوبهم وارواحهم بنور الايمان • وانجلت بسعادة العرفان ﴿ استجيبوا ﴾ اي أطيعوا وامتثلوا ﴿ لله وللرسول ﴾ بالمتابعة ﴿ اذا دعاكم ﴾ اي اذا حرّضكم وحثكم الرسول ﴿ لما ﴾ اي للحق والصواب الذي ﴿ يحييكم ﴾ الحياة الطيبة * فيدخل في ذلك الايمان والقرآن والجهاد وكل أعمال الطاعة • فان هذا كله تحصل به الحياة الأبدية كما ان الجهل هو الموت الحقيقي ﴿ واعلموا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ ان الله ﴾ تعالى ﴿ يحول ﴾ اي يفصل ﴿ بين المرء وقلبه ﴾ فيحول تعالى بين الكافر وطاعته فيصير من الأشقياء • ويحول بين المطيع ومعصيته فيصير من السعداء • فالسعيد من أسعده الله أزلاً • والشقي من أضله الله أزلاً • والقلوب كلها بيده يقلبها كيف يشاء • فيخلق فيها المقاصد والدواعي والعقائد على حسب ما يريد • فجميع الأسباب راجعة اليه سبحانهُ وتعالى • وليس في الكون مسبب غيره • فبادروا الى الأعمال الصالحة ولا تعتمدوا على طول العمر • فانكم خلقتم اما مثابين فيكون مصيركم الى الجنة • واما معاقبين فيكون مصيركم الى النار • ولا تتركوا ما أمركم الله بهِ مهملين معطلين كالأنعام ﴿ و ﴾ اعلموا ﴿ انهُ ﴾ تعالى ﴿ اليهِ تحشرون ﴾ لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب أعمالكم • انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

لما حذر الله تعالى المؤمنين في الآية السابقة من أن يحال بينهم وبين قلوبهم . حذرهم في هذه الآية أيضاً من الفتن على سبيل التخويف فقال ﴿ واتقوا ﴾ اي واحذروا أيها المؤمنون ﴿ فتنة ﴾ اي عذاباً في الدنيا او الآخرة بسبب اقرار المنكر بينكم وتهاونكم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق كلمتكم . وتلك الفتنة ان نزلت بكم ف ﴿ لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ بل تتعدى اليكم جميعاً . وتصلُ الى الصالح والطالح . وانما صح ذلك لأنهُ يحسن من الله تعالى بحكم المالكية وصاحب الملك يتصرف فيهِ كيف يشاء ولا يسئل عما يفعل . انتهى * ثم انهُ تعالى بعد أن خوفهم بما ذكر حثهم على دوام الاستقامة بطريقة التخويف والزجر . فقال ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب ﴾ تقدم بيانه . انتهى *

الباب التاسع في تفسير ما جاء من الأوامر
﴿ في سورة التوبة ﴾

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

بين الله تعالى لعباده في هذه الآية الاصناف التي تصرف اليهم الزكاة . وعرفهم فيها انها واجبة عليهم فقال ﴿ انما الصدقات ﴾ اي الزكاة بجميع أنواعها من زكاة الزرع والثمار وزكاة الماشية وزكاة التجارة وزكاة الذهب والفضة وزكاة الفطر تصرف ﴿ للفقراء ﴾ وهم الذين ليس لهم مال ولا كسب يقعان موقع كفايتهم ﴿ و ﴾ ل ﴿ المساكين ﴾ وهم الذين لهم مال او كسب ولكن لا يكفيهم ﴿ و ﴾ ل ﴿ العاملين عليها ﴾ اي على الزكاة وهم السعاة في تحصيلها وجمعها من الناس بأمر الامام ﴿ و ﴾ ل ﴿ المؤلفة ﴾ اي المحببة ﴿ قلوبهم ﴾ وهم ثلاثة أقسام . الأول ضعيف النية في الاسلام فيعطى من الزكاة لتقوى نيته ويتمكن الاسلام من قلبه . والثاني ما اذا أسلم شريف متبع في قومه فيعطى من الزكاة طمعاً في اسلام امثاله . والقسم الثالث من نصبوا أنفسهم لجهاد من يجاورنا من الكفار او لجهاد قوم من المسلمين يمنعون الزكاة فهؤلاء يعطون من الزكاة مساعدةً لهم على جهادهم . لأن هذا أهون على الامام من بعث جيش مخصوص لهم . هذا كله في المؤلفة قلوبهم من المسلمين . واما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه باعطاء مال خارج عن الزكاة ﴿ و ﴾ تصرف الزكاة ايضا ﴿ في الرقاب ﴾ اي في فكها والرقاب هم المكاتبون . الذين عجزوا عن أداء القدر الذي كاتبهم عليه سيدهم من المال في نظير عتقهم بان لا يكون لهم مال اصلاً او يكون لهم مال لا يكفي

ما كاتبهم السيد عليه • فهؤلاء يصرف اليهم أو الى سيدهم بادمهم شيءٌ من الزكاة يستعينون بهِ على عتقهم ﴿ و ﴾ تصرف الزكاة ايضاً • ل ﴿ الغارمين ﴾ اي المديونين بدينٍ حاصلٍ لهم في غير معصية • سواء غرموه في حاجاتهم الضروريه او في الاصلاح بين المسلمين • او في ضمانةٍ وعجزوا مع المضمون عن وفائه • واما اذا كان حاصلا بسبب معصيةٍ فلا يعطون من مال الزكاة شيئاً • لان المعصية لا توجب الاعانةَ ﴿ و ﴾ تصرف الزكاة ايضاً ﴿ في سبيل الله ﴾ وهم الغزاة المجاهدون فيجوز لهم ان يأخذوا من مال الزكاة وان كانوا أغنياء • وقد جوز بعض الفقهاء صرف الصدقه الواجبه الى جميع أنواع الخير • كتكفين الموتى الذين ليس لهم تركة وعمارة المساجد ونحو ذلك • لأنها كلها داخله في سبيل الله • وهذا هو الظاهر من لفظ الاية الكريمه ﴿ و ﴾ تصرف الزكاة ايضاً ل ﴿ ابن السبيل ﴾ وهو المسافر لا لأجل معصيةٍ فيعطى من مال الزكاة شيئاً يبلغه الى مقصده او الى موضع ماله ان كان له في الطريق مالٌ انتهى *

ثم ان الذى يتولى أخذ الزكاة هو الامام او نائبه ولا يجوز لمالك المال ان يصرفه بنفسه الا اذا كان الامام جائراً * انتهى ثم ان العامل على الزكاة مفقودٌ في زماننا هذا فيجب صرف الزكاة الى الاصناف السبعة الباقية وكذلك لو فقد بعض الأصناف في بلد فانها تصرف الى الباقين ولا يكلف المزكي نقلها الى بلد آخر وجد فيهِ جميع الأصناف وقد فرضت هذه الزكاة ﴿ فريضةً من الله ﴾ بأمر

الزامي منهُ تعالى ﴿ والله عليم ﴾ بأحوال عباده الظاهرة والباطنة ﴿ حكيمٌ ﴾ في تدبيره انتهى *

(فصلٌ) اعلم ان الحكمة في وجوب الزكاة متنوعةٌ الى امورٍ (الأمر الأول) ان المال محبوب بالطبع لانهُ سببٌ في حصول القدرة على تحصيل الشهوات والاغراض والقدرة من صفات الكمال الدنيويّ فيكون المال سبباً في ذلك الكمال والكمال محبوبٌ والنقصان مكروهٌ الا ان الاستغراق في حبه يحول النفس من حب الله تعالى الى حب الدنيا ويشغلها عن التزود للآخرة فلهذا حكم الله تعالى بتكليف مالك المال ان يخرج مقداراً منهُ قهراً للنفس وزجراً لها من شدة الميل اليهِ فكأن ايجاب الزكاة علاجٌ لازالة مرضِ حب الدنيا عن القلب فالله سبحانهُ وتعالى أوجب الزكاة لهذه الحكمة (الأمر الثاني) ان النفس الانسانية لها قوتان قوةٌ للنظر والتفكر وكمال شرفها في التعظيم لأمر الله وقوةٌ للعمل وكمال شرفها في الشفقة على خلق الله فأوجب الله تعالى الزكاة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال الذي هو الشفقة على الخلق والاحسان اليهم والسعي في ايصال الخيرات لهم ودفع الآفات عنهم ولأجل هذه الحكمة قال عليهِ الصلاة والسلام (تخلقوا بأخلاق الله) ـ (الامر الثالث) ان الخلق اذا علموا في الانسان الشفقة والاحسان لهم والسعي في ايصال الخير اليهم وفي دفع الآفات عنهم أحبوه بالطبع ومالت نفوسهم اليه من غير شكٍ • كما قال عليهِ الصلاة والسلام (جبلتِ القلوبُ على حبّ

من احسن اليها وبغض من أساء اليها) فالفقراء اذا علموا ان الرجل الغني يصرف اليهم نصيباً من ماله وانهُ كلما كثر ماله كان النصيب الذي يصرفه اليهم من ذلك المال اكثر صارت ألسنتهم داعيةً له بزيادة الغنى وعلو الهمة فتصير تلك الدعوات سبباً لبقاء ذلك الانسان في الخير والغنى لان للقلوب تأثيراً وللارواح حرارةً نورانية * والى هذا السر أشار عليهِ الصلاة والسلام بقوله (حصنوا اموالكم بالزكاة) واما الحكمة في ايجاب الزكاة التي تعود مصلحتها الى من يأخذ الزكاة فهي ان الله تعالى خلق الاموال ولم يجعل المطلوب منها عينها وذاتها فقط لان الذهب والفضة لا يمكن الانتفاع بهما في عينهما الا في الامر القليل كالتزين بهما بل جعل المطلوب من خلقهما لنا التوصل الى الحصول على المنافع ودفع المفاسد والانسان اما ان يحصل منهما قدر حاجته فقط أو قدراً يزيد عن حاجتهِ فاذا حصل منهما قدر حاجته فقط فهو أولى بامساكه لانه محتاج اليه • واذا حصل منهما قدراً يزيد عن حاجته فاللائق ان يصرف الزائد عنهما للمحتاجين من اخوانهِ في الدين كما هو مقتضى العدالة التي هي صفةٌ قائمةٌ بالشخص بسبب امتثاله للمأمورات واجتنابهِ المنهيات • والشريعة المحمدية الغراء • لانهُ اذا امسكه معه ولم يخرج منهُ القدر الواجب عليه بقيَ معطلاً عن المقصود الذي لاجله خلقت الاموالُ • فيكون قد سعى في المنع من ظهور حكمة الله تعالى وهذا غيرُ جائز • فلهذا السبب امر الله تعالى من ملك نصاب الزكاة

بصرف الجزء الواجب فيه الى الفقير لاجل ان لا تصير تلك الحكمة معطلة بالكلية • وان كان بعضها معطلاً بالنسبة لما بقي عنده من الاموال بعد اخراج الجزء الواجب • وقيل ان الفقراء عيال الله • والاغنياء خزائن الله لان الاموال التي في ايديهم مملوكة له تعالى ولولا ان الله تعالى القاها في أيديهم لما ملكوا منها شيئاً فكم من عاقل زكي يسعى في تحصيل المال أشدَّ سعي ولا يملك ملء بطنه طعاماً وكم من بليد جاهل تأتيه الدنيا مقبلةً صافيةً وأيضاً الاغنياء لولم يقوموا باصلاح الفقراء لربما حملهم شدةُ احتياجهم على الدخول في ملة اعداء المسلمين او على ارتكاب الافعال المنكرة كالسرقة وغيرها فكانت حكمة وجوب الزكاة مانعةً لهم من ذلك كله انتهى

﴿الباب العاشر في تفسير ماورد من الأوامر﴾

﴿في سورة يونس﴾

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

لما بين الله تعالى صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المعجزة كانشقاق القمر ونحوه من خوارق العادات بين صدقها أيضاً في هذه الآية بطريق كاشف عن حقيقة النبوة وهو ما تضمنهُ الكتاب الكريم فقال ﴿ يا ايها الناس ﴾ أي اقبلوا أيها المخاطبون وتدبروا في معنى الكلام الملقي اليكم لانهُ ﴿ قد جاءتكم موعظةٌ ﴾

أي تذكرةٌ لموسكم بالوعد والوعيد والانذار والبشارة والزجر عن المعاصي المستوجبة للعقاب والحث على الاعمال المؤدية للثواب تفصلاً من ربكم لتسلكوا في أعمالكم طريقةً متوسطة بين الخوف من هيبته تعالى وبين الرجاء لثوابهِ وذلك ان الارواح لما تعلقت بالاجساد تعلقاً معنوياً عشقتها عشقاً طبيعياً فان جوهر الروح صار متلذذاً بشهوات العالم الجسماني بواسطه الحواس الخمس وصير تلذذ الروح بشهوات العالم الجسماني سبباً في حصول العقائد الباطلة والاخلاق الذميمه في جوهر الروح فكانت هـذه الاحوالُ مثلَ الامراض الشديدة لجوهر الرُّوح فتحتاج الى طبيب حاذق يخلصها من تلك الامراض لان من وقع في المرض الشديد ان لم يتيسر له هذا الطبيب هلك من غير شك وان تيسر له وكان بدنهُ قابلا للعلاجات الصائبة فربما حصلت له الصحهُ وزال عنهُ المرضُ وكذلك سيدنا محمدٌ صلى الله عليهِ وسلم هو الطبيبُ الحاذقُ المخلص من العقائد الباطلةِ والاخلاقِ الذميمةِ التي ثبتتْ في جوهر الروح وفي هذا القرآن مجموع أدويته التي كان يعالج بها القلوبَ المريضةَ • ثم ان الطبيب اذا وصل الى المريض عامله بما يليق بهِ بأن يعطيه دواء يليق بدفع مرضه وان ينهاه عن تعاطي مالاَ يوافق صحتــه ويأمره بترك الاشياء التي كانت سبباً في مرضه • وهـذه الخصلة موجودةٌ في القرآن • وهي الموعظة التي هي بمثابة الدواء • فان معناها التحذير من كل ما يبعد عن رضوان الله تعالى والمنعُ عن كل ما يشغل

القلب بغيره تعالى • فالنبي عليه الصلاة والسلام اذا منع الخلق عن المعاصي صارت ظواهرهم مطهرةً عن فعل المنكر • فحينئذ يأمرهم بطهارة باطنهم • وهو لا يكون الا بالمجاهدة في ازالة الاخلاقِ الذميمةِ وتحصيل الاخلاقِ الحميدةِ • فحينئذٍ يحصل لقلبه الشفاء • ويصيرُ جوهرُ روحه مطهراً عن الحجب المانعة من مشاهدة عالم الملكوت • وهذا سرّ قوله تعالى (وشفاءٌ لما في الصدور) أي شفاءٌ لما في القلوب من أمراضها كالشك في القرآن مثلاً هل هو من عند الله أم لا والنفاق والغل والغش ونحو ذلك • ولما كان علاجُ هذه الامراض يحصل بتعليم المعارف والحكم القرآنيةِ الموجبة لليقين والتصفيةِ والتنوّر بنور التوحيد قال الله تعالى في شأن القرآن ﴿ وهدًى ﴾ أي وهادٍ الى طريق اليقين فكأن معنى الآية الكريمة يا أيها الناس قد جاءكم من عند الله كتاب جامع لكل الفوائد والمنافع الدنيوية والأخروية لانهُ بين لكم ما يترتب على فعل الحسنات والسيئات • ومرغبٌ في الحسنات ومنفرٌ عن السيئات ومبينٌ للمعارفِ اليقينية التي هي شفاءٌ لما في الصدور من الامراض القابحة كالجهل والشكِ والنفاقِ والشركِ والعقائدِ الباطلة وهادٍ الى طريق الحق بالارشادِ الى الاستدلال بالأدلة الظاهرة في الآفاق كظهور الشمس وغيره ﴿ و ﴾ في نجيته ﴿ رحمةٌ ﴾ عامةٌ ﴿ للمؤمنين ﴾ اي المصدقين به وبمنزلهِ وبمن أنزل عليهِ لانهم نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من طبقاتِ النيران وارتفعوا الى درجات الجنان انتهى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

ولما أرشد الله تعالى في الآية المتقدمة الى الطريقة الموصلة الى السعادة الباقية الروحانية بين في هذه الاية أنها هي التي يحصل كمال الفرح بها لا بالسعادة الجسمانية فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد للمؤمنين ما يحصل لكم من السعادة كائنٌ ﴿ بفضل الله ﴾ أي بتوفيقه لقبول ما تضمنه هذا الكتابُ من الموعظةِ وشفاءِ الصدور والهداية ﴿ و برحمته ﴾ أي بمواهبه الطبيعية والكسبية وان كانوا يفرحون بشيءٍ ﴿ فبذلك ﴾ أي بالفضل والرحمة ﴿ فليفرحوا ﴾ به ولا يفرحوا بأمور الدنيا الدنيئة وزينتها الفانية انتهى اذا علمتَ أيها العاقل هذا تحققتَ ان الفرح بلذات الدنيا باطل وأن الفرح الكاملَ هو الفرح بالاحوال الأخرويةِ والنفائس القدسيةِ الصادرة من فيض ذي الجلال والاكرام ولكن اذا حصلت اللذات الأخروية فيجب على العاقل أن لا يفرح بها من حيث ذاتها بل يجب عليه أن يفرح بها من حيث أنها من الله تعالى بفضله و رحمته ﴿ هوخيرٌ مما يجمعون ﴾ أي خير من الذي يجمعه الكافرون والمنافقون من خسائس الدنيا الزائلة فهذه اسرارٌ عاليةٌ اشتملت عليها هذه الايةُ الكريمةُ حيث بينت فضلَ القرآنِ الكريم الذي

أنزله العزيزُ الحكيمُ على رسوله الرؤوف الرحيم انتهى

﴿ الباب الحادي عشر في تفسير ما ورد من الاوامر ﴾
﴿ في سورة هودٍ ﴾

قوله تعالى ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ معكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تعمَلُونَ بصيرٌ ﴾
أمر الله تعالى في هذه الاية الكريمة نبيهُ صلى الله عليهِ وسلم بكلمةٍ جامعةٍ للعقائدِ الصحيحة والاعمال المحمودةِ لتقتدي به أمتــه فقال ﴿فاستقم ﴾ أي داوم على عبادة الله تعالى مع الوثوق به والتوكل عليه والقيام له بحق العبودية والوفاء بحق الربوبية ﴿ كما أمرت ﴾ أنت ﴿ ومن تاب ﴾ أي رجع ﴿ معك ﴾ الى طاعة الله والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره ﴿ ولا تطغوا ﴾ أي ولا تتجاوزوا ما حده اللهلكم بسبب تعاظمكم وتعاليكم بل تواضعوا له تعالى يرفعكم ولا تتكبروا تهلكوا وتمسكوا بكتاب الله فحللوا حلاله وحرموا حرامه واسلكوا طريق شكره على نعمه عليكم ف ﴿ انهُ ﴾ تعالى ﴿ بما ﴾ أي بالذي ﴿ تعملون ﴾ أي تفعلونه من خيرٍ او شر ﴿ بصيرٌ ﴾ أي مطلع عليه ثم ان هــذه الاية أصلٌ عظيمٌ في الشريعة فان قوله تعالى(فاستقم كما أمرت) يدل على أن الترتيب في الوضوء مثلاً واجبٌ لانهُ مأمورٌ بهِ

في القرآن وكذلك أداء الزكاة والعمل بالحدود وسائر الكفارات وعدد الركعات في الصلاة وغيرها من جميع المأمورات والمنهيات فكل ذلك تحت الاستقامة فيه على طريقٍ متوسطٍ وهذا الطريق هو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله بالاستقامة والثبات عليه ولا شك أن معرفته صعبة ومن عرفه يكون عمله به وبقائه عليه أصعب ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية في القرآن أشد ولا أشق من هذه الآية حتى ان أصحابه عليه الصلاة والسلام قالوا له ذات يوم يا رسول الله لقد أسرع فيك الشيب فقال لهم صلى الله عليه وسلم شيبتني هود يعني هذه الآية. انتهى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ ٱللَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة بنوع من أنواع الاستقامة وهو اقامة الصلاة تنبيهاً منه تعالى على أنها أشرف العبادات فقال ﴿ وأقم ﴾ أي وأدِّ يا محمد ﴿ الصلاة ﴾ أي الصلوات

الخمس ﴿ طرفي النهار ﴾ أي في أوله وآخره ﴿ وزُلفاً ﴾ أي في ساعات قليلة ﴿ من الليل ﴾ قريبة من آخر النهار • فتبين أن الطرف الاول هو الغدوةُ • وفيه صلاةُ الصبح فقط • وأن الطرف الاخير هو ما بعد الزوال الى الغروب وهو العشي • وفيه صلاة الظهر والعصر • وأن الساعاتِ القليلةَ من الليل القريبةَ من آخر النهارِ فيها صلاةُ المغرب والعشاء • فدلت هذه الآية الكريمة على وجوب الصلوات الخمس • انتهى * وقد روى أنّ أبا اليسر عمرً ابن غزيةَ الانصاري كان يبيع التمر • فأتته امرأةٌ حسنة فأعجبته • فسألته عن التمر • فقال لها ان في البيت تمراً أجودَ من هذا فتوجهت معه الى بيته لتشتري منهُ تمراً • فلما دخلت معه في البيت وخلا بها ضمها الى صدره وقبلها وفعل معها كل ما يفعله الرجلُ مع زوجته الا الجماعَ • فانهُ امتنع عنهُ ثم ندم على ما فعل وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بالقصة فقال عليه الصلاة والسلام انتظر أمر ربي فلما صلى بهم صلاة العصر أنزل الله تعالى ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئآت ﴾ أي ان الصلاة الخمس كفارةٌ لسائر الذنوب ما لم تكن من الكبائر كالسرقة وشرب الخمر والزنا وما أشبه ذلك فانها لا يكفرها الا التوبة بشروطها المعلومة وذهبت الصوفيةُ الى غير هذا التفسير فقالوا ان الحسنات يذهبن السيئآت أي ان الاعمال الصالحة في أوقاتها المخصوصة بها تزيل ظلمات الاوقات المصروفة في قضاء حوائج النفس الضرورية • وبيان ذلك ان تعلق الروح النوراني العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجبٌ

لخسران تلك الروح الا أن يتداركها العبدُ بالعمل الصالح فتشرق أنواره عليها فترتفعُ من سفلية البشرية وظلمتها الى علويه الروحانيـة ونورانيتها بل الى الوحدة الربانيـة وصمدانيتها فحينئذ تندفع عنها ظلمة ذلك الجسد السفلي وتتكمل بالكمال الالهي والجمال القدسي انتهى * ثم لما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم لعمرو المذكور اذهب فانها كفارةٌ لمـا عملت فقيل له يا رسول الله هذا لعمرو خاصـة أم للناس عامةً فقال صلى الله عليه وسلم بل للناس عامة * انتهى

ثم قال تعالى ﴿ ذلك ﴾ أى ما ذكر من الاستقامة ﴿ ذكرى ﴾ أي عظةٌ وارشادٌ ﴿ للذاكرين ﴾ أي المتعظين والمسترشدين الذين يريدون ان يقوموا بعبادة الله في جميع الاحوال لانهم اذا حافظوا على اداء العبادة في اوقاتها فكأنهم حافظوا عليها في جميع احوالهـم لان الانسان خلق ضعيفاً فلا يمكنهُ ان يصرف جميع اوقاته في خصوص العبادة والعبوديه انتهى * ثم انه تعالى امرنا بالصبر على ما كلفنا به من الامر والنهي وبين لنا ان الاتيان بالطاعات احسان وان الجزاء عليها حاصل من غير شك فقال ﴿ واصبر ﴾ على الطاعه والاستقامه مع الخضوع له تعالى وعدم الركون الى غيره ﴿ فان الله ﴾ تعالى ﴿ لا يضيع اجر ﴾ اي عمل ﴿ المحسنين ﴾ اي الموفين حقوق الله تعالى الذين يراقبونه في حال الاستقامه ومراعات العداله والقيام بشروط التعظيم في العبادة انتهى

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

دكر الله تعالى في هده الاية جميع المطالب العالية التريعة القدسية فقال ﴿ ولله عيب ﴾ اى علمُ ما عاب عنكم في ﴿السموات والارض﴾ ممـا اودعه فيهما من الاسرار الدالة على حي لطفهِ ﴿ واليه ﴾ تعالى ﴿ يرجع الامر ﴾ اي امر اهل السعادة والتقاوة بالقهر وادا علمت هدا ﴿ فاعبده ﴾ مخلصاً ايها العبد الطالب لليقين ﴿ وتوكل عليه ﴾ اي وفوض امرك اليه وثق به في جميع المطالب ولا تطلبها من عيره فانك ان طلبتها ممن سواه لم تفز بها ابداً ﴿ ومار بك ﴾ اي خالقك ﴿ بغافل ﴾ اي ساهٍ ﴿ عما تعملون ﴾ بل هو عالم بكل شيء اسهى * واعلم ان الانسان محتاجٌ الى معرفة ثلاثة امور وهي الماضي والحاضر والمستقبل فاما الماضي فهو ان يعرف الانسان من كان موجوداً قبله بوجودٍ واجبٍ وليس له ابتداءٌ وهو الاله الذي نقل الانسان من العدم الى الوجود والواجب معرفته في حق الاله هو معرفة صفاته فقط لان ذاته وحقيقته لا يمكن معرفتها لاحدٍ من الخلق جميعاً ثم ان صفاته تعالى قسمان صفاتُ الجلال والهيبةِ وصفات الاكرام والرحمة فأما صفات الجلال فهي نفيٌ وتنزيهٌ له تعالى عن كل ما لايليق بكبريائهِ كقولنا انهُ تعالى ليس بجسمٍ ولا جوهر ولا عرض ولا كذا وكذا وهذه الصفاتُ في الحقيقة ليست صفات كمال لان معناها النفي والعدم فقط

وهما لايدلان على الكمال فثبت ان الصفات الدالة على الكمال والعز والعلو انما هي الصفات الدالة على الثبوت اي ثبوت شيء قائم بذاته تعالى بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها وهي سبعة • القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام • فهذه الصفات السبع دالة على الكمال والجلال معاً اللائقين لذاته العلية وأعمها من حيث التعلق صفة العلم لانها تتعلق بالواجب كذاته تعالى و بالمستحيل كشريك البارى تعالى • و بالجائز كالاشياء الممكنة اي المستوية في الوجود والعدم واما الزمن الحاضر فيجب على الانسان ان يعرف فيه ما هو مهم له وواجب عليه في زمان حياته الدنيوية وهو ان يسعى في كمال نفسه بالمعارف الروحانية و يشتغل بدنه بالعبادات التي افضل حركاتها الصلاة وافضل سكناتها الصيام وانفع برّها الصدقة و يشتغل قلبه بالفكر والتأمل في عجائب صنع الله تعالى وأن يعتقد ان المسببات كلها تنتهي الى خالقها ومسببها وهو الله سبحانه وتعالى انتهى * و بالجملة فأول درجات السير الى الله تعالى هو عبوديته وآخرها التوكل عليه فلهذا السبب قال ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ واما المستقبل فهو ان يعرف الانسان كيف يصير حاله بعد انقضاء هذه الحياة الدنيويه وهل لاعماله فيها تأثير في السعادة او الشقاوة والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ والمراد أنه تعالى لا يضيع طاعات المطيعين ولا يهمل احوال العصاة والمنكرين وذلك بأن يجمع الكل في موقف القيامة ويحاسبهم على القليل والكثير ثم يصير حالهم الى

فريقين فريقٌ في الجنة وفريق في السعير انتهى * فتبين ان هذه الاية الكريمة وافيةٌ في الارشاد الى جميع المطالب العلويةِ والمقاصدِ القدسيةِ والله الهادي لجميع العباد جعلنا الله من المهديين الى طريق السداد آمين بجاه سيد المرسلين *

﴿ الباب الثاني عشر في تفسير ما ورد من الاوامر ﴾
﴿ في سورة يوسف ﴾

قوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

أرشد الله تعالى في هذه الآية عباده الى أن من دعا منهم أحدا الى الدين الحق لابدّ ان يكون على بصيرة فيما يقوله . وان يكون علي يقين من صحته . وان لم يكن بهذه الصفة لا يجوز له ان يدعو الى الله والى طاعته احداً . لانه حينئذٍ جاهل فلا يجوز منهُ ذلك اصلاً . كما بين الله تعالى ذلك فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المعاندين ﴿ هذه ﴾ أي الدعوةُ التي ادعو اليها . والطريقةُ التي انا عليها ﴿ سبيلي ﴾ اي سنتي ومنهاجي الذي من سلكه يصير من السعداء الفائزين . وهذا السبيل هو أني ﴿ ادعو ﴾ الناس ﴿ الى الله ﴾ اي الى الطريقة التي توصلهم الى

سعادة الله تعالى ﴿ على بصيرة ﴾ اي على حجة واضحة ويقين صحيح ﴿ انا ومن اتبعني ﴾ في هذه الطريقة التي هي الدعوة الى الله تعالى • فثبت ان كل من يمكنه ان يقيم حجة على خصم في الدين او يرشد احداً الى اي نوع من انواع الطاعة ارشاداً صحيحاً فقد وجب عليه ذلك بقدر ما يمكنه • انتهى •

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(أَلْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللهِ مِنْ حَيْثُ يَحْفَظُونَ لِمَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ)

والمراد من العلماء هنا هم الذين لم يخرجوا عن طريق الكتاب والسنة العاملين بهما ﴿ و ﴾ قل لهم ايضا ﴿ سبحان الله ﴾ اي تنزيها لله عما يقولونه من الشرك ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ اى وأنا بريء من أهل الشرك الذين اتخذوا مع الله الهاً آخرَ وجعلوا له صاحبة وولدا • انتهى * ثم ان هذه الآية تدل على ان الاشتغال بنصيحة العباد وارشادهم الى التوحيد بالبراهين القاطعة طريقة الانبياء عليهم الصلاة والسلام • وتدل أيضا على ان الله تعالى ما بعثهم الى الخلق الا لأجل ذلك • انتهى *

(تنبيه) اعلم أيها العاقل الفطن أنهُ لم يوجد في سورة الرعد أمرٌ من الأوامر التي قصدنا في تأليف هذا الكتاب تفسيرها • لأن كل

الأوامر التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة مسوقة للرد على الكفار الذين كانوا منكرين لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . ونحن لم نتعرض في كتابنا هذا الى تفسير مثل ذلك . بل تعرضنا فيه الى كل أمر يرشد الى حكم في الدين ويكون العمل به موصلا الى بلوغ أعلى الدرجات وكمال السعادات في الدنيا والآخرة . وفقنا الله واياك الى ما به يكون السعادة والنجاة . انتهى *

﴿ الباب الثالث عشر في تفسير ما ورد من الأوامر ﴾
﴿ في سورة ابراهيم ﴾

قوله تعالى ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾

حث الله سبحانه وتعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة على العبادة الدينية كالصلاة . والمالية في سبيل الله وترك التمتع والغرور بنعيم الدنيا ليكونوا قائمين بشكره على النعمة وافين بحق العبودية فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ لعبادي الذين آمنوا ﴾ اي صدقوا بك وبما جئتهم به من عندي ﴿ يقيموا ﴾ اي يؤدوا ﴿ الصلاة ﴾ اي الصلوات الخمس المفروضة عليهم بشروطها ﴿ وينفقوا مما رزقناهم ﴾ اى وليؤدوا ما أوجبته عليهم في أموالهم من الحقوق ﴿ سراً وعلانية من قبل

ان يأتي يوم لا بيع فيهِ ﴾ اي لا نفل فيهِ فدية للنفس من عقاب الله بعوض ﴿ ولا خلال ﴾ اي وليس في هذا اليوم صداقةُ خليل . فينتفع لمن وجب عليهِ العقاب بسبب مخالفته لربه . بل في هذا اليوم العدلُ والقسطُ في وزن الأعمال . بميزان ذي الجلال * فثبت مما تقدم ان الانسان بعد حصول الايمان منهُ لا يسوغ له التصرف في شيءٍ من الاشياءِ تصرفاً شرعياً الا في نفسه او في ماله . فحينئذ يجب عليهِ ان يشغل نفسه في خدمة المعبود بالصلاة . وأن ينفق المال في طاعة الله تعالى . واذا قام العبد بهذه الوظائف الثلاثة . وهي الايمان والصلاة والزكاة . يكون قد أدى خدمة سيده بقدر ما يمكنه من الطاعة . وما توفيقنا الا بالله . انتهى *

﴿ الباب الرابع عشر في تفسير ما ورد من الأوامر ﴾
﴿ في سورة النحل ﴾

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

ان الله سبحانهُ وتعالى جمع في هذه الآية جميع التكاليف التي كلفنا بها من الأوامر والنواهي ورتب ذلك ترتيباً الهياً لا يمكن الاتيان بمثله من مخلوق ولو رقى أعلى درجات البلاغة والفصاحة لان القرآن معجزٌ

للستر فقال تعالى ﴿ ان الله يأمر ﴾ في هذا الكتاب الذي أنزله اليك يا محمد ﴿ بالعدل ﴾ اي بمراعاة الأمر المتوسط في جميع الأشياء • والتوسط هو ان يسلك الانسان في كل شيء طريقةً متوسطةً بين الافراط والتفريط • وهذا التوسط تجب مراعاته في جميع الأحوال التي كلفنا الله تعالى بها • وهي اما الاعتقادات • واما الاعمال المتعلقة بالجوارح • فاما الاعتقادات فتجب مراعاة العدل فيها • وهي أمورٌ • أولها أن يعتقد العبد أنهُ لا اله الا الله تعالى فثبت أن العدل هو التوسط بين هذين الشيئين وذلك هو اثبات الهٍ واحدٍ • فلهذا فسر ابن عباس العدل في هذه الآية الكريمة على احدى الروايات عنهُ بقول لا اله الا الله • وثانيها أن تعتقد أن ذلك الاله الواحد موجودٌ منزه عن الجسمية والجوهرية والأجزاء والمكان • لان القول بعدم الاله باطل • والقول بان الاله جوهر او جسم مركبٌ من الأعضاء ومختص بالمكان تشبيه له تعالى بالحوادث وهو ليس بحادث فيكون العدل هو الوسط بين هذين الامرين وهو اثبات الهٍ موجودٍ منزه عن الجسمية وغير ذلك من صفات الحوادث • وثالثها اعتقاد بطلان القول بأن الاله غير موصوف بالقدرة والارادة وسائر صفات الكمال • والقول بأن صفاته حادثة متغيرة لانهُ تشبيه له بالحوادث فلم يبق الا التوسط بين هذين الأمرين وهو اثبات ان الاله واحدٌ قادرٌ مريدٌ عالمٌ حيٌّ • وان صفاته ليست حادثةً ولا متغيرةً وهذا هو العدل • فهذه أمثلة ثلاثة ذكرناها في مراعاة معنى العدل في الاعتقادات • واما

رعاية العدل في الأعمال المتعلقة بالجوارح • فهي واحدة أيضا • وبذكرها مثالا واحداً وهو ان الله تعالى جعل شريعة موسى عليهِ السلام مشتملةً على الأحكام الشديدةِ الصعبة كحتم القصاص في قتل الشخص عمداً ولم يقبل عفوٌ ولا ديةٌ بدله وجعل شريعة عيسى عليهِ السلام مشتملة على الأحكام الخفيفة السهلة كتحتم العفوِ في قتل الشخص عمداً فجاءت شريعة نبينا صلى الله عليهِ وسلم بالعدل الذي هو التوسط بين التشديد والتخفيف لان جزاء القتل عمداً اما القتل واما الدية اذا لم يعف الوارث مجانا • فظهر بهذه الأمثلة أن العدل تجب مراعاته في جميع الأحوال ﴿ و ﴾ يأمر تعالى أيضا بـ ﴿الاحسان﴾ وهو الاتيان بما أمر الله تعالى بهِ واجتناب ما نهى عنه على الوجه اللائق • بأن يراقب ذاته العلية كأنهُ يراه • قال النبي صلى الله عليهِ وسلم حين ما سأله جبريل عن الاحسان قال هو (أن تعبد الله كأنك تراه • فان لم تكن تراه فانهُ يراك) انتهى • ويدخل فيهِ التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلقهِ وهي أنواعٌ كثيرة أشرفها وأكملها صلة الرحم • ولهذا أفردها عن الاحسان بالذكر فقال تعالى ﴿ وايتاءِ ذي القربى ﴾ اي و يأمر تعالى أيضا باعطاء الأقارب ما يحتاجون اليهِ انتهى • واعلم ان الله تعالى أودع في النفس قوى اربعة الاولى القوة الشهوية البهيمية والثانية القوة الغضبية السبعية • والثالثة القوة الوهمية الشيطانية • والرابعة القوة العقلية الملكية • وهذه القوة الرابعة لايحتاج الانسان الى تأديبها وتهذيبها •

لانها من خصال الملائكة القدسية العلوية • واما المحتاج الى التأديب والتهذيب هي الثلاثة التي قلنا • فأما القوة الاولى وهي الشهوية فلا ترغب دائما الا في الحصول على اللذات الشهوية وهذا النوع يسمى فحشاً فلما كان تلك القوة لاتميل الا الى الفحش أدبها الله تعالى بقوله ﴿ وينهى ﴾ الله تعالى في كتابه ﴿ عن الفحشاء ﴾ اي ويمنع تعالى من الحصول على اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة• واما القوة الثانية وهي العصبية السبعية• فهي دائما تسعى في ايصال الأذى والشر والبلاء الى جميع الناس• ولا شك ان هذا هو المنكر • فلما كانت هذه القوة لاتسعى الا في ذلك أدبها الله تعالى بقولهِ ﴿ والمنكر ﴾ اي ويمنع تعالى من كل فعل تنكره العقول السليمة ولم يعرف في كتاب ولا سنة • واما القوة الثالثة• وهي الوهمية الشيطانية فهي دائما تسعى في التكبر على الناس واستحقارهم واظهار الرئاسة والتقدم • وهذا هو البغي من غير شك•ولما كانت هذه القوةلاتسعي أبداً الا في ذلك أدبها تعالى بقولهِ ﴿ والبغي ﴾ اي ويمنع من التطاول على الناس والترفع عليهم وغير ذلك مما تقدم*

واىما امركم الله تعالى ايها العباد بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى • ونهاكم عن الفحشاء والمنكر والبغي لأجل أنهُ ﴿ يعظكم ﴾ اي يذكركم﴿ لعلكم تذكرون ﴾اي تتذكروا أمره ونهيه فتمتثلوا ما امركم بهِ وتجتنبوا ما نهاكم عنهُ جعلنا الله من المتذكرين أوامره ونواهيه آمين •

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

لما كان سعي الشيطان واجتهاده دائماً في القاء الوسوسة في القلب حتى في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام • وكانت الاستعاذة بالله مانعةً للشيطان من القاء الوسوسة أمر الله تعالى رسوله بالاستعاذة عند القراءة • بل عند كل عمل صالح • لأجل ان يبقى العمل الصالح مصوناً عن الوسوسة فقال ﴿ فاذا قرأت القرآن ﴾ اي فاذا أردت يامحمد قراءة القرآن ﴿ فاستعذ بالله ﴾ اي فاسأله تعالى ان يعيذك ويحفظك ﴿ من الشيطان ﴾ اي من وساوسه وخطراته ﴿ الرجيم ﴾ اي المرجوم بالطرد من الله تعالى ـ ثم ان الأمر بالاستعاذة خطابٌ للرسول صلى الله عليهِ وسلم لكن المراد بهِ خطاب جميع الناس • لأن الرسول اذا كان محتاجاً الى الاستعاذه عند القراءة فغيره أحوج اليها وأولى بها • انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾

ثم انهُ سبحانهُ وتعالى لما أمر بالاستعاذة من الشيطان • وكان هذا الامر يوهم أن للشيطان قدرة على التصرف في أبدان الناس • فأزال

الله تعالى هذا الوهم • وبين أنه ليس له قدرة أبدا على شيء الا على الوسوسة فقط بقوله ﴿ انهُ ﴾ اي الشيطان ﴿ ليس له سلطان ﴾ اي تسلط وولايه ﴿ على الذين آمنوا ﴾ اي على المؤمنين المعتصمين بالله ﴿ وعلى ﴾ اى والى ﴿ ربهم يتوكلون ﴾ اي يفوضون أمورهم ويستعيذون بالله من الشيطان في كل ما يفعلونهُ ويتركونهُ • فان وسوسة الشيطان حينئذ لا تؤثر فيهم ولا تستجاب دعوتهُ عندهم بل ﴿ انما سلطانه ﴾ اي تسلطه وولايته ﴿ على الذين يتولونهُ ﴾ اي يتخذونه ولياً ويستجيبون دعوته ويطيعونهُ ﴿ و ﴾ على ﴿ الذين هم بهِ ﴾ سبحانهُ وتعالى ﴿ مشركون ﴾ اي متخذون معهُ شريكاً في الألوهية • انتهى *

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يسلك في دعوة الخلق الى دين خالقهم طريقةً جامعةً للأسرار الشريفة العالية فيهتدي بها من أراد الله هدايته وكتب له السعادة أزلاً ويضل عنها من أراد الله

اضلاله وكتب له الشقاوة أزلاً فلا يؤثر فيه الدعوة أبداً فقال ﴿ أدع ﴾ يامحمد من بعثتك اليهم من جميع هذه الأمة ﴿ الى سبيل ﴾ اي الى طريق ﴿ ربك ﴾ التي هي الاسلام ﴿ بالحكمة ﴾ اي المقالة المحكمة الصحيحة المشتملة على الدليل المبين للحق المذهب للشبهة ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ اي بالخطابات المقنعة والعبارات النافعة التي يفهمون منها أنك تنصحهم وتقصد نفعهم • فالدعوة بالحكمة لاتكون الا للخواص من الأمة الطالبين لحقائق الأمور • وذلك لأنهم لايكتفون الا بالحجج القاطعة • والدعوة بالموعظة لدعوة العوام منها ﴿ وجادلهم ﴾ اي وناظر من أرادوا مناظرتك ﴿ بالتي ﴾ الطريقة ﴿ التي هي أحسن ﴾ في طرق المناظرة والمجادلة • بأن تكون برفق ولين واستعمال كل وجه سهل حتى تسكن شرهم ويطفأ لهيبهم * ثم لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعو الخلق بالطرق المذكورة بين له ان الهداية والرشد ليسا منهُ وانما هما من الله تعالى فقال ﴿ ان ربك ﴾ يامحمد الذي أمرك بدعوة الخلق اليه ﴿ هو اعلم ﴾ اي هو العالم ﴿ بمن ضل ﴾ اي اعرض ﴿ عن سبيله ﴾ اي عن قبول طريقه ودينه الحق ﴿ وهو اعلم بالمهتدين ﴾ اي بالمقبلين على دينه القويم وصراطه المستقيم • فكأنهُ تعالى يقول أسلك يامحمد في دعوتك الخلق الى الطريق الحسن بأن تدعوهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وتجادل المعاند منهم بالطريق الأحسن أيضاً • واما حصول الهداية أو الضلال لهم والمجازاة عليهما فليس منك • وانما هو من الله تعالى • لانهُ العالم أزلا بمن شقي على

ضلاله ومن يهتدي الى دينه • ويجازي كلاً منهما بما يستحقه من الثواب أو العقاب • انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾

تقدم في الآية السابقة انهُ تعالى أمر نبيه صلى الله عليهِ وسلم أن يدعو الناس الى الدين الحق واحدة من ثلاثة طرق • وهي الحكمة • والموعظة الحسنة • والمجادلة بالطريق الأحسن • ولا يخفى ان دعوتهم الى الدين الحق لاتتم الا اذا أمرهم صلى الله عليهِ وسلم بالرجوع عن دين آبائهم واسلافهم • وعرفهم بانه دين باطل • وهذا أمر تكرههُ نفوسهم ولا تميل اليه قلوبهم • ويحملهم على قصد من يدعوهم الى ذلك بالقتل او بالضرب او بالشتم او نحو ذلك من أنواع الأذى • كما فعلته قريش مع رسول الله صلى الله عليهِ وسلم من الأذى • حتى أنهم هموا بقتله فعصمهُ الله تعالى منهم • ثم ان هذا الداعي الى ماذكر اذا شاهد منهم شيئاً من أنواع الأذى فلا بد وان يحمله الطبع البشري على تأديب من قصده من المدعوين بشرٍ فيعامله تارة بالقتل وتارة بالضرب • فلذا أمر الله تعالى في هذه الآية عباده القائمين بدعوة الخلق الى دينه أن يسلكوا في هذا المقام طريق العدل

والانصاف وبين فيها أيضا ان المظلوم اذا امكنهُ اخذ الحق ممن ظلمه لايزيد عن حقه بل يعاقبه بمثل ما حصل منهُ فقط فقال ﴿ فعاقبوا ﴾ اي فعاقبوه ﴿ بمثل ماعوقبتم بهِ ﴾ اي بمثل الذي فعله معكم من العقوبة ولا تزيدوا عليه لان الزيادة عليهِ ظلم والظلم ممنوع منهُ شرعا بل الزموا طريق العدالة الشرعية فانها من درجات كمالكم

ثم ارشدهم تعالى الى ان الأولى ترك ذلك الانتقام والتخلق بالعفو . لان الرحمة افضل من القسوة والنفع خير من الضرر فقال ﴿ ولئن صبرتم ﴾ اي ولئن تركتم عقوبة الظالم وحبستم انفسكم على العفو عنهُ وكنتم من اهل الفضل والمروءة والكرم وتركتم الانتصار والانتقام منهُ حال قدرتكم عليه مفوضين امره الى خالقه حتى يكون هو المتولي عقوبته لكان خيراً لكم وانفع فانهُ ﴿ لهو ﴾ اي الصبر ﴿ خير للصابرين ﴾ اي للحابسين انفسهم عن العقوبة رغبة في ثواب الله لانهُ يعوض الصابر على أذية الظالم جزاءً عظيما لا يعلمه غيره . وان لم تقدروا على الصبر فلا تعاقبوا الظالم باكثر من جنايته عليكم فان فعلتم ذلك فتكونوا حينئذٍ ظالمين انتهى

﴿ تابع لما قبله ايضاً ﴾

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

ثم لما بين تعالى في الآية السابقة ان ترك العقوبة خير واولى منها أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على اذية المعاندين فقال ﴿ واصبر ﴾ يامحمد على ما اصابك من الأذى ممن تدعوهم الى دين الله • ثم لما كان الصبر في هذا المقام شاقاً صعباً على النفس ـ بين تعالى لنبيه مايفيد سهولة الصبر عليه فقال ﴿ وما صبرك ﴾ يا محمد ﴿ الا بالله ﴾ اي بتوفيقه ومعونته ـ واعلم ان اقسام الصبر خمسة • اولها الصبر ابتغاء مرضات الله وهو من اللوازم الضرورية للايمان الكامل وهو حبس النفس عن الجزع عند فوات أمر مرغوب فيه او وقوع امر مكروه • وهذا الصبر اول درجات اهل الاسلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ أَلإِيمَانُ نِصْفَانِ نِصْفٌ صَبْرٌ وَنِصْفٌ شُكْرٌ ﴾

ثم ان الصبر بالتفسير الذي ذكرناه يكون من فضائل الأخلاق الموهوبة من الله تعالى لاهل دينه وطاعته وهو الموصل الى السعادة العظمى • وثانيها الصبر في طلب رضوان الله وهو الثبات في سلوك طريق الحق ومجاهدة النفس في ترك ما ترغب فيه من اللذات وفي تحمل البليات وشدة العزم في التوجه الى منبع الكمالات وهذا الصبر من مقامات السالكين يكرم الله به من يشاء من اهل العرفان • وثالثها الصبر مع الله وهو التحفظ من الغفلة والغيبة

عند استغراق النفس في صفاتها الشهوية ولا يكون الا بحضور القلب لأجل مراقبة الذات العلية وهذا الصبر لايكون الا للعارفين من اهل الكشف والحضور . بشرط أن يخلعوا ملابس الشهوة والافعال ويتزينوا بأنوار تجليات الجمال والجلال وبوارد كمالات الأنس والهيبة فهذا الصبر أشق على النفس من الضرب على الرؤس وان كان في الحقيقة لذيذاً جداً . ورابعها الصبر عند الله وهو لأجل البعد والحجاب صعب على النفس وصاحبهُ كلما كان مجتهداً وفيه كان سيء الحال بعدا عن الوصال . واما اهل الكشف والقرب والمشاهدة من العاشقين المتعلقين في احوال التجلي فانهم لما اتصفوا بهذا الصبر مابقي لهم قلب ولا وصف بل كلما لاح لهم نور من بحر انوار الجمال احترقوا تشويقاً وتعطشا وذاقوا من ألم الشوق ونار المحبة فانه انقطع صبرهم وتحقق موتهم وهذا الصبر من أحوال المحبين وهو أصعب شيء عليهم فان تحمله المحب امكنهُ ان يكتم حبهُ وان لم يتحمله ظهر سره وربما هلك ـ وخامسها الصبر بالله وهو لايكون الا للراسخين أقدامهم في مقام الاستقامة وافناهم الله بالكلية ثم وهب لهم وجوداً من ذاتهِ فخلقوا بأخلاقهِ وهذا الصبر ادق المراتب وعزيز من اتصف به ولا يبلغه احد بنفسه . ولهذا امر تعالى نبيه صلى الله عليهِ وسلم بهِ في قوله تعالى ﴿ واصبر وما صبرك الا بالله ﴾ وعرفه انه ليس من اقسام الصبر الذي يصل اليهِ الشخص بنفسهِ او بسعيهِ بل هو صبره تعالى لايمكنهُ مباشرتهُ الا بهِ ولا يطيقه احد الا بقدرتهِ تعالى

لان من باشر هذا الصدر يرى الاشياء كلها بعين الحق • فكل مايصدر من أفعال العباد يراه فعل الله تعالى واذا رأى منها فعلا منكراً لاينكره الا بحكم ربه لانهُ تعالى نهذا الصدر نور بصيرته بأنوار التجليات اللطيفة الرضوانية وعرفه أحكامه وامره بانفاذ الأحكام في مواقعها ثم قال تعالى ﴿ ولا تحزن ﴾ يامحمد ﴿ عليهم ﴾ اي على الكافرين بعدم ايمانهم بك واتباعهم لك ﴿ ولا تك ﴾ اي ولا تكن ﴿ في ضيق ﴾ اي في ضيق صدر ﴿ مما يمكرون ﴾ اي من مكرهم بك في المستقبل لاني شرحت لك صدرك وآمنتك من شرهم انتهى *

ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ختم سبحانهُ وتعالى هذه السورة بهذه الآية الجامعه لكل المأمورات والمنهيات فقال ﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾ اي ان الله وليُّ الذين انقطعوا اليهِ بالكلية وتباعدوا عن كل ما يشغلهم عنهُ فلم يخطر ببالهم شيءٌ من مطلوب يرغب فيهِ اومحذور يخاف منهُ ولا يحزنهم مافات ولا يحيفهم ما يقع • فهؤلاء هم الذين يتولاهم ربهم اي يكون ربهم وليهم اي حافظهم وناصرهم ومتولي امورهم • ثم قال تعالى ﴿ والذين هم محسنون ﴾ اي وان الله مع الذين يأتون بالأعمال الصالحه على الوجه المؤدي الى حسنها الوصفي والذاتي كما تقدم في حديث جبريل مع النبي صلى الله عليهِ وسلم والله أعلم *

﴿ الباب الخامس عشر في تفسير ما ورد من الأوامر ﴾
﴿ في سورة الاسرى ﴾

قوله تعالى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً * إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

أمر الله في هذه الآيات الكريمة بالأعمال التي يكون المشتغل بها ساعياً سعياً يليق بطلب الآخرة ويوصل الى كمال الأحوال وبلوغ الآمال فقال ﴿ وقضى ﴾ اي وامر ﴿ ربك ﴾ أمراً قطعياً وحكم حكماً جازماً بـ﴿ أن لا تعبدوا الا اياه ﴾ اي ان لا تفردوا بالعبادة والعبودية غيره لان العبادة والعبودية غاية التعظيم فلا يليقان الا لمن له غاية العظمة ويصدر منهُ كمال الانعام وهو الله تعالى ﴿ و ﴾ امر ربك ايضاً بأن تحسنوا ﴿ بالوالدين احساناً ﴾ لأنهما السبب الظاهر في وجودكم ﴿ اما يبلغن ﴾ اي ان يبلغ ﴿ عندك ﴾ اي في كفالتك وتحت رعايتك ايها الولد ﴿ الكبر ﴾ في السن ﴿ أحدهما أو كلاهما ﴾ اي كلاً من والديك حتى عجزا عن الكسب ﴿ فلا تقل لهما ﴾ اي لواحدٍ منهما عند انفراده عندك او لهما معاً ﴿ أفٍّ ﴾ اي فلا تتأفف وتتضجر

ويصيق صدرك من شيء يؤذيك اذا حصل لك منهما أو من احدهما
بل كن صابرا على ذلك كما صبرا عليك في صغرك ﴿ ولا تنهرهما ﴾ اي
ولا تزجرهما وترفع صوتك عليهما عما لا يعجبك من فعلهما بتغليظ القول
﴿ وقل لهما ﴾ بدل تأفيفهما ونهرهما ﴿ قولا كريما ﴾ اي قولا صادرا عن
كرم ولطف . بأن يكون جميلا يرضيهم ويقتضيه حسن الأدب
ويليق بالمروءة والحياء والاحتشام مثل أن تقول لهما يا أبي ويا أمي .
كأدب ابراهيم عليهِ السلام حين قال لعمه يا أبتِ مع انهُ كان كافراً
ولا يدعوهما بأسمائهما لأن ذلك يعد من الجفاء وسوء الأدب . وقد
سئل الفضيل بن عياض عن تعظيم الوالدين فقال هو أن لاتقوم الى
خدمتهما عن كسلٍ وأن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما بغضب
ولا يريا منك مخالفة لهما في ظاهرٍ ولا في باطنٍ . وان تترحم عليهما
ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا . وأن تقوم بخدمة أحبائهم بعد موتهما .
ان من أبر البر أن يصلَ الرجلُ أهلَ ودّ أبيهِ . ثم قال تعالى
﴿ واخفض لهما جناح الذل ﴾ اي ولين لهما جانبك وتواضع لهما متذللاً
﴿ من الرحمة ﴾ اي من أجل فرط شفقتك وعطفك عليهما ورقتك
لهما فان تعظيمهما الواجب عليك لا يكون الا بذلك . ودم على هذا
العمل . لانهما قد افتقرا اليوم اليك كما كنت أنت بالأمس أفقر
خلق الله اليهما . ولا تكتف برحمتك وشفقتك الفانية . بل ادع الله
لهما برحمتهِ الباقية الواسعة ﴿ وقل ﴾ في دعائك لهما بالرحمة ﴿ رب ﴾
اي يارب ﴿ ارحمهما ﴾ برحمتك الدنيوية والأخروية وربهما ﴿ كما

ربياني ﴾ ورحماني ﴿ صغيراً ﴾ اي حين ما كنت عاجزاً عن كل شيء
انتهى * فانظر أرشدك الله تعالى الى طريق الخير • كيف شدد
الله في الوصية على الوالدين حيث افتتح هذه الآيات بالأمر بتوحيده
ثم ثنى بالامر بالاحسان اليهما ناظما ذلك في سلك قضائه وحكمه القطعي
بهما معا • ثم ضيق الامر في الوصية عليهما حتى انهُ تعالى لم يجوز
للولد عند ضيق صدره من شيء مكروه يراه منهما • أن يقول لهما
أدنى كلمة يفهم منها ما يكدر عليهما أدنى تكدير • وفي ذلك سرٌّ عجيب
من أسراره تعالى • ثم ختم تعالى هذه الوصيه بأمر الولد بأن يطلب
منهُ ايضاً رحمته الواسعة لهما بدل تربيتهما له • فعلى كل نبي أن ينظر
في هذه الوصية الالهية بعين قلبه ويعمل بها حتى يكونا راضيين عنهُ
فيفوز برضا ربهِ كما قال النبي صلى الله عليهِ وسلم (رِضى اللهِ في رِضى
الوالدينِ وسخطهُ في سخطهما) * ـ وقد قال رجل لرسول الله
صلى الله عليهِ وسلم ان أبويَّ بلغا من الكبر أني افعلُ معهما مثل
فعلهما معي في الصغر فهل قضيتهما حقهما في التربيه فقال صلى الله
عليهِ وسلم لاَ • فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت
تفعل ذلك وأنت تريد موتهما *

وروى ايضاً ان شيخاً أتى النبي صلى الله عليهِ وسلم فقال يارسول
الله ان ابي هذا له مالٌ كثيرٌ وانهُ لاينفق عليَّ من مالهِ • فنزلَ
جبريل عليهِ السلام • وقال يامحمد ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنهِ
ابياتاً ماقرع سمعٌ مثلها • وطلب النبي صلى الله عليهِ وسلم انشادها له

فقال الشيخ

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُنْتُكَ يَافِيًا * تَعَلُّ بِمَا أَحْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ

إِذَا لَيْلَةٌ صَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ * لِسُقْمِكَ إِلَّا بَاكِيًا أَتَمَلْمَلُ

كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي * طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمِلُ

فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي * إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً * كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي * فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

فلما انشدها الشيخ غضب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وقال للولد أنت ومالك لأبيك . انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾

انهُ سبحانهُ وتعالى امر في الآيات السابقة باختصاص العبادة له تعالى وبر الوالدين ثم بين في هذه الآية انهُ لايخفى عليهِ شيءٌ مما تعزمون عليهِ في انفسكم من الاخلاص في الطاعة التي من جملتها بر الوالدين ومن عدم الاخلاص فيها الذي من جملته عدم برهما بل هو اعلم

بذلك منكم والمقصود من ذلك هو الحث على الاخلاص والنهى عن تركه فقال تعالى ﴿ ربكم ﴾ اي خالقكم ﴿ اعلم ﴾ اى هو العالم ﴿ بما ﴾ اي بالذي تضمرونهُ ﴿ في نفوسكم ﴾ من فعل الطاعات التي يدخل فيها بر الوالدين او فعل المعاصي التي يدخل فيها عقوقهما ﴿ ان تكونوا صالحين ﴾ اي قاصدين للصلاح والبر او للفساد والعقوق ﴿ فانهُ ﴾ تعالى ﴿ كان للاوابين ﴾ اي للراجعين اليهِ بالتوبة بشروطها عما فرطوا فيهِ من الطاعات وحصول الهفوات التي لاتكادُ تخلو من احد ولا يعصم منها الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ غفورا ﴾ اي ساترا لما وقع منهم من اي تقصير في العبادة او اذية لاحد بالفعل او بالقول انتهى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾

امر الله تعالى كل انسان بأنهُ بعد فراغه من بر الوالدين يجب ان يشتغل ببر الاقارب • ويقدم الاقرب فالاقرب ثم يشتغل ايضاً باصلاح احوال المساكين وابن السبيل ثم امره ايضاً ان لا يصرف

المال الا في وجوه الخير ولا يصرفه في وجوه المعصية وبين تعالى ان من يصرف المال في المعصية موافقٌ لفعل الشيطان فقال تعالى ﴿ وآت ﴾ وأعط ﴿ ذا القربى ﴾ اي صاحب القرابة ﴿ حقه ﴾ اي نفقته . فيجب على الرجل الغني ان ينفق على المحارم من اهل قرابتهِ كأبويه وولده ونحوه من كل محرم بشرط أن يكونوا فقراء عاجزين عن الكسب فينفقُ عليهم من ماله بقدر حاجتهم هذا ما ذهب عليهِ غير الشافعي من الأئمة واما هو فقد نص على انهُ لاتجب النفقة الا على الولد والوالدين العاجزين عن الكسب فقط واتفقوا على ان من لم يكن محرماً من الأقارب . كأبناء العم فلا حق لهم الا المودةُ والزيارةُ وحسنُ المعاشرة ﴿ والمسكين وابن السبيل ﴾ اي وآتِ حقهما أيضاً فيجب أن يدفع من الصدقة الى المساكين مايقوم بقوتهم وقوت عيالهم وان يدفع من الصدقة أيضاً الى ابن السبيل ما يكفيهِ من قوته وراحلتهِ الى أن يبلغ محل مقصده ﴿ ولا تبذر تبذيرا ﴾ أي ولا تفرق أيها الانسان المال الذي حصلت بهِ الله تفريقا في المعاصي فـ ﴿ ان المبذرين ﴾ اي المفرقين أموالهم في المعاصي ﴿ كانوا ﴾ بما فعلوه من التبذير ﴿ اخوانَ ﴾ اي أمثال ﴿ الشياطين ﴾ في هذا الفعل القبيح ﴿ وكان الشيطان لربهِ كفورا ﴾ لأنهُ يستعمل نفسه دائما في المعاصي والافساد في الأرض واضلال الخلق . وكذلك كل من رزقه الله تعالى مالا أو جاهاً فصرفه في غير رضى الله تعالى كان كفورا لنعمتهِ . فالمقصود من الآية الكريمة أن المبذرين الذين

يفقون أموالهم في الفساد موافقون للشياطين في الصفة والفعل وقد أخبر الله تعالى أن الشيطان كفورٌ لنعمة ربهِ . فيلزم من ذلك ان يكون المبذر كفورا لنعمة ربهِ أيضاً . والمبذر هو الذي يصرف ماله في الجهات التي نهي الشرع عن صرفه فيها كالخمر والقمار والشطرنج والملاهي وغير ذلك . ومنهُ مايفعل في زماننا هذا من الزينة في الافراح والامور المخالفة للشرع في الاحزان . وانما سمي المبذر كفورا لأن فعله موافقٌ لفعل الشيطان انتهى

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا ﴾

ثم علم سبحانهُ وتعالى الانسان أدباً حسناً في رد السائلين من الأقارب والمساكين وأبناء السبيل حين احتياجهم اليه وهذا اذا لم يكن عنده ماسئلوه عنهُ من حاجاتهم فقال ﴿ واما تعرضنَّ ﴾ اى وان تعرض أيها الانسان بوجهك ﴿ عنهم ﴾ اي عن اهل قرابتك والمسكين وابن السبيل الذين أمرتك أن تعطيهم حقوقهم ﴿ ابتغاء رحمةٍ ﴾ اي طلب رزق ﴿ من ربك ﴾ اي من عند ربك وصرت منتظراً لرحمة ربك ﴿ ترجوها ﴾ اي ترجوا تيسيرها بطلب الرزق منهُ تعالى ﴿ ف ﴾ لا تقطع طمع هؤلاء فيما سئلوك عنهُ ولكن عدهم وعدا جميلا و ﴿ قل لهم

قولاً ميسوراً ﴾ اي ليناً سهلاً كأن تقول سيرزقني الله فأعطيكم أو نحو ذلك • والمقصود من الآية أن الانسان اذا سئله المحتاجون من الأقارب والمساكين وابن السبيل لايقطع رجائهم منهُ• بل يردهم بالقول الجميل اللين ويعدهم عما طلبوه منهُ اذا يسر الله له ثم يذكر لهم العذر وهو عدم المال او يقول لهم الله يسهل لكم ونحو ذلك انتهى *

﴿ الباب السادس عشر في تفسير ما ورد من الاوامر في سورة الكهف ﴾

قوله تعالى ﴿ قُلْ لوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة كمال القرآن الكريم المرشد الى كمال علمهِ تعالى واحاطته احاطةً لا انتهاء لها فقال ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ لو ﴾ كتبت الكلمات الدالة على علم الله تعالى وحكمهِ و ﴿ كان البحر ﴾ اي ماءه ﴿ مداداً ﴾ اي حبراً تمدُّ وتملُّ بهِ الدواة للقلم الذي يكتب ﴿ لكلمات ربي ﴾ اي للكلمات الدالة على علمه تعالى وحكمه ﴿ لنفد البحر ﴾ اي لفرغ ماءه ﴿ قبل أن تنفد كلمات ربي ﴾ معلوم وتقريب المعنى حينئذ هو أن البحار مهما بلغت الغاية في الاتساع والعظمة وفرضنا أن ماءها مدادٌ للقلم الذي يكتب به كلمات ربي لما

وَفى هـذا الماء بكتابة تلك الـكلمات لان مياه البحار متناهية ومعلومات الله وحكمه غير متناهية ولا يخفى ان المتناهي لايفي ابداً بغير المتناهي ﴿ ولو جئنا ﴾ بقدرتنا الباهرة ﴿ بمثله ﴾ اي بمثـل البحر ﴿ مدداً ﴾ اي عونا وزيادة لايفي ايضاً بذلك فثبت ان الالفاظ الدالة على تعلقات علمه تعالى الازلي لانهاية لها ولا حد فيكون علمه تعالى ليس له نهاية ولا حد وهـذا يدل على كمال ألوهيته وتفرده بالوحدانية فلا معبود غـيره في الـكون ولا اله الا هو انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الـكريمة ﴾

﴿ قُـلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُـكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُـكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ . فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَـاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

ثم لما بين تعالى كمال كلامه القديم وسعة علمه الازلي في الآيةالسابقة أمر نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا الآية الـكريمة أن يسلك طريقة التواضع لتقتدي بهِ أمتهفي سلوكها فقال﴿ قل ﴾يامحمد لهؤلاء المعاندين ﴿ انمـا أنا بشر ﴾ اي انسان ﴿ مثلـكم ﴾ لاعلم لي الا ماعلمني الله ﴿ يوحى اليَّ ﴾ اي وان الله يوحى اليَّ ﴿ انما الهـكم اله واحد ﴾ اي أن معبودكم الذي يجب أن تعبدوه ولا تشركوا بهِ شيئاً معبودٌ واحدٌ

لاتاني ولا شريك له ﴿ فمن كان ﴾ منكم ﴿ يرجوا ﴾ اي يؤمل ﴿ لقاء ﴾ اي كرامة ﴿ ربهِ ﴾ وينتظر حصول الخير في المستقبل ﴿ فليعمل عملا صالحا ﴾ اي فليخلص له الطاعة مع المراقبة وكمال التوحيد ﴿ ولا يشرك بعبادة ربهِ أحداً ﴾ اي ولا يجعل لربه شريكا في العبادة لا ظاهراً كما يفعله الكافرون ولا باطناً كما يفعله المراؤن المنافقون واعلم أنا تركنا تفسير ما جاء في سورة مريم وطه والانبياء من الاوامر لانا ذكرنا غيرَ مرةٍ أنا لم نتعرض في هذا الكتاب الا لتفسير الاوامر المتعلقة باصلاح الدين والدنيا معاً انتهى *

﴿ الباب السابع عشر في تفسير ما ورد من الاوامر ﴾ ﴿ في سورة الحج ﴾

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ . وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا . وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾

بدأ الله تعالى هذه السورة بذكر القيامة واهوالها حثا منهُ تعالى على التقوى التي هي خير زادٍ الى المعاد ويدخل فيها فعل الواجبات والمندوبات وترك المنكرات فقال ﴿ يا أيها الناس ﴾ اي العباد المكلفون

من ذكر وأنثى ﴿ اتقوا ربكم ﴾ اي احذروا عقوبة مالك أموركم ومربيكم في ﴿ ان زلزلة الساعةِ ﴾ اي ان تحريكها التحريك المتكرر مراراً حتى يقلع الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها ﴿ شيءٌ عظيمٌ ﴾ هائل مرعج للنفوس ولا تدرك حقيقته العقول . ولا مفر من هوله الا بالتدرع بلباس التقوى وهذه هي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الخ ومعنى الساعةِ القيامة . ثم اختلف الناس في وقت الزلزلة المذكورة فعن الحسن تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها . ففسر الزلزلة بقيام الساعة وعن علقمة والشعبي أنها تكون قبل طلوع الشمس من مغربها فهي على هذا القول تكون من علامات الساعة التي تحصل في الدنيا وقوله ﴿ يومَ ﴾ اي وقت ﴿ ترونها ﴾ وتشاهدون هول مطلعها ﴿ تذهل ﴾ اي تغفل وتدهش ﴿ كل مرضعة ﴾ اي كل مباشرة للارضاع ﴿ عما أرضعت ﴾ اي عن طفلها الذي ألقمته ثديها ﴿ وتضع ﴾ اي وتلقي ﴿ كل ذات حمل ﴾ اي صاحبة حمل ﴿ حملها ﴾ اي جنينها من بطنها لغير تمام مدة الحمل كما أن المرضعة تغفل وتدهش عن ارضاع ولدها لغير فطام وهذا التفسير لا يظهر الا على قول علقمة والشعبي المتقدم وهو ان زلزلة الساعة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها وذلك لانها تحصل في الدنيا قبل فناء الخلق فحينئذ تسمعها المباشرةُ للارضاع فتذهل عن ارضاع ولدها وتسمعها الحامل فتلقي جنينها وهذا من شدة هولها . واما على قول ابن عباس بأن معنى زلزلة الساعة

قيامها فلا يظهر وقد ذكروا في توجيهه قولين أحدهما قول بعضهم انهُ تمثيل لتهويل الامر وصعوبته وقت الزلزلة لكن اعترضه العلماء فقالوا ان الامر حينئذ أشد هولاً وأعظم صعوبة من ذلك الوصف وثانيهما قول بعضهم انّ ما ذكر من دهشة المرضعة عن مرضعها ووضع ذات الحمل حملها يكون عند النفخة الثانية في الصور • وهي يقوم الناس بها من قبورهم لأنهم يقومون على حالتهم التي ماتوا متصفين بها عند حصول النفخة الاولى • فالمباشرة للارضاع تقوم على هذه الحالة التي كانت تفعلها في الدنيا وماتت وهي كذلك بسبب النفخة الاولى • والحامل تقوم على حالها في ذلك • ولا شك ان هذا التوجيه ظاهرٌ فيما ذكر من التفسير • لان الناس يقومون من قبورهم بعد النفخة الثانية لاقبلها • انتهى * ثم قال تعالى ﴿ وترى ﴾ أيها المكلف يوم رؤيتك لزلزلة الساعة ﴿ الناس ﴾ جميعا من شدة هولها ﴿ سكارى ﴾ اي كأنهم سكارى ﴿ وما هم بسكارى ﴾ حقيقة بالشراب ﴿ ولكن عذاب الله ﴾ تعالى ﴿ شديد ﴾ فيغشاهم هوله وتطير عقولهم ويسلب عنهم التمييز من شدة ذلك الهول • وقد اختلف الناس في ان شدة ذلك اليوم هل تحصل لكل احدٍ من الخلق أولا تحصل الا للبعضِ منهم فقال بعضهم لاتحصل الا لأهل النار فقط • وأما اهل الجنة فيحشرون وهم آمنون مطمئنون • وقال بعضهم ان الفزع الأكبر وغيره من شدة هذا اليوم يحصل لكل أحد منهم • لانهُ لااعتراض لاحدٍ على الله تعالى في شيء من أفعاله ولا يجب عليهِ حقٌ لمخلوقٍ انتهى *

وقد روى أن هاتين الآيتين نزلتا على النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والناسُ يسيرون متوجهين الى غزوة بني المصطلق • فلما نزلتا نادى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بهم • فاجتمعوا حوله فقرأ هاتين الآيتين عليهم فبكوا بكاءً شديدا • فلما أصبحوا لم يضعوا السروج على الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول • ولم يوقدوا ناراً تحت قدرٍ وهم بين باكٍ وحزين ومتفكر فقال لهم عليهِ الصلاة والسلام أتدرون أي ذلك اليومِ هو فقالوا له اللهُ ورسوله أعلم فقال لهم ذلك يومُ يقول الله لآدم عليــهِ السلام • يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوتٍ من قبل الله تعالى ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً الى النار فيقولُ يارب وما بعثُ النارِ • قال من كل ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٌ وتسعونَ • فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديدٌ • فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقالوا يارسول الله أين ذلك الرجل أي الذي يكون تمام الالف • فقال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (من يأجوج ومأجوج تسعمائةٍ وتسعةٌ وتسعونَ ومنكم واحدٌ) اي في الجنة • ثم قال لهم عليه الصلاة والسلام (أنتم في الناس كالشعرةِ البيضاء في جنب الثورِ الأسودِ) انتهى *

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾

بين الله تعالى في هذه الآية علو شأنه وكمال علمه المحيط بكل الاشياء التي من جملتها أحوال عباده المكلفين • وبين أيضاً ان مرجع الامور كلها اليه • فمن عنده طائعا يحمله هذا البيان الكريم على الجد في الطاعه • ومن كان عاصياً يزجره عن الاقدام على المعصية فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ تقدم تفسيره ﴿ اركعوا واسجدوا ﴾ اي اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا ﴿ واعبدوا ربكم ﴾ أي وأخلصوا له في العبادة والعبودية ﴿ وافعلوا الخير ﴾ اي وافعلوا ما هو خير لكم واصلح من القيام بأداء ما وجب عليكم فعله او تركه والشفقة على خلقهِ ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ اي افعلوا كل ذلك راجين منهُ تعالى الفلاح والفوز بنعيم الآخرة لا متيقنين ذلك لان الانسان لايخلوا في أداء فرائضه من التقصير ولا يدري عاقبة أمره انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

ثم بعد ما أمر تعالى بفعل كل خير يوصل الى سعادته أمر في هذه الآية بمخالفة النفس والهوى التي هي الجهاد الاكبر وعظم فيها شان المكلفين من اهل الايمان فقال ﴿ وجاهدوا في الله ﴾ اي لطلب رضوان الله تعالى اعداء دينه الظاهرة كأهل الباطل واعدائه الباطنة كالنفس والهوى ﴿ حق جهاده ﴾ اي حق جهادكم له جهاداً خالصاً لذاته تعالى فجهاد النفس يكون بتطهيرها وتصفيتها بسبب أداء الحقوق وترك الشهوات وجهاد القلب يكون بتصفيته وشغله بالله وترك ماسواه وجهاد الاعداء الظاهرة يكون ببذل النفس والمال والجاه في مقاتلتهم وابذلوا الجهد في ذلك ولا تقصروا فانهُ تعالى ﴿ هو اجتباكم ﴾ اي اختاركم لخدمة دينه ونصرته بهذه الكرامات من بين خلقه ولولا انهُ اختاركم مااهتديتم الى معرفته ﴿ وما جعل عليكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ في الدين ﴾ اي دين الاسلام ﴿ من حرج ﴾ اي من ضيق وشدةٍ حيث ضيق على من قبلكم من الأمم في دينهم . ووسع عليكم في دينكم بالاتيان بالرخص . فمن لم يمكنه ان يصلي قائماً جوز له الصلاة جالساً . ومن لم يمكنهُ الجلوس . جوز له الصلاة بالاشارة . واباح للصائم

الفطر في السفر الطويل • وجوز له ايضاً قصر الصلاة فيه • وهو تعالى لم يقدّر على عبده فعل شيء من الذنوب الا وجعل له مخرجاً منهُ • اما بالتوبة او بالكفارة وقد قال عليهِ الصلاة والسلام (اذا أمرتكمْ بأمرٍ فأتوا منهُ ما استطعتمْ)و بالجملة فقد خصكم الله من بين الامم بأعظم التشريعات • وجعل دينكم هذا ﴿ ملة ﴾ اي دين ﴿ أبيكم ابراهيم ﴾ عليه الصلاة والسلام • وانما جعل الله تعالى سيدنا ابراهيم أبا العباد المؤمنين لانهُ من أجداد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فهو أبوه طبعاً ولا يخفى ان رسول الله كالأب لامتهِ المؤمنة لانهُ سبب في حياتها الابدية المشمولة بسعادتهم في الآخرة • فبين تعالى لكم ايها المؤمنون انهُ هو الذي اختاركم لخدمتهِ ولم يضيق عليكم في دينكم و﴿ هو ﴾ الذي ﴿ سماكم المسلمين من قبل ﴾ اي من قبل نزول هذا الكتاب الكريم بأن سماكم بهذا الاسم في الازل وفي سائر الكتب المتقدمة ﴿ وفي هذا ﴾ اي وفي هذا القرآن ايضاً سماكم المسلمين ﴿ ليكون الرسول ﴾ في يوم القيامة ﴿ شهيدا عليكم ﴾ بأنهُ بلغكم رسالة ربهِ ﴿ وتكونوا ﴾ أنتم يا امة محمد ﴿ شهداء على الناس ﴾ بتبليغ الرسل اليهم وذلك باخبار القرآن لنا ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ اي فتقربوا الى خالقكم بالطاعات ودوام السير في أداء اوامره والتعظيم لشريعته ودعوة الخلق الى طريقته والشفقة عليهم ﴿ واعتصموا ﴾ اى ثقوا ﴿ بالله ﴾ في جميع اموركم ولا تطلبوا النصرة والاعانة الا منهُ ف ﴿ هو مولاكم ﴾ اي ناصركم ومتولي اموركم وسيدكم ﴿ فنعم المولى ﴾ اي فنعم السيد والمتولي

﴿ ونعم النصير ﴾ اي ونعم المعين هو سبحانهُ وتعالى لانهُ ليس له مماثل في الولاية والنصرة بل لاوليّ ولا ناصر في الحقيقة الا هو عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ثم اعلم ان هذه السورة التي هي سورة الحج تليها سورة المؤمنون ولم يكن فيها ماقصدنا في هذا الكتاب تفسيره من الاوامر الالهية فلم نتعرض لتفسير شيء منها كما ذكرنا ذلك غير مرة * انتهى

﴿ الباب الثامن عشر في تفسير ما ورد من الأوامر ﴾
﴿ في سورة النور ﴾

قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ أَلزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ثم بدأ الله تعالى بأول الاحكام المذكورة في هذه السورة فقال ﴿ الزانية ﴾ اي التي زنت من النساء ﴿ والزاني ﴾ اي والذي زنى من الرجال وكان كلٌّ منهما حراً لم يسبق له زواج اصلا ﴿ فاجلدوا ﴾ اي فاضربوا ﴿ كل واحدٍ منهما ﴾ اي من الزاني والزانية على الجلد ﴿ مائة جلدة ﴾

اي مائة ضربة على جلده عقوبةً له على ما ارتكبه من المعصية ويجب ان يكون الضرب معتدلا بحيث لا يصل المهُ من الجلد الى اللحم فينبغي للامام ان ينصب لاقامة الحدود رجلا عالما بصيرا يعقل صفة الضرب المعتدل • فالرجل الزاني نضرب قائمـا ضربا متوسطا بين الشدة واللين على الاعضاء كلها الا الوجه والفرج ويكون عليهِ قميصه فقط والمرأة الزانية تضرب قاعدة ضربا متوسطا ايضا ولا ينزع من ثيابها الا ما كان زائدا عن اللبس المعتاد كالحشوِ والفروِ والقول الصحيح ان الزنا من الكبائر • ولهذا جمعه الله تعـالى مع الشرك وقتل النفس في قوله والذين لايدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون • وايضا شرع الله تعالى فيهِ بالرجم الذي هو أقبح أنواع القتل *

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(إِتَّقُوا الزِّنَا فَإِنَّ فِيهِ سِتَّ خِصَالٍ • ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثٌ فِي الآخِرَةِ • فَامَّا اللَّاتِي فِي الدُّنْيَا فَيُذْهِبُ الْبَهَاءَ وَيُورِثُ الْفَقْرَ وَيَنْقُصُ الْعُمْرَ • وَأَمَّا اللَّاتِي فِي الآخِرَةِ فَيُوجِبُ السُّخْطَ وَسُوءَ الْحِسَابِ وَالْخُلُودَ فِي النَّارِ) •

ثم ان علماء الشافعية قد عرّفوا الزنا بأنهُ ادخال ذكر في فرج مشتهى

طبعاً . محرّمٍ شرعاً . فعلى هذا يكون اللواط عندهم داخلا في الزنا لأنهُ مثل الزنا في الصورة . بل هو أشد منهُ قبحاً وفظاعةً ولأن الدبر والفرج يشتركان في الامور التي تتعلق بالشهوة واللذة . ثم ان للشافعي في اللواط قولين أحدهما وهو الاصح عنده أن على فاعله فقط حدُّ الزنا فان كان محصناً فيرجمُ وان لم يكن محصناً فيحدُّ مائةَ جلدةٍ ويغربُ عن وطنهِ سنةً . وثانيهما أن الفاعل والمفعول يقتلان معاً . وقتلهما يكون اما بقطع رقبتهما او بالرجم وهو قول مالك وأحمد . أو بالهدم عليهما أو برميهما من علوٍ الى أسفل وذلك لان قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه . هذا حد الفاعل والمفعول اذا كانا مكلفين مختارين . ويسقط الحد في الزنا واللواط عن المفعول اذا كان مكرها على الفعل . ثم انهُ سبحانهُ وتعالى اشار الى أن الحد يجب أن يكون الضرب فيه متوسطاً بين الشدة واللين بقوله ﴿ ولا تأخذكم بهما ﴾ اي بالزاني والزانيــة ﴿ رأفةٌ ﴾ اي شفقةٌ ﴿ في دين الله ﴾ اي في اقامة حده . وتقريب المعنى هو أنهُ لاتحملكم الشفقة على التفريط في اقامة الحد . كأن تتركوه أصلا . أو تنقصوا من عدده شيئاً . أو تخففوا في الضرب بحيث لايحسُّ الزاني بألمهِ . او تفرقوه على الأيام . كأن تضربوه كل يوم سوطا او سوطين مثــلا وأما ان ضرب كل يوم عشرين مثــلا كان ذلك الضرب محسوباً لحصول المشقة . لــكن الأولى ان لايفرق . ثم أكد هــذا المعنى بقولهِ ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ اي ان كنتم مؤمنين بالله

واليوم الآخر فلا تتركوا اقامة الحدود على الوجه المذكور ثم أشار تعالى الى الأمر بالتغليظ فيه فقال ﴿ وليشهد ﴾ اي وليحضر ﴿ عذابهما ﴾ اي جلدهما ﴿ طائفةٌ ﴾ اي جماعةٌ ﴿ من المؤمنين ﴾ اي المصدقين بالله ورسوله • انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

ثم ذكر تعالى الحكم الثاني من الأحكام التي بينها في هذه السورة وهو حكم القذف للعفائف من النساء • اذا نسبهن أحد الى الزنا فقال ﴿ والذين يرمون ﴾ اي ينسبون ﴿ المحصنات ﴾ اي العفيفات من حرائر المسلمين وينسبونهن الى الزنا ﴿ ثم لم يأتوا ﴾ على صحة ما نسبوه اليهن ﴿ بأربعة شهداء ﴾ عدولٍ يشهدون عليهن بما نسبوهن اليه من الزنا • ثم ان هذا العدد لا بد منه في اثبات الزنا والقذف به • واما القذف بغيره فيكفي فيه شاهدان • وشرط وجوب الحد على من يقذف امرأة بالزنا أن تكون المقذوفة حرةً مسلمةً بالغةً عاقلةً عفيفةً • ولو

زنت المرأة بعد قذفها بالزنا وقبل اقامة الحد على قاذفها سقط عنه الحد لان ظهور الزنا منها بعد قذفها حدش ظن العفة منها وقت القذف • ودل على انها كانت متصفة به قبل قذفها ثم ان لفظ المحصنات في الآية لا يشمل الا النساء فقط • ولكن اتفق أكثر العلماء على أنه لافرق بين الرجال والنساء • فاذا قذف أحد شخصا بالزنا فحكمه مثل حكم قذف المرأة • وكذلك اذاقذف أحد شخصا بغير الزنا • كأن نسبه الى أكل الربا أو شرب الخمر • فيجب عليه الحد أيضا مثل حد قذف الزنا • واذا كان المقذوف معروفا بوصف من الاوصاف القبيحة فلا حد على من قذفهُ بهذا الوصف • ثم انه سبحانه وتعالى حكم على القاذف الذي لم يأت بأربعة شهداء بثلاثة أحكام • الحكم الأول قوله تعالى ﴿ فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ لظهور كذبهم وافترائهم على الله بسبب عجزهم عن الاتيان بالاربعة شهداء هذا اذا كان القاذف حرا وأما اذا كان رقيقا فيجلد اربعين جلدة على النصف من حد الحر • ولا يحد الوالد بقذف ولده • الحكم الثاني على القاذف قوله تعالى ﴿ ولا تقبلوا لهم ﴾ اي للقاذفين ﴿ شهادة أبداً ﴾ اى مدة حياتهم وذلك لان القاذف لما أذي المقذوف بلسانه عاقبه الله تعالى بألم بدنه بالجلد وبألم قلبه برد شهادته مدة حياتهِ ما لم يتب وأما اذا تاب توبةً مستوفية لشروطها الثلاثة وهي الاقلاع عن الذنب والندم على مافات والعزم على أن لايعود الى ذنب أصلا فحينئذ تقبل شهادته كما سيأتي في قوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان

الله غفور رحيم ولا يجوز ان يكون زوج المرأة المقذوفة واحدا من الشهود الأربعة . ثم انه لا تكفي شهادتهم بالزنا فقط . بل لابد ان يذكروا اسم التي قذفوها بالفاحشة . وأن يذكروا الزنا مفصلاً . ولا بدّ أن يصفوها بالتحريم . على المقذوف مخافة أن تكون جاريته او زوجته . الحكم الثالث على القاذف ايضاً هو قوله تعالى ﴿ وأولئك هم الفاسقون ﴾ اي المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتباعد عن حدود الله ﴿ الا الذين تابوا ﴾ اى رجعوا نادمين ﴿من بعد ذلك﴾ اي من بعد ما اكتسبوا هذا الذنب العظيم الهائل ﴿ وأصلحوا ﴾ اعمالهم التى من جملتها ماوقع منهم من القذف كأن يسلموا أنفسهم لاستيفاء الحد منهم و يستسمحوا المقذوف . فحينئذ لايؤاخذون بما وقع منهم ولا ينتظمون في سلك الفاسقين ﴿ فان الله ﴾ تعالى ﴿ غفور ﴾ اي كثير المغفرة ﴿رحيم ﴾ اي واسع الرحمة

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

بعد ان بين الله تعالى حكم القاذفين للأجانب في الآية المتقدمة وهو الحكم الثاني بين في هذه الآية حكم القاذفين لأزواجهم خاصةً وهو الحكم الثالث من الاحكام التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة فقال ﴿ والذين يرمون ﴾ اي يقذفون ﴿أزواجهم ﴾ بالزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ يشهدون بما نسبوهن اليه من الزنا ﴿ الا انفسهم﴾ اي غير أنفسهم فقط ﴿ فشهادة أحدهم ﴾ اي فأيمان كل واحد منهم المشروعة من الله تعالى ﴿ اربع شهادات ﴾ اي أيمان ﴿ بالله ﴾ تعالى ﴿ انه لمن الصادقين ﴾ اى فيما قذفها به من الزنا . فالمقصود ان القاذف لزوجته يقول في الملاعنة عند الحاكم مثلا أشهد بالله انى لمن الصادقين فيما رميت بهِ زوجتي فلانة من الزنا اربع مرات . وان كانت حاملاً واراد نفي حملها يقول واشهد ان هذا الولد من الزنا وليس مني . ﴿والخامسة﴾ اى والشهادة الخامسة هي قوله ﴿ ان لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ﴾ اي فيما رماها به من الزنا . ثم قال الله تعالى

﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

فاذا لاعن الزوج فعلى الزوجة احد أمرين . اما ان تعترف بالزنا فتحد بالرجم . او تقوم امام الحاكم بعد ان يجلس الزوج فتلاعنه ﴿ويدرؤا﴾ اى ويدفع اللعان ﴿ عنها ﴾ اى الزوجة ﴿ العذاب ﴾ الدنيوى وهو حدها بالرجم الذى هو اشد العذاب واقبح القتل . واللعانُ هو ﴿ ان

تشهد ﴾ اى ان تحلف ﴿ اربع شهادات ﴾ اى ايمان ﴿ بالله ﴾ تعالى ﴿ انه ﴾ اي الزوج ﴿ لمن الكاذبين ﴾ اي فيما قذفني به من الزنا •

﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

اي ﴿ و ﴾ تشهد الشهادة ﴿ الخامسة ﴾ وهي ﴿ ان غضب الله عليها ﴾ اى تقول فيها غضب الله عليّ ﴿ ان كان ﴾ زوجي ﴿ من الصادقين ﴾ فيما رماني به من الزنا • وانما خصص تعالى اللعن بجانب الزوج • والغضب بجانب الزوجة • لان المرأة لما كانت محلا للفجور غلظ الله عليها تخصيصها بالغضب • ثم بعد الملاعنة بين الزوجين يفرق بينهما الحاكم • وهي فرقة توجب تحريم الزوجة على الزوج تحريما مؤبدا

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

بين الله تعالى الحكم الرابع من احكام الاوامر التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة وهو امر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج عما لا يحل فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ ل ﴾ لمكلفين من الرجال ﴿ المؤمنين ﴾ اي المصدقين بالله ورسوله ﴿ يغضوا ﴾ اى يحفظوا

﴿ من ابصارهم ﴾ اي نظرهم ﴿ ويحفظوا فروجهم ﴾ اي يكفوها عن المحارم

قال الفقهاء اقسام العورة ثلاثةٌ احدها عورة الرجل مع الرجل فيجوز للرجل أن ينظر الى جميع بدن مثله من الرجال الا عورته وهي ما بين السرة والركبة واما السرة والركبة فهما خارجان عن عورة الرجل فان كان الرجل امرد يشتهى النظر اليه ويخاف منه الفتنة فلا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل ان ينام عاريا مع مثله في مضجع واحد وكذلك المرأة ويستدل على ذلك من الحديث الآتي

قال النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ لاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ . وَلاَ تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ ﴾

وتكره معانقة الرجل للرجل وتقبيل وجهه الا اذا كان ولده فيجوز حينئذ تقبيل وجهه شفقة عليه . وتستحب المصافحة باليد . واعلم ان حكم المرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل . فيجوز لها النظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة . ولا تجوز لها المضاجعة مع مثلها كما مر في الحديث المتقدم . والأصح أن الذمية لايجوز لها النظر الى بدن المسلمة . لأنها اجنبية في الدين . وثانيها عورة المرأة مع الرجل

فان كانت المرأة حرة اجنبية فلا يجوز للرجل ان ينظر الى شيء منها الا وجهها وكفيها عند الحاجة لان جميع بدنها عورةٌ وانما جاز النظر الى الوجه والكفين منها لانها محتاجة الى كشف الوجه للبيع والشراء والى اخراج الكف لاجل الاخذ والعطاء • والمراد بالكف ظهر اليد و بطنها الى الكوعين لكن لا يجوز للرجل ان يتعمد النظر الى وجه الاجنبية لغير حاجة فان وقع عليها بصره من غير قصد وجب عليه ان يعرض عنها حالاً فان وقع بصره عليها لحاجة جاز ما لم يكن النظر بشهوة او يخاف منه الفتنة ثم ان الحاجة التي يجوز النظر لاجلها امورٌ أحدها ان يريد تزويج امرأة فيجوز له ان ينظر الى وجهها وكفيها عند خطبتها وثانيها ان يريد شراء جارية فيجوز له ان ينظر الى ماليس بعورة منها وهو ماعدا مابين السرة والركبة وثالثها ان ينظر اليها عند تحمل الشهادة عليها فيجوز ان ينظر الى وجهها فقط لانه يكفي في حصول معرفتهِ اياها ورابعها ان يريد الطبيب الامين معالجة الاجنبية عند فقد الطبية فيجوز ان ينظر الى بدنها لأجل ذلك كما ان المرأة والرجل الخاتنين يجوز لهما النظر الى فرج المختون لان ذلك محل ضرورة • واما ان كان النظر بشهوة او يخاف منه الفتنة فهو حرام لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال(العينان تزنيان) *

وقيل مكتوب في التوراة النظر يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة اورثت حزناً طويلا وخامسها ان تقع المرأة في غرق او حرق فيجوز للرجل ان ينظر الى بدنها ليخلصها واما ان كانت الاجنبية رقيقة

فيجوز النظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة لان عورتها كعورة الرجل واذا كانت المراة محرما للرجل بنسب او رضاع او مصاهرة فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة وكذلك اذا كانت المراة زوجته او رقيقته المسلمة التي لم تتزوج فانه يجوز ان ينظر كل بدنها غير انه يكره النظر الى الموضع المعهود وكذلك يكره النظر الى قبل نفسه واما اذا كانت رقيقته مجوسية او مرتدة عن الاسلام أو وثنية او مشتركة بينه وبين غيره او متزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية وثالثها عورة الرجل مع المراة فان كان اجنبياً منها فعورته ما بين السرة والركبة كما هو الاصح ولا يجوز للمرأة ان تقصد النظر اليه عند خوف الفتنة ولا يجوز لها ان تكرر النظر الى وجهه وان كان الرجل محرما لها فيجوز لها ان تنظر الى غير ما بين السرة والركبة من بدنه وان كان زوجها او سيدها الذي يحل له وطئها فيجوز لها ان تنظر الى جميع بدنه غير انه يكره لها النظر الى فرجه وعورته كحالته معها ولا يجوز للرجل ان يجلس عاريا في بيت خال اذا كان عنده ما يستر عورته به من الثياب لان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال الله احق ان يستحى منه

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ايضاً (إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّي . فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لاَ يُفَارِقُكُمْ إِلاَّ عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ) .

ولما كان النظر باعثاً على الزنا وسبباً لانواع الفجور أمر الله تعالى المؤمنين بغض الابصار أولا ثم بحفظ الفروج عن الزنا والفجور ثانياً وحيث خص الله الخطاب في اول الآية بالمؤمنين اخبرهم بأن الذي أمر به من غض البصر وحفظ الفروج اطهر لهم من دنس الاثم ويستحقون به الثناء والمدح فقال ﴿ذلك﴾ اي ماذكر من الغض والحفظ ﴿ازكى لهم﴾ اي اطهر لهم من دنس الريبة ﴿ان الله خبير بما يصنعون﴾ اي لايخفى عليه شيء مما يقع منهم من الاعمال التي من جملتها دوام النظر والتلذذ بهواستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدونهُ بذلك • فليكونوا على حذر منه تعالى في كل مايفعلون وما يتركون *

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ

أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

ثم امر الله تعالى النساء المؤمنات بما امر به الرجال المؤمنين فقال ﴿وقل﴾ يامحمد ﴿ل﴾ النساء ﴿المؤمنات﴾ اي المصدقات بالله ورسوله ﴿يغضضن﴾ اي يكففن وينقصن ﴿من ابصارهن﴾ ولا ينظرن الى مالا يحل لهن ﴿ويحفظن فروجهن﴾ بالستر وترك الفجور ثم بين تعالى بعض الاحكام التي تختص بالنساء في الاغلب فقال ﴿ولا يبدين﴾ اي ولا يظهرن ﴿زينتهن﴾ اى كل ماتقع به الزينه من المحاسن الخلقية والعارضة • والزينة العارضة امور ثلاثة • احدها الاصباغ كالكحل والخضاب في حاجبي المرأة • وكالحمرة في خديها وكالحنة في كفيها وقدميها • وكالوشمة في الوجه او اليدين • وثانيها الحلي كالخاتم والسوار والخلخال والقلائد • وثالثها الثياب المزخرفة • فكل هذه الأنواع يحرم على النساء كشفها ﴿الا ماظهر منها﴾ عند الاشتغال بالخدمة التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في ستر ذلك تشديدا بينا على النساء • وقد يحرم على الرجل ايضا اظهار زينته للنساء الاجنبيات اذا خيفت الفتنة ﴿وليضربن﴾ اى وليلقين ﴿بخمرهن﴾اي مقانعهن ﴿على جيوبهن﴾

فيسترن اعناقهن وصدورهن ورؤسهن *
ثم بين تعالى ان الزينة الخفية التي يجب على النساء سترها يحل لهم اظهارها وكتمها لفرق وجماعات مخصوصة فقال ﴿ ولا يبدين ﴾ اي ولا يظهرن ﴿ زينتهن ﴾ التي اوجبنا سترها عليهن ﴿ الا لبعولتهن ﴾ اى ازواجهن ﴿ او آبائهن ﴾ الشاملين للأجداد من جهة الاب أو من جهة الام ﴿ او آباء بعولتهن ﴾ اي أو آباء ازواجهن الشاملين ايضا لاجداد الزوج من جهة الاب او من جهة الام ﴿ أو ابنائهن ﴾ اي أو ابناء النساء الشاملين لاولاد ابنائهم ﴿ اوابناء بعولتهن ﴾ اي أو ابناء ازواج النساء الشاملين أيضا لاولاد ابنائهم ﴿او اخوانهن ﴾ اي أي أو اخوان النساء سواء كانوا اخوة لهم من الاب فقط او من الام فقط او منهما معاً ﴿ او بنى اخوانهن ﴾ اى اخوان النساء الشاملين لاولادهن • وترك تعالى من المحارم العم والخال لئلا يصفهن العمُّ او الخالُ عند ابنه فتقع الفتنة • لان معرفة الوصف قريبة من النظر اليهن • وهذا منه تعالى مبالغة في وجوب الاحتياط في الستر •وانما أباح الله تعالى اظهار الزينة الخفية التي اوجب سترها لهذه الفرق والجماعات المذكورة لانهم محتاجون الى مخالطتهن ولا سيما في الاسفار لاجل النزول والركوب • ولقلة وقوع الفتنة من جهتهم • لان الطباع السليمة تنفر عن مماسة الاقارب المحرمة ﴿ او نسائهن ﴾ اي النساء الاحرار الذين هم من اهل دينهن ﴿ او ماملكت ايمانهن ﴾ من الارقاء ﴿ او التابعين ﴾ اي الذين يتبعون الناس ليصيبوا من فضل

طعامهم ﴿ غير اولى الاربة ﴾ اي الحاجة ﴿من الرجال ﴾فلا يشتهون من الدنيا غير الطعام والشراب ولا يعرفون شيئاً من امور الناس وذلك كمن بلغوا سن الشهوة من الرجال وليس لهم تمييز اصلا او يكون لهم تمييز ولكنهم لاتتحرك شهوتهم للنساء اصلا لعفة او عنة او نحوها ﴿ او الطفل الذين لم يظهروا ﴾ اي لم يطلعوا ﴿ على عورات النساء ﴾ لعدم تميزهم او لعدم بلوغهم حد الشهوة ثم علم الله تعالى النساء المؤمنات أدباً حسناً جميلاً أيضا فقال ﴿ ولا يضربن ﴾ اي النساء ﴿ بأرجلهن ﴾ الارض ﴿ لـ ﴾ أن لا ﴿ يعلم ﴾ للناس ﴿ ما يخفين من زينتهن ﴾ وذلك ان الله تعالى نهى النساء عن ان يضربن بأرجلهن الارض لئلا يظهر صوت خلخالهن فيعلم الناس انهن ذوات خلخال وزينة فتميل الرجال اليهن ويرغبوا التكلم والانس مع بعضهم فتحصل الفتنة *

وفي نهيه تعالى عن اظهار صوت الحلي بعد ان نهاهن عن اظهاره وكتمه تشديدٌ فوق تشديد ليعلم المكلفون من المؤمنين والمؤمنات ان كل ما يجر الى الفتنة يجب التحفظ منه لان الرجل الذي تغلب عليه الشهوة اذا سمع صوت الخلخال من النساء دعاه ذلك الى التخيل في رؤيتهن ومن هذا يعلم أنه يجب اخفاء صوت النساء ايضا اذا لم تكن الفتنة مأمونة ولهذا كره الأذان منهن شرعا. ثم ختم تعالى الآية بأمر المكلفين بدوام التوبة والاستغفار • تنبيها منه تعالى للانسان بأنه خلق ضعيفا لايقدر على القيام بمراعاة كل الاوامر والنواهي فقال

﴿ وتوبوا ﴾ اي وارجعوا ﴿ الى الله جميعا ايها المؤمنون ﴾ بالاستغفار والندم على مافعلتموه والعزم على تركه كلما خطر ببالكم ﴿لعلكم تفلحون﴾ اي تفوزون بالفلاح والسعادة الابدية *

قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

لما أمر تعالى بالكف عن الفجور وعما يدعو اليه أرشد بعد ذلك في هذه الآية الى الحكم الخامس من الاحكام التى اشتملت عليها هذه السورة الكريمة • وهو النكاح الذي جعله الله تعالى طريقا للحل فيما تدعو اليه الشهوة • ويكون سببا في بقاء النوع الانسانى على الوجه المحمود فقال ﴿ وانكحوا ﴾ اى وزوجوا ﴿ الأيامى ﴾ اى الخاليات من الزواج بكرا كانت أو ثيبا منكم ثم ان ظاهر هذا الامر وجوب التزويج على كل مكلف • لكن اكثر الأئمة من الصحابة والتابعين وغيرهم حملوه على الندب • وذلك لانه لو كان التزوج واجبا لاشتهر في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وانتشر ولو انتشر لنقل عنه نقلا متواتراً • لان الحاجة داعية اليه كثيرا

ثم امر الله تعالى سادات الارقاء ان يزوجوا ارقائهم الصالحين فقال ﴿ والصالحين ﴾ اي وزوجوا الصالحين ﴿ من عبادكم وامائكم ﴾ وقد اتفقت

الأئمة على ان هذا الامر ليس للوجوب • وانما خص الله الصالحين من الأرقاء بالذكر رحمة منه تعالى بحالهم • ليتحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم •ولان الصالحين من الارقاء يشفقون عليهم ساداتهم ويهتمون بشأنهم • حتى انهم يصيرون بمنزلة الاولاد عندهم • واذا اذن السيد لارقائه ان يزوجوا انفسهم فاذنه نائب عن تزويجه لهم نفسه • قال تعالى ﴿ ان يكونوا فقراء ﴾ اي ان يكن الذين تزوجونهم من رجالكم ونسائكم وعبدكم وامائكم اهل احتياج وفقر فانه ﴿ يغنهم الله ﴾ تعالى ﴿ من فضله ﴾ اي من كرمه • فلا يمنعكم فقرهم وقلة مالهم من تزويجهم ﴿ والله واسع ﴾ اي غني ذو سعة فلو أغنى جميع الناس دفعة واحدة لما نقص من خزائنه شيءٌ لأنه تعالى لا انتهاء لنعمته ولا غاية لقدرته • ولكنه ﴿ عليم ﴾ باحوال عباده فيوسع الرزق لمن يشاء ويضيقهُ على من يشاء على وفق ما تقتضيه الحكمة الالهية من تدبير مصلحتهم

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

ثم بعد ان بين تعالى جواز تزويج الفقراء في الآية السابقة . ارشد في في هذه الآية العاجزين عن اسباب التزويج الى ما هو اولى لهم واحق

بهم فقال ﴿وليستعفف﴾ اي وليجتهد ويسعى في العفة وكسر الشهوة ﴿الذين لا يجدون نكاحا﴾ اي الذين لا يجدون ما يتزوجون به من المال ﴿حتى يغنيهم﴾ اي يرزقهم ﴿الله﴾ بالشيء الذي يقتدرون به على التزوج ﴿من فضله﴾ وهذا وعد منهُ تعالى للعاجزين عن النكاح بالتفضل عليهم بالغنى تقويةً لقلوبهم وتسليةً لخاطرهم في الصبر على العفة . انتهى

﴿ تابع لما قبله ايضاً ﴾

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾

لما رغب الله تعالى سادات الأرقاء في تزويجهم . بين الحكم السادس من الاحكام التى اشتملت عليها هذه السورة . وهو ارشاد سادات الارقاء الى الطريق التي ينتظم بها العبيد في سلك الاحرار مع عدم الاضرار بساداتهم فقال ﴿ والذين يبتغون ﴾ اي يطلبون ﴿ الكتاب ﴾ اي المكاتبة ﴿ مما ملكت أيمانكم ﴾ عبداً كان أو أمةً ﴿ فكاتبوهم ﴾ أيها المؤمنون رفقاً بهم ﴿ ان علمتم فيهم ﴾ اي فيمن يطلبوا منكم المكاتبة من الارقاء ﴿ خيراً ﴾ أي أمانةً ورشداً وقدرةً على الكسب من وجهٍ حلالٍ . لتحصيل ما يؤدونه اليكم من العوض مع تفرسكم فيهم الصلاح في المستقبل بعد خلاصهم من الرق . والكتابة هي أن

يقول السيد لمملوكه كاتبتك على كذا من الدراهم مثلاً تؤديه الي إما فوراً أو مؤجلا وتعتق بعد ذلك • ثم يقول المملوك لسيده فوراً قبلته• فاذا أدى المملوك لسيده ما كاتبه عليه صار حراً *

ثم أمر الله تعالى عباده وسادات الارقاء أن يعينوا المكاتب على أداء كتابته بما يمكنهم من المال فقال﴿ وآتوهم ﴾ أي وأعطوا الارقاء المكاتبين ﴿ من مال الله الذي آتاكم ﴾ أي أعطاه لكم من فضله وكرمه • قال النبي صلى الله عليه وسلم(من أعان مكاتباً في فك رقبته أظله الله في ظل عرشه) *

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل مدلجاً بن عمرو• وكان

علاماً انصارياً الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه • وكان ذلك وقت الظهيرة • فدخل الغلام على عمرَ وهو نائم وقد انكشف عنهُ ثوبه فأيقظه من نومه واخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه اليه • فقال عمرُ لوددتُ ان الله عزّ وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذنٍ • ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم • فوجده وقد أنزلت عليه ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أي صدقوا بالله ورسوله ﴿ ليستأذنكم ﴾ أي ليطلب الاذن منكم في الدخول عليكم ﴿الذين ملكت أيمانكم﴾ من الارقاء الذكور والاناث البالغين او غيرهم • فلا يدخلون الا باذنٍ منكم لهم ﴿ والذين لم يبلغوا الحلم ﴾ أي أوان الاحتلام ﴿ منكم ﴾ اي من أحراركم فلا يدخلون عليكم أيضاً الا باذنٍ • فأمر الله تعالى المماليك والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ان يستأذنوا ﴿ ثلاث مرات ﴾ اي في ثلاث اوقاتٍ من اليوم والليلة • احدها ﴿ من قبل صلاة الفجر ﴾ لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ﴿و﴾ثانيها ﴿حين﴾ اي وقت ﴿ تضعون ثيابكم ﴾ اي الثياب التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة ﴿ من الظهيرة ﴾ التي هي شدة الحر وظهوره عند انتصاف النهار فان هذا الوقت يخلع الناس فيه تلك الثياب غالباً ﴿و﴾ثالثها ﴿ بعد صلاة العشاء ﴾ اي الاخير لانهُ وقت خلع ثياب اليقظة التي هي ثياب النهار والالتحاف بثياب النوم • ثم بين تعالى الحكمة في الاستئذان عند هذه الاوقات الثلاثة فقال ﴿ ثلاث

عوراتٍ ﴾اي هنّ تلات عوراتٍ ﴿لكم﴾اي ان هده الاوقات الثلاثة تطهر فيها عورتكم ﴿ ليس عليكم ﴾ يا أرباب البيوت والمساكن ﴿ولا عليهم ﴾ اي ولا على الدين ملكت ايمانكم من الارقاء والدين لم يبلغوا الحلم من اطفالكم ﴿ حاحٌ ﴾ اي اثمٌ ادا دحلوا من عير استئدانٍ ﴿ بعدهنّ ﴾اي بعد الاوقات المدكورة التي هي تلات عوراتٍ لكم . وهم ﴿ طوافون ﴾ اي مكترون للطواف من الدحول والحروح ﴿ عليكم ﴾ لاحل الحدمة والمخالطة و ﴿بعضكم﴾ يطوف ﴿ على بعض ﴾ في عير هده الاوقات التلاتة لعدم وحود ما يؤدي الى مخالفة الامر بالاطلاع على العورة ﴿ كدلك ﴾ أي متل دلك التبيين ﴿ يبين ﴾ اي ينزل ﴿ الله لكم الآيات﴾ الدالة على الاحكام مبينةٍ واضحة الدلالاتِ عليها ﴿ والله عليمٌ ﴾ اي بالغٌ في العلم بجميع المعلومات حدَّ الغاية فيعلم جميعَ احوالكم ﴿ حكيمٌ ﴾ في جميع أفعاله فيشرع ما فيه صلاح أمركم من المعاش والمعاد *

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

ثم لما بين الله تعالى في الآية السابقة حكم الاطفال الاحرار قبل البلوغ بين في هذه الآية حكمهم بعد البلوغ وهو انهم لا يجوز لهم الدخول الا باذنٍ في جميع الاوقات فقال ﴿ واذا بلغ الاطفالُ ﴾ اي اطفالُ الاجانب الاحرار ﴿ منكم الحلم ﴾ اي أوان الاحتلام ﴿ فليستأذنوا ﴾ اذا ارادوا الدخول عليكم استئذاناً كائناً ﴿ كما استأذن ﴾ اي مثل استئذان ﴿ الذين ﴾ ذكروا ﴿ من قبلهم ﴾ في هذه السورة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم الآية • فبين الله تعالى تلك الآية ان الرجال اذا ارادوا ان يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم فلا بدّ ان يستأذنوا في جميع الاوقات وان يرجعوا ان قيل لهم ارجعوا على ما سيأتي ان شاء الله مفصلاً في تفسير هذه الاية في قسم النواهي فالمقصود من هذه الاية ان الاطفال اذا بلغوا يكونون مثلهم في هذا التفصيل • واتفق الائمة على ان الطفل اذا احتلم يحكم ببلوغهِ واما اذا لم يحتلم فقال اكثر العلماء ومنهم الشافعي انهُ اذا بلغ خمسة عشر سنة يحكم ببلوغهِ لما روى ان ابن عمرَ عرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد لاجل الجهاد وكان سنه اقل من خمسة عشر سنة فرده النبي صلى الله عليه وسلم لصغره ثم عرض عليه يوم الخندق لاجل الجهاد ايضاً وكان سنه خمسة عشر سنة فقبله ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ تقدم بيانه

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ

حُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

تم بين الله تعالى حكم النساء اللواتي حرحن من السن الدي يكن فيه محلاً للفتنة والتهمة • بحيت لاتميل اليهن الطباع السليمة فقال ﴿ والقواعد من النساء ﴾ اي والعحائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل لكبرهن ﴿ اللاتي لا يرحون نكاحا ﴾ اي اللاتي لا يطمعن في الرواح لعدم من يرعب فيهن من الرحال ﴿ فليس عليهن حناح ﴾ اي اتم في ﴿ أن يضعن تيابهن ﴾ اي الثياب الطاهرة كالرداء والحمار • ولا يحل لهن وضع كل تيابهن • لما يلزم في دلك من كشف العورة التي نهى الله عن كشفها • وانما أباح الله لهن دلك لأن طن الفتنة بهن مرتفع عنهن اذا كن بهذه الصفة • واما لو غلب على طنهن ميل النفوس لهن نشهوةٍ فلا يحل لهن وضع شيء من التياب الطاهرة وانما أباح الله لهن تحفيف الثياب حال كونهن ﴿ غير متبرحات بزينة ﴾ اي غير مطهرات لشيء من الزينة الخفية التي أمر الله بسترها عن الأحانب بل لايحور لهن كشفها الا عند الحاحة تم لما كانت النساء مطنة للفتنة والشهوة حتى بعد الكبر والضعف • لان لكل ساقطةٍ لاقطة بين الله تعالى أن المستحب والأفضل عدم وضع شيء من تيابهن فقال ﴿ وأن يستعففن ﴾ اي وأن يطلبن العفة بترك وضع شيء من التياب أصلاً ﴿ خير لهن ﴾ من وضع شيء منها • لان التعفف عن

الوضع للثياب يكون فيه بعده من الشهوة والفتنة بهن ﴿ والله سميع عليم ﴾ تقدم تفسيره غير مرة انتهى

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

بين الله تعالى في هذه الآية بقية الأنواع التي يطلب فيها الاذن . وبين أيضاً نفي الحرج من الجهاد والمؤاكلة عن الأصناف الثلاثة الذين هم من أصحاب العاهات . وبين أيضاً انه لاحرج علينا في الأكل من أحد عشر بيتاً من بيوت المؤمنين . وأباح لنا أيضاً الأكل اذا كنا مجتمعين أو متفرقين . ولم يضيق علينا تفضلاً منه تعالى في الأكل بحالةٍ واحدةٍ فقط من هاتين الحالتين فقال ﴿ ليس

على الأعمى حرج ﴾ اي تضييقٌ ﴿ ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ وقد كانت الصحابة يمتنعون عن الأكل مع هذه الاصناف الثلاثة • خوفاً من عدم انصافهم لهم في الطعام • ويقولون انا اذا أكلنا مع هؤلاء الاصناف ربما تقع أيدينا على الطعام الطيب، وتقع أيديهم على غيره • فنفى الله عنهم ذلك الحرج بهذه الآية ﴿ولا على أنفسكم ﴾ اي وليس عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين حرج ﴿ أن تأكلوا ﴾ اي أن تأكلوا أنتم وهم معكم ﴿من بيوتكم ﴾ اي من البيوت التي هي لكم أو لأزواجكم أو لأولادكم وانما كان بيت الانسان شاملاً لبيت زوجه وولده لأن الزوجين واحدٌ والوالد وولده واحدٌ أيضاً • لقوله صلى الله عليهِ وسلم لولدِ بعض الصحابة (أنت ومالك لأبيك)ولقوله عليهِ الصلاة والسلام أيضاً (انَّ أطيبَ مالِ الرجل من كسبهِ • وان ولدهُ من كسبهِ) ثم قال تعالى ﴿ أو بيوتِ آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوتِ أخواتكم أَو بيوتِ أعمامكم أَو بيوتِ عماتكم أَو بيوتِ أخوالكم أو بيوتِ خالاتكم ﴾ اي وليس عليكم حرجٌ في الأكل من هذه البيوت المذكورة أيضاً ﴿ او ﴾ من ﴿ ماملكتم مفاتحه ﴾ من البيوت التي تملكون التصرف فيها باذن اصحابها ﴿ او صديقكم ﴾ اي او من بيوت صديقكم • وان لم يكن بينكم وبينه قرابة من النسب • فان الاصدقاء يرضون بالتبسط عندهم • ويسرون بهِ اكثر من الأقارب قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق اكثر من

الوالدين اي في الشفقة لأن اهل جهم لما يستغيثوا مما يقع بهم لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل بالاصدقاء . فيقولون مالنا من شافعين ولا صديق حميم ثم ان الأكل من هذه البيوت لم يكن مباحاً الا اذا علم الانسان رضى اصحابها وطيب أنفسهم بذلك ويحصل العلم بالاذن الصريح منهم أو بامارة تدل عليه كما لو قدم صاحب البيت لاحد طعاما فله الأكل منه بدون ان يستأذنه لان العادة كالاذن * روى أن فريقاً من المؤمنين كبني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يمتنعون من أكل طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل حتى يجد ضيفاً يأكل معه فان لم يجد ضيفا مكث يومه من غير أكل فان لم يجد احداً يأكل معه لم يأكل شيئاً وربما جلس الرجل منهم والطعام بين يديه لا يتناول منهُ شيئاً من الصباح الى العشاء وقد يكون معه الابل الكثيرة اللبن فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاركه في الشرب فاذا أمسى ولم يجد احداً أكل منفرداً فبين الله لهم أن ذلك غير واجب وان الأكل جائزٌ في حالتي الانفراد والاجتماع بقوله ﴿ ليس عليكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ جناح ﴾ اي اثم ﴿ أن تأكلوا جميعاً ﴾ اي مجتمعين ﴿ او اشتاتاً ﴾ اي متفرقين . ثم علم الله المؤمنين ادباً حسناً جميلاً فقال ﴿ فاذا دخلتم ﴾ معشر المؤمنين ﴿ بيوتا ﴾ اي من البيوت المذكورة لتأكلوا منها ﴿ فسلموا ﴾ اي فابدؤا بالسلام ﴿ على أنفسكم ﴾ اي على اهلها الذين هم بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية او النسبية

﴿ تحيـةً ﴾ ثابتةً مشروعة ﴿ من عند الله ﴾ اي بأمره ﴿ مباركةً ﴾ اي مستلزمةً لزيادة الخير والثواب ﴿ طيبةً ﴾ اي تطيب بهـا نفس من يسمعها ممن يسـلم عليه * روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنهُ قال خدمت رسول الله صلى الله عليهِ وسـلم عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته لم فعلته ولا قال لي في شيء تركته لم تركته وكنت واقفاً على رأسهِ صلى الله عليهِ وسلم أصبُّ المـاء على يديه • فرفع رأسهُ اليَّ • وقال(ألا اعلمك ثلاث خصالٍ تنتفع بهنَّ) فقلت بأبي وأمي أنت يارسول الله بلى اي نعم فقال عليهِ الصلاة والسلام (متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليهِ يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الأوابين) *

فدل ذلك على أن السلام مشروع يحصل بهِ الأجر والثواب وأن العبد اذا قصد بهِ طاعة الله تعالى اكثر خيره واجزل اجره • قال العلماء اذا دخل أحدٌ بيتا ولم يجد فيهِ انساناً فليقل السـلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وكذلك اذا دخل المسجد ولم يجد فيهِ أحداً فليقل السلام على رسول الله وعلينا من ربنا لما روي أن الملائكة تردُّ عليهِ سلامه وان لم يكن في البيت الا الـكفار من أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى — ثم قال تعالى ﴿ كذلك يبين ﴾ اي يفصل ﴿ الله ﴾ تعالى ﴿ لـكم الآيات ﴾ اي الشرائع ﴿ لعلـكم تعقلون ﴾ اي لأجل أن تفهموا ما فيهـا من

الأحكام الالهية وتعملوا بموجبها فتفوزوا بالسعادة الابدية جعلنا الله تعالى واياكم من الفائزين ـ وبكتابهِ وسنتهِ عاملين امين *

الباب الثامن عشر في تفسير ما وردِ من الاوامر ﴿ في سورة الفرقان الى سورة السجدة ﴾

قوله تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾

لما كثر الاذي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار . امره الله سبحانه وتعالى بالتوكل عليه في دفع جميع الضرر وجلب جميع المنافع وان يتمسك بدوام التسبيح والتحميد . لتقتدي به أمته في التوكل على الله تعالى في دفع الضرر وجلب النفع . ولا يركنون الى اي مخلوقٍ مهما بلغ من الارتفاع وعلو الهمة . ادباً منه تعالى لهم فقال ﴿ وتوكل ﴾ يامحمد ﴿ على الحي ﴾ اي من له الحياة الازلية الابدية ﴿ الذي لايموت ﴾ وثق به في كل أمر وفوضه اليه . فظهر من هذا الامر الالهي الكريم انه لايصح لذي عقلٍ سليم ان يثق بمخلوق لانه اذا مات ذلك المخلوق يكون ضائعاً واما من كان حيا لا يموت ابداً يجب ان لا يوثق في جميع المصالح الا به . ولا يكون موصوفاً بهذه الصفة الا الله تعالى وحده . فيجب على العبد ان لايتوكل الا عليه ويترك من سواه من الأحياء الذين من شأنهم الموت واذا كان

كل من سواه من الاحياء ميت • وان حياته المقطعة لم تكن الا باحيائه تعالى وبه كان تحركه في عالم الموجودات • فلا يليق بالمؤمن أن يخاف الا منه تعالى لأن من سواه من المخلوقات لو اجتمعوا كلهم على ان يضروه بشيء لم يصبه منهم الا ما كتبه الله عليه • فعلى كل مؤمن عاقل ان يعتقد انه تعالى عالم بكل شيء وان يقنع بسؤاله تعالى عن سؤال غيره في دفع كل مكروه من اذية الخلق وفي مكافئتهم وجزائهم على اذيتهم لأنه تعالى هو القادر على مجازاتهم ولهذا لما اراد النمرود أن يلقي سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام في في النار جاءه جبريل فقال ألكَ حاجة يا ابراهيم • فقال اما اليك فلا • فقال له جبريل سل ربك • فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي • وبالجملة اصل التوكل أن يعلم العبد أن جميع الحوادث مستندة الى تكوين الله تعالى وايجاده • والعلم بذلك من أصول الايمان • وأما ما زاد عليه من الخوف من ربه • وزوال الخوف من غيره • فانه من مقام أهل الكمال • وهذا هو تصحيح مقام التوكل • ثم قال تعالى لنبيه ﴿ وسبح ﴾ يا محمد ﴿ بحمده ﴾ اي ونزهه تعالى عن صفات النقص • مثنياً عليه بنعوت الكمال • طالباً منه تعالى مزيد الانعام بالشكر على نعمه المتتابعة ﴿ وكفى به ﴾ اى وحسبك به ﴿ بذنوب عباده ﴾ ماظهر منها وما بطن ﴿ خبيراً ﴾ اي مطلعاً عليها بحيث لا يخفى عليه تعالى شيء منها فيجزيهم جزاءً وافياً انتهى *

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

أرشد الله سبحانهُ وتعالى عباده المؤمنين الى أن هذا الكتاب العزيز قانونٌ كليٌّ جامع لكل الحكم. وفيه شفاءٌ لصدور المؤمنين . فيجب تلاوتهُ مرة بعد أخرى . ليتنشر في جميع الناس احكامه ويتقلونه عن بعضهم من قرنٍ الى قرنٍ . فيأخذه قومٌ من قومٍ الى يوم البعث وذلك لأن فيه من القصص العجيبة التي من تأمل فيها علم أن الله تعالى نافذ القدرة قاهرٌ لكل جبارٍ . وفيه ايضاً من المواعظ ماتلين به القلوب القاسية. وتطمئن به القلوب اللينة . وعلى كل حال فان هذا الكتاب كالمسك يفوح طيبه لحظة فلحظة . وكالروض يستلذ به النظر ساعةً بعد ساعة . وفي هذه الآية أيضاً تسليةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نوحاً وغيره من النبيين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم كانوا على ماهو عليه من تبليغ الرسالة واقامة الأدلة . ومع ذلك لم ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة . ولهذا قال تعالى ﴿ اتل ﴾ اي اقرأ يامحمد ﴿ ما أوحي ﴾ اى ما انزل اليك بطريق الوحي ﴿ من الكتاب ﴾ اي

من هذا القرآن تقرباً الى الله تعالى بقراءته وتذكراً لما اشتمل عليه من المعاني لتذكر الناس بما يحملهم على العمل بما فيه من الاحكام والآداب ومكارم الاخلاق . ثم قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ وأقم الصلاة ﴾ اي وداوم على اقامة الصلاة . ولما كانت الصلاة شاملة للصلوات المكتوبة المؤدات بالجماعة . وكان أمره عليه الصلاة والسلام باقامتها أمراً لأمته في الحقيقة بها علل الله سبحانه وتعالى هذا الامر بقوله ﴿ ان الصلاة ﴾ المكتوبة ﴿ تنهى ﴾ اي تمنع ﴿ عن الفحشاء ﴾ اي الزنا وما اشبهه ﴿ والمنكر ﴾ اي المعاصي المتنوعةِ . ومعنى نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر انها سبب في الانتهاء عنهما لانها مناجاةٌ لله تعالى فلا بدَّ ان يكون المشتغل بها مقبلاً على طاعته اقبالاً تاماً ومعرضا عن معاصيه اعراضا كلياً . قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى الا بعداً وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبالٌ عليه *

وروى أنس رضي الله عنه ان شاباً من الانصار كان يصلي جميع الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يترك من الفواحش شيئاً الا ارتكبه فوصف حاله للنبي عليه الصلاة والسلام فقال ان صلاته ستنهاه فلم يمكث الا مدة يسيرة ثم تاب وحسن حاله واعلم ان في الجمع بين الامرين الامر بالتلاوة والامر باقامة الصلاة

حكمتين احدهما الزيادة في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فكانه قيل له اذا تلوت هذا القرآن ولم يقبل منك نصح فاقبل على الصلاة لانك واسطة بين الطرفين فان لم يتصل الطرف الذي هو من الخالق الى المخلوق فلا بد ان يتصل الطرف الآخر الذي هو من المخلوق الى الخالق • وثانيهما ان العبادات اما اعتقادية وهي لا تكرر بل تبقى مستمرة في القلب واما سياسية واما بدنية خارجية وهذه افضلها الصلاة• فأمر الله تعالى تكرير التلاوة واقامة الصلاة ليجمع العبد بينهما فيفوز بالفضيلتين وعلى كل حال فمن أراد المحافظة على الصلاة لابد ان يكون بعيدا عن القبائح مشتغلا بالطاعات وكيف لا يكون كذلك ونحن نرى ان من لبس ثوبا فاخراً فانه يتجنب مباشرة القاذورات فمن لبس ثوب التقوى كيف لايتجنب الفواحش فاذا صار العبد برعاية حقوق الصلاة وشروطها من اصحاب اليمين فكيف يتركه الله الكريم في اصحاب الشمال واعلم ان الصلاة لها هيئةٌ مخصوصةٌ فاولها وقوفٌ بين يدي الله تعالى كوقوف العبد بين يدي السلطان وآخرها جلوسٌ بين يدي الله كما يجلس اهل الاخلاص بين يدي السلطان واذا جلس العبد هكذا في الدنيا لم يجلس في الآخرة بهذه الحالة بل يكون مشمولا منه تعالى بتمام العناية وكمال النعمة • فالمصلي اذا قال الله أكبر وقرأ الفاتحة فقد نفى عن الله كل نقص وخصه بالألوهية ثم اذا وصل الى آخر الصلاة وهو أشهد ان لا اله الا الله فقد نفى ايضا عن الله كل شريك

وأثبت له الألوهية . لان اول الصلاة الله أكبر وآخرها السلام المشتمل على ذكر الله . انتهى

ثم ان الله سبحانه وتعالى كأنه قال للعبد المصلي أنت اذا وصلت الى هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد صلى الله عليه وسلم . فقل بعد ذكري أشهد أن محمداً رسول الله . واذكر احسانه عليك بالصلاة عليه في آخر صلاتك . ثم اذا تممتها ونزلت من معراج العلو حتى انتهيت الى اخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو عادة المسافرين اذا رجعوا من سفرهم . ثم قال تعالى ﴿ولذكر الله﴾ أي وللصلاة المشتملة على ذكر الله ﴿أكبر﴾ من جميع الطاعات . وتفسير الذكر بالصلاة يدل على أن ما فيها من ذكر الله تعالى هو السبب الأكبر في كونها رأس العبادات والحسناتِ ناهيةً عن السيئات ﴿ والله يعلم ما تصنعون﴾ اي من هذا الذكر ومن سائر الطاعات فيجازيكم احسن المجازاة . انتهى

﴿ الباب التاسع عشر في تفسير ما ورد من الاوامر ﴾ ﴿ من سورة الاحزاب الى سورة الزمر ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾

أمر الله تعالى في هذه الآية عباده المؤمنين عما يجب ان يكونوا محافظين عليه من الذكر الكثير ودوام التسبيح الدال على تعظيمه تعالى وتنزيه

داته عن كل نقص • ويلزم من كثرة الذكر ودوام التسبيح الاقبال على الله تعالى بجميع العبادات والتباعد عن السيئآت • ولهذا خاطب تعالى المؤمنين خاصة فقال ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ ايماناً يقينياً ﴿ اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ باللسان وحضور القلب والاخلاص مع تمام المناجات في السر • بحيث لاتشاهدوا في حالة ذكركم الا ذاته العلية وأنتم عارفون به • فيظهر حبكم له تعالى وبغضكم لغيره فان من أحب شيئاً أكثر من ذكره • ومتى ظهرت محبتكم له تكونوا من الاحرار المقربين فتتخلصوا من رق الاشرار المحرومين • ومتى كنتم من الاحرار تكفيكم هذه الاشارة الالهيـة فان الحر تكفيه الاشارة ولا يحتاج الى العبارة ﴿وسبحوه﴾اي ونزهوه تعالى عما لايليق به ﴿ بكرةً ﴾ أي في اول النهار ﴿ وأصيلا ﴾ اي في آخره • وانما أمر الله تعالى بالتسبيح في هذين الوقتين لظهور فضلهما على سائر الاوقات • فلا ينافي حينئذ أن التسبيح مطلوبٌ في كل وقتٍ انتهى

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ هُوَ الَّذي يُصلّي عَليكُمْ وَملائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالذكر الكثير طيب قلوبهم في هذه الآية فبشرهم انه سبحانه وتعالى يذكرهم هو وملائكته فيحمدون في

الطاعات حين ما يسمعون هذه البشرى التي هي صادرة من الغنيّ الكريم الذي لا يحتاج لعبادةِ عبدٍ من عبادهِ فقال ﴿ هو ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ الذي يصلي عليكم ﴾ اي يعتني بما فيه خيركم وصلاحُ أمركم هو ﴿وملائكته﴾ وصلاته عليكم كرماً منه تعالى وفضلاً لا وجوباً عليه لانهُ غني عن عملكم . واذا كان تعالى ليس محتاجاً الى عملكم واستم مستحقين لصلاته عليكم فحينئذ يجب عليكم المداومة على ما أمركم به من ذكره تعالى وتسبيحه . وانما يعتني سبحانه وتعالى هو وملائكته بأموركم ﴿ ليخرجكمْ ﴾ بذلك ﴿من الظلمات ﴾ اي من ظلمات المعصية ﴿ الى النور ﴾اي الى نور الطاعة . فانه تعالى لولا صلاته عليكم ماوفقكم لذكره . كما انه لولا وفقكم لمحبته لما اهتديتم الى محبته . فهو سبحانهُ وتعالى بأحوال عباده عليم ﴿ وكان ﴾ في الازل والابد ﴿ بالمؤمنين ﴾ اي بكافة المؤمنين الذين أنتم من جملتهم ﴿ رحيما ﴾ اي كثير الرحمة ولأجل ذلك يفعل بكم كل صلاح ويهديكم الى الايمان والطاعة اللذين هما طريقة الفلاح والفوز بالنجاح

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾

لما بشر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في الآيه السابقة بالفوز بآثار رحمته العاجلة في الدنيا بشرهم في هذه الآية بالفوز بسعادته

الآجلة وهو الذي يكون في الآخرة فقال ﴿ تحيتهم ﴾ اي ما يحيون به من الله ﴿ يوم يلقونهُ ﴾ اي يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة ﴿ سلام ﴾ اي تسليم عليهم من الله عزَّ وجل تعظيماً لهم او من الملائكة بشارةً لهم بالفوز بنعيم الجنة او بدخولها اكراماً لهم واخباراً لهم بالسلامة من كل مكروهٍ وآفة ﴿ وأعدلهم ﴾ اي وهيأ لهم ﴿ أجراً كريماً ﴾ اي جزاءً من الله يعطي لهم عفواً صافياً خالصاً لا كدر فيه من فيض رحمته الواسعة بعد دخول الجنة انتهى *

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾

أمر الله المؤمنين في هذه الآية بنوعٍ من أنواع الشفقةِ على الخلق وهو الرفقُ والشفقةُ بالزوجات المطلقات قبل الدخول بهن وبين لهم فيها انه لا تجب عليهن العدة في هذه الحالة فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ تقدم بيانه ﴿ اذا نكحتم ﴾ اي اذا تزوجتم النساء ﴿ المؤمنات ﴾ بمجرد العقد فقط ﴿ ثم طلقتموهن ﴾ طلاقاً رجعياً او بائناً ﴿ من قبل أن تمسوهن ﴾ اي تجامعوهن ﴿ فما لكم ﴾ اي فليس لكم ﴿ عليهن من ﴾

احصاء ﴿ عدة ﴾ من ايامٍ او من ثلاثِ حيضاتٍ ﴿ تعتدونها ﴾ اي تستوفون عددها ● وهذا يدل على ان العدة من حق الزوج لا من حق الزوجة واذا خلى الرجل بالمرأة بعد عقد النكاح ثم طلقها وجبت عليها العدة لان الخلوة حكمها حكم الجماع فحينئذ تجب عليهن العدة وانما خص الله المؤمنات بالذكر تنبيهاً منه تعالى على ان اللائق بالرجل المؤمن ان يتخير لنطفته كل صالحة من النساء ولا يتزوج الا مؤمنةً وان كان يجوز التزوج بالمرأة الكتابيه بخلاف الوثنية والمجوسية ونحوهما ممن ليستا من أهل الكتاب فلا يجوز التزوج بهن وفي هذه الاية الكريمة دليل على ان الرجل اذا علق الطلاق على الزواج بأن يقول ان تزوجتُ فلانةَ فهي طالق لايقع عليه الطلاق وتقدم في سورة البقرة ان المرأة اذا طلقت قبل الدخول بها يجب لها نصف المهر فان طلقتم النساء ولم يكن لهن مهر ﴿ فمتعوهن ﴾ اي فأعطوهن ما يستمتعنَ بهِ من مال او غيره ﴿ وسرحوهنّ ﴾ اي واخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة قبل الدخول بهن ﴿ سراحاً ﴾ اي اخراجاً ﴿ جميلاً ﴾ اي من غير ضرر ولا منع حق لهن فدلت هذه الاية الكريمة على تمام الشفقة والرفق بجميع النساء المطلقات لانهُ اذا وجب الاحسان اليهن بمجرد العقد فيكون الاحسان اليهن بعد الدخول اولى وقد مر حكم المطلقات بعد الدخول في سورة البقرة انتهى*

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

بين الله تعالى في هذه الاية كمال حرمته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم ورفعة قدره في الملأ الأعلى وهو العالم العلوي وأوجب فيها ايضاً حرمته وكمال تعظيمه في الملأ الادنى وهو العالم السفلي فقال ﴿ ان الله ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ وَملائكتهُ يصلون على النبي ﴾ اي يعتنون بما فيه الخير له وصلاح أمره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وهذا يكون من الله سبحانه وتعالى حاصلاً بالرحمة المقرونة بالتعظيم ويكون من الملائكة بالدعاء والاستغفار وعلى كل حال فالصلاة من الله تعالى هي الصلاة اللائقة بحضرته المقدسة المناسبة لحضرة النبوة المحمدية بحيث لايعلم كنه حقيقتها الا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فمن هذه الصلاة الامدادُ بالقرب والتأييدات وافاضة الكمالات وقد شرف الله تعالى الملائكة بضمهم مع نفسه بواسطة صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ اى صدقوا بالله ورسوله ﴿ صلوا عليه ﴾ اي اعتنوا انتم أيضاً بما يكون فيه كمال التعظيم له فانكم اولى به صلى الله عليه وسلم اوادعوا له بالرحمة ﴿ وسلموا ﴾

عليه ﴿ تسليماً ﴾ قائلين اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ونحو ذلك فان صلاتكم عليه علامة على محبتكم له وقبول هدايته وشريعته فيلزمكم ان تجتهدوا في كمال تعظيمه وان تخلصوا له في محبتكم لذاته وصفاته ومع هذا فصلاتكم عليه لاتعود فائدتها الا عليكم فيلزمكم حينئذٍ ان تشتغلوا بها لتفوزوا بفيض أنوارها وتغتنموا منافعها اذ لولاه ما اهتديتم وبالجملة فلا يوصف العبد بالهداية وكمال الايمان الا اذا كان معترفاً بتمام تعظيمه صلى الله عليه وسلم وكمال محبته والاعتقاد بأنه بريءٌ من كل نقص منزه عن كل عيب وفي هذه الاية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم من غير تخصيص بوقت وقال بعض العلماء تجب الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم من غير تخصيص بوقت وقال بعض العلماء تجب الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم كلما جرى ذكره في مجلس او نحوه .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ) وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال (وَكَلَ اللهُ تعالى بي ملكين فلا أُذكَرُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فَيُصَلِّي عَلَيَّ إلاَّ قَالَ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ غَفَرَ اللهُ لَكَ وَلَا أُذْكَرُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فلا يُصَلِّي عَلَيَّ إلاَّ قال ذَانِكَ الْمَلَكَانِ

لاَ غفرَ (١) اللهُ لكَ) *

وقال بعضهم يجبُ ذلكَ في كل مجلسٍ مرَّةً واحدةً وان تكرَّرَ ذكرهُ عليه الصلاة والسلام مراراً في ذلك المجلس • وكذلك تجب الصلاة عليه في اول كل دعاء وآخرهِ وقال بعضهم لايجب الا مرةً في العمر والذي يليق بعلو شأنه صلى الله عليه وسلم ويقتضيه الاحتياط في مرتبته العلية ان يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع • واما الصلاة عليه في التشهد الاخير من الصلاة فليست واجبةً وقال بعضهم بوجوبها وتسنُّ الصلاة على غيره من بقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام • واما غير الانبياء كأهل بيتهِ صلى الله عليه وسلم فتجوز عليهم تبعاً للصلاة عليه • واما الصلاة عليهم وحدهم فهي مكروهة لان الله تعالى خصص الامر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقط بقوله ﴿ان الله وملائكتهُ يصلون على النبي﴾ الخ ولم يذكر فيه الامر بالصلاة على أهل البيت خلافاً للشيعة الذين يوجبونها على عليٍّ وذريته رضي الله عنهم • لان الصلاة في العرف شعارُ الانبياء والمرسلين خاصٌ بهم • ولذلك كره ان يقال محمد عزَّ وجل مع كونه صلى الله عليه وسلم عزيزاً جليلا • لان هذا الثناء مختص بالله تعالى • وما ذكرناه في تفسير هذه الآية يكفي في معرفة مايتعلق بالصلاة عليهِ صلى الله عليه وسلم • وقد أفرد لها العلماء كتباً متعددةً انتهى *

---

(١) ومحل دعاء الملك عليه بعدم الغفران له اذا ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عمداً

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

بين الله في هذه الآية كمال رحمته وتمام رأفته واحسانه وفضله في حق من يؤمن به من عباده فقال ﴿ قل ﴾ أيها النبي لمن ارتكب ذنوباً من عبدي . ثم خاف من عقابي . ان الله تعالى لرحمته الكاملة ورأفته الشاملة يقول ﴿ يا عبادىَ ﴾ المؤمنين ﴿ الذين أسرفوا ﴾ أي أفرطوا في الجناية ﴿ على أنفسهم ﴾ بالاسراف في المعاصي ﴿ لا تقنطوا ﴾ اي لا تيأسوا ﴿ من رحمة الله ﴾ اي من مغفرته اوّلاً ومن تفضله ثانياً ﴿ ان الله يغفر ﴾ اي يستر ﴿ الذنوبَ جميعاً ﴾ اي كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها اذا تابوا منها توبةً قلبيةً مستوفيةً لشروطها ﴿ انهُ ﴾ تعالى ﴿ هو الغفور ﴾ لهم ﴿ الرحيم ﴾ بهم فلا يؤاخذهم عليها بعد توبتهم منها . وقد احتجت الاشاعرة من أهل السنة بهذه الآية على أن الله تعالى يعفو عن الكبائر ولو من غير توبةٍ لمن يشاء فقالوا لان الله تعالى لم يرد بلفظ العباد المذكور في القرآن الا المؤمنين فقط ولم يذكرهم الا في مقام التعظيم . ولأن المؤمن هو الذي يقر ويعترف بكونه عبداً لله . واما المشركون فانهم يسمون أنفسهم بعبد المسيح وعبد الصليب ونحو ذلك . فثبت ان قوله تعالى يا عباديَ لا يليق الا بخطاب المؤمنين

وقالت المعتزلة ان الله تعالى لا يعفو عن الكبائر الا بعد التوبة • ولا شك ان عدم اليأس من رحمة الله يكون مشروطاً بالايمان والتوبة • وقد اشتملت هذه الاية على سعة رحمة الله تعالى وتأكيدها بالمؤكدات الدالة على فضله تعالى وعموم احسانه • لان قوله يا عباديَ يدل على انه قد سمى المذنب عبداً • والعبوديةُ تشعر بالذل والاحتياج الى المعبود • واللائق بالكريم الرحيم أن يفيض رحمته واحسانه على المساكين • واضافة العباد المذنبين اليهِ في قوله يا عباديَ تدل على تشريفهم • ثم وصفهم سبحانهُ وتعالى بقوله الذين أسرفوا على أنفسهم فكأنهُ يقول يكفيهم من تلك الذنوب أن ضررها عائد عليهم لا عليّ ثم نهاهم عن اليأس من رحمته • فهو في المعنى يأمرهم بالرجاء لكرمه والكريم اذا أمر بالرجاء لا يليق بهِ الا الكرمُ والاحسانُ واللطف انتهى *

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾

ثم انهُ تعالى بعد ما بين سعةَ رحمتهِ واكدها بأنواعِ التأكيداتِ في الاية السابقةِ بين في هذه الاية أنهُ تعالى وان كان يغفر جميع

الذنوب لكنهُ شديدُ العقاب • فيجب أن يكون رجاء المؤمن لرحمته مقروناً بخوفهِ منهُ • فلذا امر بالتوبة فقال ﴿ وأنيبوا ﴾ اي وتوبوا ﴿ الى ربكم ﴾ أي خالقكم ﴿ وأسلموا ﴾ اي وأخلصوا ﴿ له ﴾ تعالى في العمل ﴿ من قبل ان يأتيكم العذاب ﴾ اي في الدنيا كما اتى الذين من قبلكم من الامم السابقة •او أن المراد بالعذاب الموتُ لأنهُ من أهوال الآخرة ﴿ ثم لا تنصرون ﴾ اي ثم لا تجدون لكم ناصراً غير الله تجوز الاشاعرةُ ايضاً ان يدخل مرتكبُ الكبيرةِ النارَ مدة ثم يخرج منها • ومع جواز هذا العذابِ لمرتكبِ الكبيرةِ يجبُ عليهِ الميل الى التوبة والاخلاص لله في العمل • ثم ان الخوف لأجلِ التقصير في الطاعاتِ يكفي عن الخوف لأجل ارتكاب المعصية والاولُ مقامُ الصديقين والثاني مقامُ المسيئينَ انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ

المُحْسِنِين ﴾

ثم ان الله سبحانهُ وتعالى أمرنا بعد التوبة باتباع ما هو أنجى وأسلم لنا من المواظبةِ على الطاعةِ وفعلِ المأموراتِ واجتنابِ المنهيات فقال ﴿ واتبعوا ﴾ يا عباد الله ﴿ أحسن ما انزل اليكم من ربكم ﴾ وهو القرآنُ الكريمُ ﴿ من قبل ان يأتيكم ﴾ من عند الله ﴿ العذابُ بغتةً ﴾ أي في غيرِ وقتٍ تظنون أنهُ يأتيكم فيه ﴿ وأنتم لاتشعرون ﴾ بمجيئه فلا يمكنكم أن تتداركوا ما فاتكم من التفريط لتستعدوا الى ما يدفعه . وانما أنذرناكم العذاب المذكور لأجل ﴿ أن ﴾ لا ﴿ تقول نفس ﴾ مفرّطةٌ في ايمانها ﴿ يا حسرتى ﴾ اي يا ندامتي احضري فهذا أوان حضورك ﴿ على ما فرطت ﴾ أي على تفريطي وتقصيري ﴿ في جنب الله ﴾ أي في جانبه وحقه وطاعته ﴿ وان كنت ﴾ في الدنيا ﴿ لمن الساخرين ﴾ اي من المستهزئين بدين الله وأهله ﴿ اوتقول ﴾ نفسٌ مسرفةٌ على نفسها ﴿ لو أن الله ﴾ تعالى ﴿ هداني ﴾ اي ارشدني الى دينه ﴿ لكنتُ من المتقين ﴾ للشرك والمعاصي ﴿ او تقول ﴾ نفسٌ مدبرةٌ عن الحق ﴿ حين ترى العذاب ﴾ اي عذاب الله تعالى ﴿ لو أن لي كرةً ﴾ اي رجعةً الى الدنيا ﴿ فأكون من المحسنين ﴾ في العقيدة والعمل . انتهى

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ

الْكَافِرِينَ ﴾

ثم ذكر سبحانهُ وتعالى الجوابَ الذي يجاوب بهِ صاحبَ القولِ الثاني والثالث فقال ﴿ بلى قد جاءتك ﴾ أيها المحتج على الله بعدم هدايته لك والمتمني على الله الرد الى الدنيا لتكون فيها من المحسنين ﴿ آياتي ﴾ اي حججي من رسولٍ ارسلتهُ اليك وكتابٍ أنزلته يتلي عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير ﴿ فكذبت بها ﴾ اي بآياتي وأعرضت عنها ﴿ واستكبرت ﴾ عن قبولها واتباعها ﴿ وكنت من الكافرين ﴾ اي ممن يعمل عمل الكافرين ويسلك طريقتهم . فلا فائدة في الندم والرجعة الى الدنيا. انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

ثم بين الله تعالى في هذه الآيةِ بعضاً من أنواع العذاب الذي يكون على هؤلاء الخاطئين فقال ﴿ ويوم القيامة ﴾ اي يوم العرض على العزيز الجبار ﴿ ترى ﴾ يا محمد هؤلاء ﴿ الذين كذبوا على الله ﴾ فزعموا أن له ولداً وأن له شريكاً وعبدوا آلهةً غيرهُ ﴿ وُجوههم مسودةٌ ﴾ اي مظلمة عليها غبرة الجهل والكفر ﴿ أليس في جهنم ﴾ التي هي محل غضب الجبار ﴿ مثوى ﴾ اي مأوًى ومسكن ﴿ للمتكبرين ﴾ عن توحيدِ اللهِ

وعن طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه • ولا يدخل في الكذب ما اختلف فيه أئمة الاسلام من المسائل الدينية المتعلقة بالتوحيد او الفقه • ولا شك ان الجهلَ والاخبارَ بغير الحق ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة كلها ظلماتٌ داخلةٌ في الكذب • كما ان العلم والاخبار بالحق ونحوهما من الاخلاق المحمودة كلها انوارٌ داخلةٌ في الصدق انتهى *

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

ثم وصف الله سبحانهُ وتعالى في هذه الآية حال المتقين في يوم القيامة فقال ﴿ وينجي الله ﴾ من جهنم ﴿ الذين اتقوا ﴾ الشرك والمعاصي في الدنيا ﴿ بمفازتهم ﴾ اي بفلاحهم وفوزهم بالمطلوب الذي هو الجنة ﴿ لا يمسهم ﴾ في دار رضوانه ﴿ السوء ﴾ فيؤلمهم ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على مافاتهم من نعيم الدنيا • لما صاروا اليه من كرامة الله ونعيم الجنان

﴿ الباب العشرون في تفسير بعض الأوامر التي وردت ﴾
﴿ من سورة غافر الى سورة الحجرات ﴾

قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

ارشد الله سبحانهُ وتعالى عباده في هاتين الايتين الى مايدل على كمال قدرته وتمام حكمته . ليستدل العاقل بهما على انه لايجوز جعل الاحجار والاخشاب المصورة شركاءله تعالى في العبودية فقال ﴿هو﴾ الله ﴿الذي يريكم آياته﴾ اي حججه الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالألوهية لتستدلوا بها على عظم شأنه وتوحده في ذاته وصفاته وأفعاله وتعملوا بموجبها فتخصوه بالعبادة ﴿ وينزل لكم﴾ ايها الناس ﴿ من السماء رزقاً﴾ اي سبب رزقٍ وهو المطرُ وانما خص سببَ الرزقِ بالذكر هنا مع كونه من جملة الايات الدالة على كمال قدرته تعالى لأنه من آثار رحمته ووافر نعمته الموجبة لشكره تعالى ﴿ وما يتذكر﴾ اي وما يتفكر في تلك الايات الباهرة ولا يعمل بموجبها ﴿ الا من ينيبُ ﴾ اي الا من يرجع الى الله تعالى بالتوحيد والاقبال على طاعته ويتفكر فيما اودعه في عجيب مصنوعاته مما يدل على كمال قدرته وشمول نعمته الموجبة لتخصيص العبادة بهِ تعالى . ومن لم يكن راجعاً اليه تعالى فهو بعيد عن التذكر والاتعاظ

(فصل) اعلم انهُ لما كانت رعاية مصالح الأديان ومصالح الأبدان اهمَّ المهمات . راعى الله سبحانهُ وتعالى مصالح أديان العباد باظهار الحجج والايات البينات . وراعى مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السماء فمنفعة الايات للاديان كمنفعةِ الأرزاقِ في الأبدان . فتكون الايات سبباً لحياة الأديان كما ان الارزاق سببٌ لحياة الابدان .

واذا حصل للعبد هاتان الحياتان يكون قد تم له الانعام وكل المرام
ثم ان الوقوف على دلائل توحيده تعالى كالامر الثابت في العقل ثبوتاً
مستمرا الا أن من أشركوا به واشتغلوا بعبادة غيره منعهم شركهم
واشتغالهم بغيره من تجلى تلك الأنوار على بصائرهم • فاذا أعرض
العبد عن ذلك ورجع الى الله تعالى زال عنه الغطاء وانكشفت له
الحقيقة وفاز فوزاً عظيما • — ولما بين الله تعالى هذا المعنى لعباده
أرشدهم الى ماهو مطلوب لهم • وهو الاعراض عن غيره والاقبال
بالكلية عليه تعالى فقال ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ اي اذا
كان • التذكر مختصاً بمن ينيب اليه تعالى فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين
له في دينكم بسبب رجوعكم اليه تعالى وايمانكم به ﴿ ولو كره
الكافرون ﴾ منكم ذلك وغاظهم أخلاصكم • — انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

لما كان الانسان لاينتفع في يوم القيامة الا بالطاعة فيكون الاشتغال
بها من اهم المهمات • امر الله تعالى في هذه الآية بأشرف انواعها
وهو الدعاء والتضرع اليه تعالى فقال ﴿ وقال ﴾ لكم ﴿ ربكم ﴾ ايها

إلفساد ﴿ ادعوني ﴾ اى اسئلوني واطلبوا مني مافيه الحكمه والمصلحة لكم وانتم معترفون بالذلة والمسكنة والعبودية والاخلاص الي غير معتمدين على مالكم او جاهكم او اقاربكم او اصدقائكم او جدكم واجتهادكم فانكم ان دعوتموني على هذا الشرط ﴿استجب لكم﴾ اي اجب سؤالكم ﴿ ان الذين يستكبرون ﴾ اي يتعاظمون ﴿عن عبادتي ﴾ اي عن دعائي الذي هو اعظم ابواب عبادتي فلا يدعوني بالتضرع والخضوع بل تتصف انفسهم بصفة التكبر والعلوّ ﴿سيدخلون جهنم داخرين ﴾ اي صاغرين مقهورين لان الكبرياء والعظمة من صفات الله تعالى فمن نازعه في صفته استحق هذا العذاب .

وهاهنا سؤال مشكل مشهورٌ . وهو ان الله تعالى قال في هذه الآيه (أدعوني استجب لكم). وقال في سورة البقره(اجيب دعوة الداع اذا دعان) .وهذا القول يدل على ان الداعى يجاب في دعائه من غير تأخير مع انا نري الداعى يكثر من الدعاء و يلح فيه ويكثر من التضرع وهو لا يجاب في دعائه . ﴿والجواب ﴾ ان الداعى اذا دعا لابدّ وان يجد بدل دعائه عوضاً من الله تعالى وذلك العوض اما ان يكون اسعافاً بما طلبه من ربه بهذا الدعاء وهذا لايتم له الا اذا وافق القضاء الازلي. واما اذا لم يساعده القضاء الازلي فانه يعطي سكينة في نفسه وانشراحاً في صدره وصبرا يسهل عليه تحمل البلاء الحاضر الذى كان الدعاء لاجل رفعه وعلى كل حال لايحرم الداعى من فائدة ابداً وهذا كله يعد اجابةً لدعائه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(دَعْوَةُ الْمُسْلِمِ لاَ تُرَدُّ إِلاَّ لِإِحْدَى ثَلاَثٍ)

مالم يدعُ بأثمٍ او قطيعـةِ رحمٍ اما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخرَ له في الآخرة ٠ واما ان يصرف عنـهُ من السوء بقدر مادعا وهذا الحديث كشف الاشكال عن هذا السؤال و بينه أتم بيان ٠ لأنهُ تعالى قال ﴿ ادعوني استجب لـكم ﴾ مطلقاً ولم يقـل أستجب لـكم في الحال ٠ فاذا استجاب للداعي ولو في الآخرة كان الوعـد صـدقاً من غير شكٍ (١)ثم ان شرط الداعي أن يكون عارفاً بر به٠ ومن صفات الرب سبحانهُ وتعالى أنهُ لايفعل الا ماوافق قضائه وقدره وعلمه وحكمته وارادته٠لأن قوله تعالى(أدعوني استجب لـكم) يدل على هذا الشرط ٠ فاذا كان العبد عارفاً بر به وتيقن أنهُ لايفعل الا ما كان موافقاً لقضائهوقدره لايصح منهُ أن يقول بقلبهِ و بعقله أسئلك

(١) وشروط قبول الدعاء ان يكون الداعي صالحاً تقياً ويكون دعائه معقولاً موافقاً لآداب الشريعة بخلاف ما اذا كان الداعي من الذين يأكلون اموال الناس بالباطل لاسيما اموال اليتامى ٠ او ممن يتعاملون بالربا وما أشبه ذلك من المحرمات ولا سيما حقوق العباد فلا فائدة في دعائهـم ولا اجابة لهـم فيه قطعاً الا بعد التوبة المستوفيـة لشروطها الشرعية لا بمجرد كلمة (استغفر الله)ولو قاله مأة ألف مرة

يارب أن تفعل لي الفعل الفلاني من غير تأخير بل لا بد وأن يقول اللهم افعل لي هذا الفعل ان كان موافقا لقضائك وقدرك وارادتك وحكمتك واذا لم يكن الداعي عارفاً بربه لم يكن داعياً له بل يكن داعيا لشيء متخيل لا وجود له قطعاً وقال أكثر المفسرين المراد بالدعاء العبادة واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام (الدعاء مخ العبادة) و بقوله صلى الله عليه وسلم أيضا (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ هذه الآية فقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة معناه أنهُ معظم العبادة وأفضلها • واذا ثبت أنَّ الدعاء عبادةٌ فتكون اجابته محققةً • لانهُ تعالى ضمن للمطيعين حسن الثواب ودفع العقاب انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ • فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

أرشد الله تعالى في هذه الآية عباده المؤمنين الى السعي بين اخوانهم في الصلح اذا حصل بينهم قتالٌ او غيظ يؤدي الى القتال و بين فيها

أيضاً أنه اذا بغى فريقٌ من المؤمنين على فريقٍ آخرَ منهم يجب على المسلمين مقاتلته حتى يرجع عن بغيه ثم يصلحوا بين الفريقين بحكم الله تعالى فقال ﴿ وان طائفتان ﴾ اي فريقان ﴿ من المؤمنين ﴾ اي اهلِ الايمان ﴿ اقتتلوا ﴾ اي ان حصل بينهم قتالٌ ومشاجرةٌ ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى ﴿ فان بغت ﴾ اي تعدت ﴿ احداهما ﴾ اي احدى الطائفتين ﴿ على ﴾ الطائفة ﴿ الأخرى ﴾ ولم تقبل النصيحةَ والدعاءَ الى حكم الله تعالى بل استمرت على القتال وامتنعت من الصلح ﴿ فقاتلوا ﴾ أيها المسلمون تلك الطائفة ﴿ التي تبغي ﴾ اي تتعدى ﴿ حتى تفيءَ ﴾ اي ترجع ﴿ الى أمر الله ﴾ اي الى حكمهِ الذي أمر به ﴿ فان فاءت ﴾ اي فان رجعت الى حكم الله وامتنعت عن القتال خوفا من قتالكم ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ اي بين هاتين الطائفتين ﴿ بالعدل ﴾ اي بفصل ماوقع بينهما من الشر على حكم الله تعالى ولا تكتفوا برجوعها عن القتال خوفاً من أن يقع بينهما قتالٌ في وقت آخر ﴿ وأقسطوا ﴾ اي وأعدلوا في الصلح بينهما من غير جورٍ على احداهما ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ اي العادلين فيجازيهم على عدلهم أحسن الجزاء واعلم ان البغاة في اصطلاح الفقهاء فرقةٌ خالفت الامام محتجةً عليهِ بتأويلٍ باطلٍ بطلاناً بحسب الظن لا القطع ولا يقاتلهم الامام الا اذا كانوا أصحاب شوكة وعدد لايمكن للامام دفعه الا ببذل مال او تجهيز جيش لقتالهم أما اذا كانوا أفراداً قليلين لايحتاج الامام في دفعهم الى ماذكر فليسوا

اهل بغي . واتفق الاكثرون على أن البغاة ليسوا بفسقةٍ ولا كفرةٍ والتأويل الذي يحتج به البغاة على الامام كاعتقاد الخوارج أن علياً كرم الله وجهه يعرف الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه . وكان يقدر على دفعهم ولم يقتص منهم لاتحاده معهم على قتله فخالفوا أمره لذلك . واتفق الأئمة على أن معاوية وأصحابه كانوا بغاة على عليّ واستدلوا بالحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم (انَّ عماراً تقتلهُ الفئةُ الباغيةُ) يعني عمار بن ياسرْ وكان من أصحاب عليٍّ فقتله أصحاب معاوية . انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

لما بين الله تعالى في الآية السابقة أنهُ يجب على المؤمنين اصلاح الخلل الواقع بين الطائفتين منهم بين في هذه الآية انهُ يجب عليهم اصلاح الخلل الواقع بين اثنين من المؤمنين كالتشاتم والسفه ونحو ذلك فقال ﴿ انما المؤمنون ﴾ اي المصدقون بوحدانية الاله ونبوة نبيه ﴿ اخوةٌ ﴾ اي حالهم كحال الاخوة بالنسب . لأنهم منتسبون الى أصلٍ واحدٍ وهو الايمان الموجب الى الحياة الأبدية ﴿ فأصلحوا ﴾ يا أهل الايمان ﴿ بين أخويكم ﴾ بايصال المظلوم الى حقه وباستعمال الطرق المحمودة

مع الظالم حتى يرجع عن ظلمه ليرتفع عنه اثم الظلم -

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(أَلْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَيَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَبِيعُهُ وَلاَ يَتَطَاوَلُ عَلَيْهِ فِي الْبُنْيَانِ فَيَسْتُرُ عَنْهُ الرِّيحَ إِلاَّ بِإِذْنِهِ وَلاَ يُؤْذِيهِ بِقُتَارِ قِدْرِهِ) أي بانحطاط قدره *

ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد هذا الكلام (احفظوا ولا يحفظ منكم الاقليل) وهذه الآية الكريمة ترشد الى انه لا أخوة الا بين المؤمنين فقط واما المؤمن والكافر فليست بينهما أخوة . ولهذا اذا مات المسلم وكان له أخ كافر لا يرثه ذلك الاخ الكافر ويكون ماله للمسلمين. ثم قال تعالى ﴿ واتقوا الله ﴾ في كل مايقع منكم من الأفعال التي من جملتها ما أمرتم به من الاصلاح ولا تهملوا فيما يرشدكم اليه ربكم فتكدروا نور ايمانكم برضاكم بالمفسدة بين اخوانكم وترك الاصلاح لأن هذا يدل على ضعف محبتكم في الدين الذي يدل على احتجابكم عن وحدة اليقين فليكن عزمكم دائما على فعل ما يرضى به خالقكم ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ بافاضة نور الكمال عليكم وقرب ذي الجلال اليكم . فان من اتق الله شغلته تقواه عن الاشتغال بغيره تعالى

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(المُسلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)
وذلك لأن المسلم يكون ممتثلاً لأمر الله مقبلاً على عادته • وبهذا يشتغل بعيوبه عن عيوب الناس ولا يرضا باهانة أخيه المؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم مشيراً الى ذلك(المؤمنُ من يأمنْ جارهُ بوائقهُ) اي شروره وأذيته • وعلى كل حال فالعداوة التي ينشأ منها القتال بين المؤمنين انما تكون لأجل الميل الى الدنيا ومطاوعة النفس والهوى والركون الى الجهة السفلية والتوجه الى المطالب الدنيئة والاصلاح بين المؤمنين انما يكون من لوازم العدالة في النفس التي هي منشأ المحبة الموجبة لاشراق نور التوحيد والبعد عن الظلمة • فلذلك أمر الله تعالى المؤمنين الموحدين بالاصلاح بين الطائفتين اذا اقتتلتا على تقدير بغيهما جميعاً • وأمرهم تعالى أيضا أن يقاتلوا الطائفة الباغية اذا بغت احداهما على الأخرى حتى ترجع هذه الطائفة عن بغيها الى حكم الله وانما أمرهم تعالى بقتال الطائفة الباغية لكونها مضادةً للحق ومعاندةً له كما خرج عمار مع عليّ لقتال أصحاب معاوية مع أنهُ كان شيخاً كبيراً ضعيفاً عن القتال ولكونهِ قصد اعلام الناس أنهم هم الفئة الباغية كما أخبر الصادق الأمين صلى الله عليهِ وسلم بأن عماراً تقتله الفئة الباغية • وانما أمر الله تعالى بالصلح بالعدل في القسم الثاني وهو ما اذا

كانت احدى الطائفتين هي الباغية ولم يقيد بالعدل في القسم الأول
وهو ما اذا حصل البغي من الطائفتين معا لان بغي الطرفين يملأ
الصدور غيظا ويهيج النفوس على الظلم فنهاهم الله تعالى عن البغي •
وأمر المؤمنين بالاصلاح بينهما لأن الاصلاح لا يكون من العدالة
الخالصة في ازالة الجور الا اذا كان خاليا من الأغراض النفسانية
ومن رعاية المصلحة الدنيوية • ولذلك قال الله تعالى ان الله يحب
المقسطين • فبين أن المحبة الالهية انما تكون من العدالة وان الاصلاح
اذا لم يكن ناشئاً من عدالةٍ لم يكن عن محبةٍ فلا يحبُّ الله فاعليهِ لان
محبة الله لهم تقتضي محبتهم له ومحبتهم له تقتضي حصول العدالة منهم
في الصلح • وتقتضي محبتهم أيضاً للمؤمنين فلو أحبهم الله تعالى
لأحبوه • ولو أحبوه لأحبوا المؤمنين وسلكوا طريق العدالة ثم بين
تعالى أن الايمان الذي أقل مرتبته التوحيد والعمل يقتضي الاخوّة
الحقيقية بين المؤمنين لأن قرابته أصليةٌ حقيقيةٌ تزيد عن القرابة
النسبية الولادية الصورية لانها تقتضي المحبة القلبية اللازمة للاتصال
الروحاني بالمقام الالهي بخلاف القرابة النسبية فانها تقتضي المحبة النفسانية
اللازمة للاتصال الجسماني بالجهة السفلية • فحينئذ يكون اللائق بأهل
هذه القرابة الايمانية العمل بقانون العدالة التي من لوازمها الاصلاح
فيجب على أهل الصفاء بمقتضى الرحمة والرأفة والشفقة اللازمة للاخوة
الحقيقية الاصلاح بين اخوانهم المؤمنين وردّهم الى الصفاء • ـ

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾

أمر الله في هذه الآية الكريمة باجتناب سوء الظن بالمؤمنين المخلصين في إيمانهم . وحذرهم منه أبلغ تحذير . ثم أمر فيها أيضا بعدم البحث عن عورات المؤمنين . وبين أنها من أخبث الأقوال وأصعب الأحوال وأسوء الأخلاق فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ بالله ورسوله إيماناً كاملا ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ أي كونوا على جانب كثيرٍ من الظن وهو ظن السوء بالمؤمنين ولا تقربوه . بل تروَّوا وتأملوا في كل ما تظنونه حتى تعلموا أنه من أي نوع من انواع الظن ف ﴿ ان بعض الظن إثم ﴾ اي ذنب يعاقب الله عليه . وذلك كسوء الظن به تعالى و بأهل الصلاح . فعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (وان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء) فبين ان الظن الذي أمر الله باجتنابه في الآية هو

ما ذكر من سوء الظن بالله و بالصالحين من عباده • وقد يكون الظن واجبا لحسن الظن بالله وبالمؤمنين لما جاء في الحديث القدسي (انا عند ظن عبدي بي ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لايموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله) وقال صلى الله عليه وسلم (ان حسن الظن من الايمان) وقد يكون الظن مندوبا • وهو سوء الظن بمن يكون متظاهراً بالفسق وهذا الظن هو الذي أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله (من الحزم سوء الظن) اي بمن يتظاهر بالفسق وقال صلى الله عليه وسلم مشيرا اليه أيضا (احترسوا من الناس بسوء الظن) وقد يكون الظن مباحا كالظن في مسائل الفقه الاجتهادية ثم قال تعالى ﴿ ولا تجسسوا ﴾ اي ولا تبحثوا عن عورات المؤمنين بل خذوا ما ظهر ودعوا ماستره الله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في بعض خطبه (يامعشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لاتتبعوا عورات المسلمين • فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتي يفضحه ولو كان في جوف بيته) •

ثم قال تعالى ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ اي ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال (ان تذكر اخاك بما يكره فان كنت صادقا اغتبته وان كنت كاذباً فقد بهتـه) اي نقصت من قـدره ثم مثل تعالى ماينا له المغتاب من عرض اخيـه المؤمن فقال ﴿ ايحب احدكم ﴾ ايها الناس

﴿ أن يأكل لحم أخيه ﴾ المؤمن حال كونه ﴿ ميتاً ﴾ بل لا ترضي هوسكم اكله ﴿ فكرهتموه ﴾ اى فقد جبلتم على كراهته وحيث كرهتم أكل لحم أخيكم المؤمن وهو ميت فاكرهوا الغيبة لان عقوبتها أشد. فالواجب على كل مسلم أن لا يسمع لمغتاب غيبةً في حق أحد وان كان ما يقوله حقاً . ولا يساعده وان قصد تعيبه صدقا . فان هذا يعد من سوء الادب ونقص الايمان وعدم المروءة . لان المغتاب اذا كان صادقا فقد اظهر قبيحا كان مستورا . وفضح سرا كان مكتوما وان كان كاذباً فقد ارتكب حرمتين حرمة الكذب وحرمة الغيبة . فلو لم يكن في الغيبة من المذام والقبائح الا ماشبهها الله به من اكل لحم الانسان الميت لكان ذلك كافٍ في ذمها وقبحها . وبعد ان نهى الله سبحانهُ وتعالى عن الغيبة ومثلها بأقبح مثالٍ وأتبعه عقب ذلك بالأمر بالتقوى والترغيب في التوبة فقال ﴿ واتقوا الله ﴾ اي اخشوهُ وراقبوه فيما أمركم به ونهاكم عنهُ وتوبوا اليه مما فرط منكم من غيبةٍ أو نحوها فـ﴿ ان الله تواب ﴾ اي كثير التوبة على من تاب اليه ﴿ رحيم ﴾ بمن رجع اليه . لانهُ يجعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له . ولا يخص ذلك بتائبٍ دون تائبٍ بل يعم جميع التائبين بقبول التوبة وان كثرت ذنوبهم . ثم ان التوبة من الغيبة تكون برجوع المغتاب عن الغيبة . والندم عليها . والعزم على أن لا يعود اليها وأن يستسمح من اغتابه ويسنُّ له أن يذكر من اغتابه بالخير والثناء عليه في المجالس التي كان يذمه فيها حتى يذهب ما كان في قلبه من

الحقد والغش له • ويبدل بالاخلاص والصفاء من جهته والله اعلم انتهى *

﴿ الباب الحادي والعشرون في تفسير بعض الأوامر ﴾
﴿ التي وردت في القرآن من سورة ق الى آخر الكتاب الكريم ﴾

﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ • يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ • إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ • يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ • نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾

أرشد الله تعالى في هذه الآية الكريمة عباده الى أن يوم القيامة فيهِ أهوالٌ مفزعةٌ وأحوالٌ مخيفةٌ يشيب منها الوليد • ويصعق منها كل قلبٍ حديدٍ يومٌ تشخص فيهِ الأبصار • وتكشف فيهِ الأستار • وتظهر فيهِ الذنوب • وتترادف فيهِ العيوب • فقال تعالى لنبيه صلى الله عليهِ وسلم ﴿ واستمع ﴾ يامحمد لما يوحى اليك من اهوال القيامة واحوالها ﴿ يوم ينادِ المناد ﴾ وهو اسرافيل او جبريل عليهما السلام فيقول في ندائه أيتها العظامُ الباليةُ • واللحومُ المتمزقةُ • والشعورُ

المتفرقةُ • انّ الله يأمركنّ أن تجتمعَ لفصل القضاء • وقيل ان اسرافيل ينفخ في الصور وجبريل ينادي بالحشر ﴿من مكانٍ قريب﴾ بحيث يصل نداءه الى كل الخلق مع استوائهم في السماع حتى قيل ان النداء يكون من منابت شعورهم فيسمعونهُ من كل شعرة واعادة الخلق بعد موتهم مثل كنْ في البدء فتجمع عظامهم وتكسى باللحم. وتنبت شعورهم وتكمل صورتهم الدنيوية في لحظة واحدة بقدرة الله تعالى ﴿ يوم يسمعون الصيحة ﴾ اي النفخة الثانية متصلة ﴿ بالحق ﴾ الذي هو البعث ﴿ ذلك ﴾ اي يوم سماع الصيحة هو ﴿ يوم الخروج ﴾ للناس من قبورهم ﴿ انا نحن نحيي ﴾ في الدنيا ﴿ ونميت ﴾ فيها من غير أن يشاركنا أحد في ذلك ﴿ والينا المصير ﴾ اي مصير الخلق في الآخرة لفصل القضاء والجزاء الينا خاصة وليس لغيرنا فيهِ شأنٌ من الشؤون ﴿ يوم تشقق ﴾ اي تنشق ﴿ الارض عنهم ﴾ اي عن العباد فيخرجون منها ﴿ سراعاً ﴾ اي مسرعين ﴿ ذلك حشرٌ ﴾ اي بعثٌ وجمعٌ وسوقٌ ﴿ علينا يسير ﴾اي هينٌ سهلٌ ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ اي بما يقوله الكافرون من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لاخير فيهِ لهم بل هو شرٌّ عليهم ﴿ وما أنت ﴾ ايها النبي ﴿ عليهم بجبار ﴾ اي بمتسلط تقهرهم على الايمان او تفعل بهم ماتريد من انواع العقاب • وانما انت مذكر ﴿ فذكر ﴾ اي فعظ ﴿ بالقرآن ﴾ الذي انزلناه اليك ﴿ من يخاف وعيد ﴾ من المؤمنين • واما غيرهم من المعاندين فنحن نفعل بهم ماتوجبه اقوالهم وتستدعيه

اعمالهم من انواع العقاب واصناف العذاب ـ انتهى

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

ادب الله تعالى في هذه الآية الكريمة عباده المؤمنين أدباً حسناً وأمرهم فيها بحسن المعاملة والمجادلة ورعاية الأدب في حق بعضهم • لان ذلك يكون سبباً للمودة والتوافق وطرح البغض والحسد لبعضهم كما أفاده الله تعالى بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا ﴾ اي توسعوا ﴿ في المجالس ﴾ وليفسح بعضكم عن بعض ولا تلتصقوا ﴿ فافسحوا ﴾ اى فوسعوا ﴿ يفسح الله ﴾ اي يوسع الله ﴿ لكم ﴾ في كل ماتريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها فوعد الله تعالى من تأدب بهذا الادب الكامل وتخلق بهذا الخلق الفاضل ان يجازيه من حسن عمله فيوسع عليه في رزقه وصدره وقبره وفي منزله وفي الجنة • واعلم ان هذه الآية تدلّ على أن كل من

وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة • ولا ينبغي للعاقل أن يجعل هذه الآية مخصوصةً بالتفسح في المجالس فقط • بل المراد منها ايصالُ الخير الى المسلم وادخالُ السرور عليه في قلبه • ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام (لا يزال الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم) هذا ما أمر الله تعالى به في هذه الآية من التوسعة في المجلس • وأما القيام منه للقادم فقد جوزه بعض العلماء اذا كان القادم عظيم المنزلة لقوله عليه الصلاة والسلام (قوموا الى سيدكم) ومنهم من منعه لقوله عليه الصلاة والسلام (من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوء) اي فليتهيئ و ينتظر مقعده من النار *

ومنهم من فصل في المسئلة فقال اذا كان القادم مقبلا من سفره او كان حاكما وقدم في محل ولايته فيجوز القيام ليكون ذلك اشد لحكمه و باعثا على توقيره وتعظيمهِ وهيبتهِ في قلوب الناس • واما في غير ذلك فلا يجوز القيام • لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يقومون للنبي صلى الله عليهِ وسلم اذا قدم عليهم مع انه لم يكن احد من الناس احب اليهم ولا اشد هيبةً في قلوبهم منه • والسبب في عدم قيامهم له أنهم كانوا يعلمون كراهتهُ لذلك • والقادم نفسهُ لايجوز له أن يقيم احداً من مجلسهِ ليجلس مكانهُ

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(لَايُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا)

فظهر أن الذي يؤخذ من صريح هذه الآية انه اذا كان جماعة في مجلس وقدم عليهم واحد او جماعة اخرى وكان في المكان ضيق وطلب القادم او القادمون التوسع فيه اولم يطلبوا فيجب على الجالسين ان يوسعوا لهم مسرعين في ذلك سواء كان المجلس مجلس ذكر او تعليم او صلاة جماعة او جمعةٍ او غير ذلك من مجالس الخير كما امر الله تعالى عباده المؤمنين بذلك ووعدهم على امتثاله برفعة درجتهم في مقام الرضوان فقال ﴿ واذا قيل ﴾ لكم ايها المؤمنون ﴿ انشزوا ﴾ اي انهضوا للتوسعة في المجلس للقادمين عليكم ﴿ فانشزوا ﴾ اي فانهضوا مسرعين ولا تتأخروا فانكم ان فعلتم ذلك ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والدخول في الجنان في الآخرة ﴿ و ﴾ يرفع ﴿ الذين أوتوا ﴾ اي أعطوا ﴿ العلم ﴾ منهم خصوصا ﴿ درجاتٍ ﴾ عاليةً لما جمعوه من فضيلة العلم والعمل • لان العلم مع علو رتبته يقتضي ان يكون العمل المقرون به مرفوع الرتبة عن العمل الخالي عنهُ وان كان فاعله في غاية الصلاح • لان العلماء لايعملون مايؤمرون به من الطاعات الا عن بينةٍ ويقين ولذلك يقتدي بالعالم في كل افعاله ولا يقتدي بالجاهل في شيء • لان العالم يعلم من كيفية

الاحتراز عن الحرام والشبهات ومحاسبة النفس مالا يعرفه الجاهل . ويعلم من كيفية الخشوع والتذلل في العبادة مالا يعرفه الجاهل ايضا . ويعلم من كيفية التوبة واوقاتها وشروطها مالا يعرفه الغير . ويتحفظ فيما يلزمه من حقوق الله وحقوق عباده مالا يتحفظ منهُ غيره ـ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ الجاهل كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ) *

لكن العالم كما تعظم منزلته عند الطاعة ينبغي ان يعظم عتابه عند التقصير فيها . حتى ان الصغيرة من الذنوب ربما تكون بالنسبة اليه كبيرةَ

اللهم ثبتنا على صراطك المستقيم ووفقنا للعمل بما فهمنا من كتابك الكريم وانما خص الله تعالى اهل العلم بالذكر مع كونهم داخلين في الذين آمنوا لانهُ لما علم جل ثنائه ان العلماء في مرتبةٍ يستوجبون بها عند انفسهم وعند الناس ارتفاع مجالسهم صرح بذكرهم عند الجزاء في الآخرة ليسهل عليهم في الدنيا ترك ما يستحقونهُ من الرفعة في المجلس تواضعا منهم لله عز وجل وان لم تفعلوا ايها المؤمنون ما يأمركم الله به وكرهتم ان تتأدبوا بآداب الله واستعظمتم ان توسعوا مجالسكم للقادمين عليكم كما امركم ربكم فانكم محاسبون في الميعاد ﴿والله

عما تعملون خبيرٌ ﴾ لاتخفى عليه خافية من اعمالكم من خير او شر فيجازيكم بعمل الخير خيراً و بعمل الشر شراً انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ . وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

لما افتخر اليهود على المسلمين بيوم السبت . وأنه ليس لهم مثله شرع الله يوم الجمعة وخصه بهم فأنزل قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا نودى ﴾ أي أذنَ ﴿ لِ ﴾ وقت ﴿الصلاة من﴾ اى في ﴿ يوم الجمعة ﴾ أى اليوم الذى تجتمع الناس فيه للصلاة ﴿ فاسعوا ﴾ اى فامشوا واقصدوا ﴿ الى ذكر الله﴾ أي الى خطبة الجمعة وصلاتها ﴿ وَذرُوا﴾ أى واتركوا ﴿ البيع ﴾ اى المعاملة مع بعضكم ولا تشتغلوا بشئ غير السعي لصلاة الجمعة ﴿ ذلكم ﴾ اى السعي الى ذكر الله وترك البيع وغيره من المعاملات الدنيوية في ذلك الوقت﴿خيرلكم﴾ من مباشرة

البيع وغيره من المعاملات لان نفع الآخرة اعظم وابقى ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أي ان كنتم اهل العلم بحقيقة الخير والشر ﴿ فاذا قضيت ﴾ اى أديت ﴿الصلاة ﴾أي صلاة الجمعة وفرغتم من عملها ﴿فانتشروا في الارض﴾ لقضاء مصالحكم ﴿ وابتغوا﴾ اى واطلبوا الربح الموصل الى سعادتكم ﴿ من فضل الله ﴾ كعيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله وطلب العلم ﴿ واذكروا الله ﴾ تعالى ذكراً ﴿ كثيراً ﴾ في اى وقت ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أى لاجل أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة • ثم ان العلماء اتفقوا على تحريم البيع في وقت نداء الجمعة • واذا وقع البيع من احد في هذا الوقت فبعضهم قال بصحته وهو الاكثر منهم و بعضهم قال بفساده

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

روى ان اهل المدينة اصابهم جوعٌ وقحطٌ شديدٌ فقدم عليهم دحيةُ بن خليفة بتجارةِ زيتٍ منَ الشام وكان النبي عليه الصلاة والسلام قائماً يخطب للجمعة فقام الناس الى دحيةَ وتركوه على المنبر ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر فقال عليه الصلاة والسلام حينئذ

﴿ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ خَرَجُوا جَمِيعاً لَأَضْرَمَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْوَادِيَ نَاراً ﴾

وكانوا اذا أقبلت العيرُ بالتجارة من الشام استقبلوها بالطبل والتصفيق فرحا بها وهو المراد باللهو المذكور في هذه الآية. فأنزل الله تعالى هذه الآية موبخاً لهم بها وبين لهم فيها ان تجارة الآخرة خيرٌ من تجارة الدنيا لانه لارازق في الحقيقة الا هو فقال ﴿ واذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا ﴾ اى تفرقوا ﴿ اليها ﴾ اي الى ماذكر من التجارة واللهو ﴿ وتركوك ﴾ أيها النبي ﴿ قائماً ﴾ على المنبر ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ ماعند الله ﴾ من الثواب ﴿ خيرٌ ﴾ لكم ﴿ من اللهو ومن التجارة ﴾ لان منفعته ثابتةٌ مخلدة . واما اللهو والتجارة فمنفعتهما ليست محققةً ﴿ والله خير الرازقين ﴾ فاسعوا الى ما فيه رضاه تعالى واطلبوا الرزق منه لامن غيره. ثم ان فضائل صلاة الجمعة كثيرة *

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ . وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً . ثُمَّ كَبْشاً ثُمَّ دَجَاجَةً . ثُمَّ بَيْضَةً .

فإذا خرج الإمامُ الى الخطبة طووا صحفهم ويستمعون الذكر ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً (مَنْ مَاتَ يومَ الجمعةِ كتبَ اللهُ لهُ أجرَ شهيدٍ • ووُقِيَ فتنةَ القبرِ)

وقد كانت الطرقُ في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مملوئةً بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسراج وقيل ان أول بدعةٍ احدثها الناس في الاسلام ترك البكور الى الجمعه انتهى

(فصل) اعلم ان الأئمة اختلفوا في صحة اقامه الجمعة فقال ابو حنيفه لاتقام الجمعة الا (في مصر جامع) وهي البلدة التي اقيمت فيها الحدود • ونفذت فيها الاحكام الشرعية • وتنعقد عنده بثلاث اشخاص سوى الامام • وعند الشافعي لاتنعقد الا بأربعين متوطنين ومنهم الامام • وعند مالك تنعقد باثنى عشر سوى الامام بشرط ان ينووا الاقامة اربعة ايام فما فوق ولا يشترط عنده التوطن انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غفورٌ رحيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

لما كان اكثر الناس يميلون عن الطاعات ويعرضون عن الترقي الى مراتب الكمالات ويصرفون زمانهم في مرضات الأزواج والأولاد الذين هم ثمرة أفئدتهم وحياة قلوبهم وقرة عيونهم . بين الله تعالى ان العاقل لايليق له ان يصرف اوقاته في ذلك . بل يكون على حذر منهم ولا يبيع الدين بالدنيا لاجلهم . فان من الازواج من تكون عدوة لزوجها . وهو لايعلم بل يغترّ بلينها ولين حديثها . وان من الاولاد من يريد كيده لوالديه وفي ابقائه عارٌ . فحينئذ يتمنى الوالد أن لا يكون الولد موجوداً بل معدوماً ولهذا اخبر الله بذلك على وجه التحذير للمؤمنين فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم واولادكم ﴾ اى ان بعضهم ﴿ عدواً لكم ﴾ يشغلونكم عن طاعة الله تعالى لشدة محبتكم لهم وتعلقكم بهم فتقدموا محبتهم على محبة الله او تساووا بين محبتهم ومحبته تعالى ﴿ فاحذروهم ﴾ اى فاحفظوا انفسكم من محبتهم وشدة التعلق بهم وعاقبوهم اذا طلبوا منكم تقديم حقوقهم على حقوق الله في كل شيء من المحبة وغيرها ﴿ وان تعفوا ﴾ عن ذنوبهم القابلة للعفو سواء كانت متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين بشرط ان تكون مقرونة بالتوبة ﴿ وتصفحوا ﴾ عن خطاياهم بالحلم ﴿ وتغفروا ﴾ اي وتستروا عليهم ذلك بالرحمة وتلتمسوا لهم عذراً فلا حرج عليكم

ولا ذنب . انما الذنب في الاشتغال بمحبتهم والتعلق بهم لا في مراعات العدالة ومعاشرتهم بحسن الخلق . فان هذا مندوبٌ بل هو اتصاف بصفاته تعالى ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ فيجب عليكم التخلقُ بأخلاقه فانه يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم . ثم قال تعالى ﴿ انما أموالكم وأولادكم فتنةٌ ﴾ اي بلاءٌ وامتحانٌ من الله لكم فيوقعونكم في الاثم من حيث لاتعلمون ﴿ والله عنده أجر عظيم ﴾ لمن قدم محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد وعلى السعي في تدبير مصالحهم لأن المدبر الحقيقيّ هو الله تعالى . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهُ كان يخطبُ فجاء الحسنُ والحسينُ وعليهما قميصانِ أحمرانِ وهما يعثران ويقومان . فنزل النبي صلى الله عليه وسلم اليهما فأخذهما ووَضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله العظيم . انما أموالكم وأولادكم فتنةٌ رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما *

(فصل) اعلم ان من اصاب زوجةً صالحةً واولاداً مطيعين ثم قصر فيما يجب عليه لهم من الحقوق واساء خلقه معهم في المعاشرة فانه مخالفٌ لربه مستحق لعقابه وان من خالف أمر الله فيما امسكه من المال الذي جمعه فمنع حق الله منه وارتكب رذيلة البخل والعصيان بالافراط في حب المال واضاعة حق الله تعالى فانه يكون واقعا في المقت والخسران لما اسرف فيه من المال وانفقه في المعاصي . ويصير كافراً بنعمه الله ممتنعا عن القيام بشكرها واما من اصاب مالاً وزوجةً

واولاداً موافقين فشكر ربه ولم تصيره شدة الفرح والغنى بهما واقعاً في الطغيان ولا كافراً بنعمة الرحمن • بل اشتغل بشكره عليها • وان فاته شيءٌ من ذلك جعل الصبر مطيةً له • ولم يجزعْ من شدة الحزن على مافاته فان هذا الطائع يحوون الهلاك والغيّ والخسران الموجبين للطرد والحرمان * انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

لما بين الله تعالى ان الازواج والاولاد لا يصح ان يمنعوا المكلف عن طاعة الله تعالى امر عباده بالتقوى بقدر طاقتهم ووسعهم قائلاً ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ اى ابذلوا في تقوى الله جهدكم وطاقتكم ﴿ واسمعوا ﴾ مواعظه ﴿ وأطيعوا ﴾ أوامره ﴿ وأنفقوا ﴾ اموالكم التي ابتلاكم بها في مرضاته فيكون انفاقكم لها خالصا لوجهه واتوا ﴿ خيراً ﴾ اى ماهو خير وانفع ﴿ لأنفسكم ومن يوق شح نفسه ﴾ اى ومن يحفظ نفسه من الشح الذى هو كراهة فعل الخير والمعروف وينشأ عنه البخل وهو الامساك ﴿ فاولئك هم المفلحون ﴾ اى الفائزون بكل مطلوب لهم انتهى

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

رغب الله تعالى عباده المؤمنين في الصدقة حيث جعلها قرضا منهم له تعالى • مع ان العبد لا يقرض الا نفسه • لان نفع الصدقة عائد عليه • وفي هذا الخطاب دليلٌ على كمال رحمته لعباده لانه أعطاهم المال وامرهم بالانفاق منه وسمى انفاقهم قرضاً له • فمن احسانه عليك أيها العبد انه خلق فعل الخير ونسبهُ اليك • ثم انه تعالى خاطب بهذه الآية الاغنياء والفقراء • فالاغنياء مخاطبون بالاقراض لأموالهم وأنفسهم في المجاهدة فقط • فهو سبحانه وتعالى قد علمهم الاخلاص في أعمالهم • ولذلك قال ﴿ ان تقرضوا الله ﴾ بصرف أموالكم الى المصارف التي عينتها لكم ﴿ قرضا حسناً ﴾ اى قرضاً مقروناً بالاخلاص وطيب النفس ﴿ يضاعفه لكم ﴾ بالجزاء على الواحد عشراً الى سبعمائةٍ فاكثر • لانه تعالى لا نهاية لجوده ﴿ ويغفر لكم ﴾ ببركة الانفاق مافرط منكم من بعض الذنوب ﴿ والله شكور ﴾ يعطي الكثير في مقابلة القليل ﴿ حليم ﴾ أي لا يعجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم ﴿ عالم الغيب ﴾ أي مافي القلوب من السر ﴿ والشهادة ﴾ أي ما أظهره الانسان من العلانية ﴿ العزيز ﴾ في ملكه والغالب على أمره ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه الذى يضع الشئ في محله • فياسعادة من سلك طريق العمل لأمثال

هذه الاوامر. وترك التهالك في أمور الأرواح والأولاد. ولم يعصب
ر به في اتعاب النفس لتكثير المال وجمعه لمن بعده من الورثة. ويا شقاوة
من أعرض عنها ولم يقدم لاجل نفسه شيئاً يقرضه منه رازقه. ويدخره
له عند شدة احتياجه اليه بعد مماته خصوصاً اذا ترك بعد الموت
أموالاً عظيمةً يسرنها وارثه. وتكون ضرراً عليه في الآخره لتقصيره
فيما يجب عليه فيها من الحقوق الزكوية الفرضية. اللهم أشغلنا بك وبما
يغنينا عن عبادك يا كريم يا الله انتهى.

قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللّٰهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا
يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ . وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ
وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ
بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً . فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا
الشَّهَادَةَ لِلّٰهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ﴾

لما بين الله تعالى في آخر السورة المتقدمة أن الازواج قد يكن عدواً ولا يخفى ان العداوة تؤدي الى الطلاق في العالب • أرشد في اول هذه السورة الى كيفية الطلاق السني الذي لا يحرم ايقاعه • وبين فيه الاحكام التي يجب العمل بها عند الطلاق • لكمال علمه بمصالح النساء فقال ﴿ يا أيها النبي ﴾ قل للمؤمنين من أمتك ﴿ اذا طلقتم النساء ﴾ اى اذا أردتم طلاقهن ﴿فطلقوهن﴾ اي النساء ﴿ لعدتهن ﴾ اي في وقت يصلح فيه ابتداء عدتهن بان يكون طلاق المرأة في وقت طهر لم تمس فيه لأن الطلاق جائز وهو الطلاق السني المذكور في الآية • وغير جائز وهو الطلاق البدعي • فالطلاق السني هو أن يطلق الرجل المرأة التي دخل بها في غير وقت حيضها أو نفاسها او في طهر لم يمسها فيه • وهي في هذه الحالة ليست بحامل ولا صغيرة ولا آيسةٍ من الحيض • والطلاق البدعى هو أن يطلق امرأته التي دخل بها في وقت حيضٍ او نفاسٍ او في وقت طهرٍ مسها فيه ولم يظهر حملها واما اذا ظهر حملها أو كانت صغيرةً أو آيسةً من الحيض فليس طلاقها بدعــةً • فثبت ان لتحريم الطلاق سببين • أحدهما وقوعه في حال الحيض أو النفاس • وثانيهما وقوعه في طهر مسها فيه وهي ممن تحملُ ولم يظهر حملها فيحرم على الرجل طلاق المرأة في هاتين الحالتين ثم قال تعالى ﴿ واحصوا العدة ﴾ اي واضبطوها واحفظوا عدد ايامها حتى تكمل ثلاثة أقراء من غير نقص ﴿ واتقوا الله ربكم ﴾ في تطويل العدة على النساء والاضرار بهن ﴿ لاتخرجوهن من بيوتهن ﴾ اي من

مساكنهنّ التي وقع الفراق فيها وهي بيوت الازواج ﴿ولا يخرجن﴾ منها حتى تنقضي عدتهن ﴿ الا أن يأتين بفاحشة ﴾ اي بسفاهةٍ وسوءِ خلقٍ على أزواجهن واهله ﴿ مبينة ﴾ اي واضحةٍ وظاهرةٍ ﴿ وتلك ﴾ اي ما ذكر من الاحكام ﴿حدود الله﴾ التي بينها لعباده ﴿ ومن يتعدّ حدود الله ﴾ اي حدوده المذكورة واخل بشيء منها ﴿ فقد ظلم نفسه ﴾ اي أضر بها فانك ﴿ لاتدري﴾ ايها المكلف المتعدى للحدود عاقبة امرك فـَ ﴿ لعلّ اللهَ ﴾ تعالى ﴿ يحدث ﴾ اي يوجد في قلبك ﴿ بعد ذلك ﴾ اي بعد هذا التعدي ﴿ امراً ﴾ يقتضي خلاف مافعلته فيقلب بغضك لها محبةً فيها واعراضك عنها اقبالاً عليها فاذا لم تتعد الحدود المذكورة سهل عليك مراجعتها او استئناف نكاحها بعقدٍ جديدٍ • و بالجملة فالذي ينبغي للعاقل اذا اراد الفراق ان يكون من غير ضرر للمرأة لأنهُ لايدري مايخلقه الله في قلبه بعد ذلك فاذا كان فراقه بالمعروف وحول اللهُ ما في قلبه سهل له بعد ذلك الرجوع ﴿ فاذا بلغن اجلهن﴾ اي فاذا قارب النساء المطلقاتُ التي دخل بهن الزوجُ آخرَ عدتهن ﴿ فأمسكوهن ﴾ اي فراجعوهن ﴿بمعروف﴾ اي بحسن معاشرةٍ وانفاقٍ يليق بهن وَلاَتضاروهن بالمراجعة ﴿او فارقوهن بمعروف ﴾ اي او اتركوهن حتى تنقضي عدتهن وَلاَ تضاروهن عند الفراق بالتكلم بالسوء في حقهن او بنحوذلك من انواع الاذى ﴿واشهدوا﴾ ايها المؤمنون ﴿ ذوي عدل ﴾ اي صاحبي عدالةٍ ﴿ منكم ﴾ على المراجعة او على الفراق • وتظهر ثمرةُ الشهادة عليها في الارث اذا مات

الرحل او ماتت المرأة اوفيما اذا الدعي الرحل الرحمة بعد انقصاء العدة وأنكرت الروحة • وتظهر ثمرة التشهادة على الفراق اذا الدعت المرأة عليه الطلاق وانكر الرحل • فظهر ان هذا الاشهاد لقطع النزاع بينهما وهو مندوب لقوله تعالى ﴿واقيموا﴾ اى وادوا ايها الشهود ﴿ التشهادة ﴾ عند الحاحة اليها ﴿ لله ﴾ اي حالصة لوجهه تعالى ولاتراعوا المشهود له ولا المشهود عليه ﴿ذلكم﴾ اي ما ذكر من اول السورة الى هنا من الأحكام ﴿يوعظُ بهِ ﴾ اي يذكر بهِ ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ لأنهُ هو الذي ينتفع بهِ واما من لم يكن مؤمناً فانهُ لايتعظُ بهِ لقساوة قلبه فلم ينتفعْ بهِ

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾

ثم انهُ سبحانهُ وتعالى حث على التقوى والتوكل عليه في هاتين الآيتين ووعد المتقين في الآية الاولى بأنهُ يخرجهم من كل ضيقٍ خصوصاً من طلق زوجتهُ وهو كارهٌ للطلاق فانهُ يعوضه خيراً ممن طلقها ووعد في الآية الثانية كل من توكل عليه بأنه لايهمله ابداً ولذلك قال ﴿ ومن يتق الله ﴾ في كل امرٍ وطلق طلاقاً سنياً ولم يضر المعتدة ولم يخرجها

من مسكها واحتاط فأسهد على المفارقة او المراجعة ﴿يجعل له محرجاً﴾ اي مخلصاً من كدرات الدنيا والآخرة ﴿ ويرزقهُ ﴾ سحانهُ وتعالى ﴿ من حيث لايحتسب ﴾ اي من وجه لايخطر باله ولايعلم بهِ ﴿ومن يتوكل على الله ﴾اي ومن يفوض امره اليهِ تعالى﴿ فهو حسبه ﴾اى فهو كافيه مايهمه ٠ لان المعبود الحقيقي القادر على كل شيء الغني عن كل شيء الجواد بكل شيء اذا فوض عبده الضعيف امره اليه لايهمله ابدا فـ ﴿ ان الله ﴾ تعالى ﴿بالغ امره﴾ اى يبلغ كل امر يريده فاذا اراد امراً فلا بد من انفاذه سواء حصل من الشخص توكل ام لا ﴿ قد جعل الله لكل شيء﴾ من الشدة والرخاء ونحوهما ﴿ قدراً ﴾ اي وقتاً ومقداراً فدلت هذه الآية على وجوب التوكل عليه ٠ لان العبد اذا علم انه تعالى قد بين وعين لكل شيء حداً ومقداراً وجب عليه التسليم في كل امر والتفويض اليه *

﴿ تابع لما قبله من الآية الكريمة ﴾

﴿ وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاَتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّآتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾

ثم بين الله تعالى في هذه الآية عدة المرأة التي بلغت سن اليأس من الحيض وعدة الحامل فقال ﴿ واللائي ﴾ اي المطلقات اللاتي ﴿ يئسن من المحيض ﴾ اي الحيض وانقطع حيضهن قطعاً نهائياً ﴿ من نسائكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ان ارتبتم ﴾ اى ان شككتم في عدتهن وجهلتم قدرها ﴿فعدتهن ثلاثة اشهر ﴾ وسن اليأس من الحيض قدّرَ بخمس وخمسين سنة في قول وستين في آخر • والمشهور أنه ينظر الى نساء عشيرة المرأة من الابوين فاذا بلغت السن الذي جرت العادة بقطع حيضهن فيه فقد بلغت سن اليأس ﴿ واللائى ﴾ اي والنساء اللاتي ﴿ لم يحضن ﴾ لعدم بلوغهن أوان الحيض كبنت تسع سنين • ومثلها من بلغت أوان الحيض ولم تر الحيض اصلا ﴿ فعدتهن ﴾ ثلاثة اشهر • وهاتان المسئلتان في عدة غير المتوفي عنها زوجها • واما هي فعدتها اربعةُ اشهر وعشراً ان لم تكن حاملاً ﴿ وأولات الاحمال ﴾ اي والنساء الحوامل ﴿ أجلهن ﴾ اي انقضاء عدتهن بعد الطلاق او بعد وفات الزوج ﴿ ان يضعن حملهن ﴾ ولا تنقض العـدة بوضع الحمل الا بتمامه • فلو كانت المرأة حاملاً بأكثر من واحد لم تنقض عدتها حتى تضع الجميع • ثم وضع الحمل يشمل الحي والميت والسقط والمضغة التي لا صورة فيها • وعند الشارع في انقضاء العدة تصـدق المرأة بيمينها • لأن النساء مؤتمنات على ارحامهن • ثم ان الله تعالى لما علم ان النساء ناقصاتُ عقل ودينٍ وانهُ لا يصبر على امورهن الا اهل التقوى *

قال الله سبحانه وتعالى

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾

ثم بين الله تعالى كيفية العمل بالتقوى في شأن النساء المعتدات فقال ﴿ اسكنوهن ﴾ اي اسكنوا النساء المطلقات ﴿من حيث سكنتم﴾ اي من مساكنكم ﴿من وجدكم﴾ اي من وسعكم وطاقتكم ﴿ولا تضاروهن﴾ اي ولا تفعلوا بهن ضرراً بانزالهن مسكناً لا يوافقهن او بغير ذلك من انواع المضار ﴿لتضيقوا عليهن ﴾ المساكن فيحتجن الى الخروج منها ويضطررن الى الخلاص بترك النفقه قال ابو حنيفة تجب السكنة والنفقة لكل مطلقة وعند الشافعي ومالك لا تجب السكنى والنفقة الا للمطلقة طلاقاً رجعياً • واما المطلقة طلاقاً بائناً فلا يجب لها الا السكنى فقط وهذا كله في غير المطلقة الحامل • واما هي فيجب لها النفقة مع السكنى سواء كان طلاقها رجعياً او بائناً كما قال تعالى ﴿وان كنّ﴾ اي النساء المطلقات ﴿ اولات حمل ﴾ اي حاملات ﴿ فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ واما الحامل المتوفي عنها زوجها لاتجب لها النفقة

لاستعمائها بالميراث واىما تحب لها السكىى فقط ثم بين تعالى امر الطفل فقال ﴿ فان ارضعن ﴾ اي هؤلاء المطلقات ﴿ لكم ﴾ اي لأجلكم ولداً منهن او من غيرهن بعد الطلاق ﴿ فآتوهن ﴾ اي فاعطوهن ﴿ اجورهن ﴾ على الارضاع ﴿وائتمروا﴾ اي وتشاوروا ﴿ بينكم ﴾ وبينهن ﴿ بمعروف﴾ اي بجميل في حق الولد بالتوافق على أجرةٍ معلومةٍ على الارضاع بقدر وسعكم وحالهن وهذا الحكم في حق المرأة المطلقة واما غيرها يلزمها الارضاع نفسها ان كان بها لبن وكان الارضاع لائقا بحالها . واما مثل بنات الملوك فلا يلزمهن الارضاع وقيل لا يلزم الزوجة الارضاع مطلقا سواء كانت شريفة او غير شريفة وبالجملة فيكون الامر بينهما مبنيا على المسامحة فلا يقع من الأب مماكسةٌ في الاجرة ولا تقع من الأم معاسرة في ارضاع الطفل لانهُ ولدهما معا ﴿ وان تعاسرتم ﴾ اي وان اظهرتم من انفسكم العسر والشدة في امر مؤنة الارضاع وامتنع الأب من دفع الأجرة للأم وتركت الأم الولد من غير ارضاع باختيارها ﴿ فسترضع له ﴾ اي للأب ﴿ اخرى ﴾ اي فليطلب الأب للولد مرضعة اخرى ويجبر على ذلك لئلا يضيع الولد واما الام فلا تجبر على الارضاع ثم بين الله تعالى ان ما امر به عباده من الانفاق على المطلقات والمرضعات انما هو بمقدار الوسع والطاقة حتى يفتح الله ابواب الرزق عليهم فقال ﴿ لينفق ﴾ على المطلقات والمرضعات ﴿ ذو سعة ﴾ اي صاحب سعة ﴿ من سعته ﴾ اي على قدر سعته والمعنى انهُ تجب على الازواج النفقة

على المطلقات والمرضعات بقدر طاقتهم ﴿ ومن قدر ﴾ اي ومن ضيق ﴿ عليه رزقه فلينفق مما آتاه ﴾ اي اعطاه ﴿ الله ﴾ وان قل ف ﴿ لاَ يكلف الله نفسا الا ما آتاها ﴾ قليلاً او كثيراً ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ اى فلا تقنطوا ايها الفقراء من رحمة الله فعن قريب يحول حالكم من الفقر الى الغنى وهذه الآية فيها بشارة منه تعالى للفقراء انتهى ❁

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى إِلاَّ مَاشَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾

لما كانت هذه السورة مشتملة على الأمر باعتقاد تنزيه المولى عن كل مالا يليق به وعلى الأوصاف الدالة على باهر قدرته تعالى وسعة علمه وعلى تشريف نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم كان اهل السلف يواظبون على قراءتها في التهجد ويعرفون بركتها لما اشتملت عليه من تنزيه المولى وصفاته الكمالية المقدسة • ومن الوعد والوعد كما قال تعالى ﴿ سبح اسم ربك ﴾ اي نزه يامحمد ربك عما لا يليق به وأمر أمتك بذلك وبأن يعتقدوا أنهُ تعالى منزه عن كل نقص في ذاته

وصفاتهِ وأسمائه وافعاله واحكامه • فتنزيه الذات عن النقص هو أن يعتقد العبد انها ليست كذوات الحوادث فلا توصف بالجوهرية ولا بالعرضية ولا بالجسمية ولا بالكثرة ولا بالصغر ولا بغير ذلك من الأوصاف الحادثة • وتنزيه الصفات هو أن يعتقد العبد أنها ليست حادثة ولا متناهيةً ولا ناقصةً •وتنزيه الاسماء هو أن لا يذكر العبد ربه تعالى بالاسماء التي توهم اي نقص في ذاته العلية بل يذكره بالأسماء التي ورد الأذن الشرعي بتسميته بها • وان لايسمى بأسمائه الحسنى احداً غيره وان لايذكره العبد بها في المواضع القذرة بل يذكره بها على وجه التعظيم في المواضع الطاهرة • وان يستحضر عظمته تعالى وكبريائه عند ذكره بها وتنزيه الافعال هو أن يعتقد العبد ان افعاله تعالى ليست كافعال خلقهِ بأي وجه وتنزيه الاحكام هو أن يعتقد العبد انهُ تعالى ليس له غرض ولا مصلحة في اي حكم منها بل كلها بها لنفع أنفسنا لا لنفع يعود عليه ثم وصف تعالى نفسه بقوله ﴿ الاعلى ﴾ اى المرتفع ارتفاع قهر وغلبة وسلطنة فمعنى العلو هنا علو منزلةٍ لا علو مكانٍ ﴿ الذي خلق﴾ كل شيء ﴿فسوّى﴾ خلقه بأن جعل له ما بهِ يكون كماله ويتيسر معاشه ﴿ والذي قدر ﴾ اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها ﴿ فهدى ﴾ اي فأرشد كل واحد منها الى ما يصدر عنه من الحركات والسكنات والافعال التي تصدر طبعاً منه او اختياراً ويسرَه الى ما خلق له بالميل والالهام ولو تتبعت ايها العاقل احوال النباتات والحيوانات

لرأيت في كل منها ماتحار فيه العقول من العجائب كما روى أن الأفعى اذا بلغت من العمر الفسة كف بصرها ثم يلهمها الله تعالى ان تمسح عينها بورق الرازيانج الرطب الاخضر فيرجع اليها بصرها . وقد تكون بينها وبين هذا الشجر مسافة طويلة فتسعى في قطعها حتى تصل الى المكان الذي فيه هذا الشجر فتحك عينها بورقه . فترجع باصرةً باذن الله عزّوجل وأما أنواع هدايته تعالى للانسان من جهة الجسمية ومن جهة الحيوانية فهو مما يقصر عنه التعبير ولا يعلمهُ الا العليم الخبير ﴿والذي أخرج المرعى﴾ اي والذي انبت ماترعاه الدواب رطباً شديد الخضرة ﴿فجعله﴾ بعد ذلك ﴿غثاء﴾ اي يابساً ﴿أحوى﴾ اي أسود ولما بين الله تعالى هدايته العامة لجميع الخلق بين هدايته الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدًى للعالمين وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين فقال ﴿ سنقرئك ﴾ يا محمد هذا القرآن الذي نوحيه اليك على لسان جبريل ﴿ فلا تنسى ﴾ اي فلا تنساه اصلاً من قوة الحفظ والاتقان مع انك أميٌّ لاتدري ما الكتابة وما القراءة ليكون عدم نسيانك لما تقرأه وانت أميٌّ آيةً أخرى لك دالةً على صدق نبوتك ﴿ الا ما شاء الله ﴾ أن ينسيه لك أبداً بأن نسخ الله تعالى حكمه وتلاوته معاً . او تلاوته فقط . وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءه مع قراءة جبريل خوفاً من النسيان . وكأنهُ قيل له لا تعجل بها انك لا تنسى ولا تتعب نفسك بالجهر بها ف ﴿ انهُ ﴾

تعالى ﴿ يعلم الجهر ﴾ من القول والفعل ﴿ وما يخفى ﴾ منهما •

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى • وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى • ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾

ثم ان الله تعالى بشر نبيه بشارةً عظيمةً وهي توفيقه للطريقة العظمى التي هي حفظ القرآن والشريعة السهلة السمحة فقال ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾ اي نوفقك للطريقة والشريعة اليسرى السهلة السمحة التي هي أيسر الطرق الى الله تعالى فتترقى الى الكمال العلمي والعملي التام الذي هو الحكمة البالغة ﴿ فذكر ﴾ اي فعظ بالقرآن مطلقاً ﴿ ان نفعت الذكرى ﴾ اي الموعظة من تذكره اولم تنفعه فعدم نفع الذكرى ثابتٌ لبعض من الناس ونفعها ثابتٌ لبعض آخر وهو ما ذكره الله تعالى بقوله ﴿ سيذكر ﴾ اي سيتعظ بها ﴿ من يخشى ﴾ اي من خلق الله فيه الخشية والخوف منه تعالى ﴿ ويتجنبها ﴾ اي ويترك الذكرى ولا يلتفت اليها ﴿ الاشقى ﴾ اي الشقي وهو الكافر ﴿ الذي يصلى ﴾ اي يدخل ﴿ النار الكبرى ﴾ وهي نار الآخرة التي هي جهنم • واما الصغرى فهي نار الدنيا • وقد يعذب الله تعالى من يشاء بانواع المصائب الدنيوية في الدنيا ايضاً *

قال النبي صلى الله عليه وسلم

(نارُكُمْ هذهِ جزءٌ مِنْ سبعينِ جزءً مِنْ نارِ جهنَّمَ)

﴿ ثم لايموت فيها ﴾ موتاً يستريح به ﴿ ولا يحيى ﴾ حياتاً هنيئةً بل يكون في حالةٍ من العذاب يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك أعيد الى الحياة وعذب فلايكون ميتاً موتاً حقيقيا ولاحياً حياةً حقيقيةً

﴿ تابع لما قبله من الآية الشريفة ﴾

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾

ثم لما بين الله تعالى ما للأشقياء من الوعيد ذكر وعد السعداء فقال ﴿ قد أفلح ﴾ اي فاز بالفلاح ﴿ من تزكى ﴾ اي تطهر بالايمان من ادناس الشرك والمعاصي والعقائد الفاسدة ﴿ وذكر اسمَ ربه ﴾ بالتوحيد والاخلاص ﴿ فصلى ﴾ اي فاشتغل بالخدمة والطاعه حتى يكون كاملاً بحسب قوته النظرية والعملية بعد صفاء قلبه من ظلمة الجهل وأنتم لاتفعلون ذلك أيها الاشقياء ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ اي بل ترضون بالسعي في تحصيل اللذات العاجلة الفانية فتطمئنون بها وتعرضون

عن الآخرة بالكلية ﴿ والآخرة خير وابقى ﴾ اي والحال ان السعي في تحصيل اللذات الباقية في الدار الآخرة افضل وابقى لما في ذلك من حصول السعادة الجسمانيه والروحانية الخاليه من الآلام والاكدار والدنيا ليست كذلك ﴿ ان هذا ﴾ اي ان ما ذكر في هذه السورة من التوحيد والنبوة والوعد والوعيد ﴿ لفي الصحف ﴾ اي لثابتٌ في الكتب ﴿ الاولى ﴾ القديمة المنزلة قبل القرآن ﴿ صحف ابراهيم ﴾ وهي عشرة ﴿ وموسى ﴾ اي وصحف موسى وهي التوراة • وروي ان الكتب التي انزلها الله على الانبياء مائةٌ واربعة أنزل منها على آدم عشرَ صحفٍ • وعلى شيثٍ خمسين • وعلى ادريس ثلاثين صحيفة • وعلى ابراهيم عشرَ صحائف • وانزل التوراة على موسى • والزبور على داود • والانجيل على عيسى • والفرقان على سيدنا محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين • انتهى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

(فصل) اعلم ان القرآن مع كثرة فوائده مشتملٌ على ثلاثةِ مقاصد فقط • المقصدُ الاولُ هو معرفة ذات الله تعالى • والمقصد الثاني

معرفه صفاته واسمائه • والمقصدُ الثالثُ هو معرفه افعاله وسنه مع عباده • ولما كانت هذه السورةُ متضمنةً للمقصد الاول الذي هو بيان معرفته تعالى بالعقائد الصحيحة وازنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلث القرآن • ثم ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد صف لنا ربك وانسبه • فأنزل الله تعالى ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المعاندين المنكرين ﴿ هوَ اللهُ احدٌ ﴾ اعلم ان هذه الاية ثلاثة ألفاظٍ وكل لفظ منها يشير الى مقام من مقامات الطالبين لسلوك طريق الفلاح • فالمقام الاولُ مقام المقربين وهو اعلى مقامات السائرين الى الله تعالى • وهؤلاء هم الذين نظروا الى حقائق الاشياء بعين البصيرة السليمة فما رأوا منها حقيقةً موجودةَ سوى ذات الله تعالى • لانهم لما نظروا في وجوده تعالى تيقنوا انه موجودٌ لاجل ذاته لا لأجل شيء آخر ولما نظروا في وجود غيره تيقنوا انه حادث ويتوقف وجوده على ايجاد الغير له والحادثُ اذا نظر العاقل اليه وجده معدوماً فهؤلاء لم يشاهدوا موجوداً في الكون سوى الحق تعالى • فقوله تعالى (هو) يشير اشارةً مطلقةً سواء كانت لحقيقةٍ موجودٍ معين او غير معينٍ وهذه الاشارةُ وان كانت مطلقه لاتنصرف عندهم الا للحقيقةِ المقدسةِ المعينهِ لان المشار اليه بها معينٌ فهؤلاء المقربون لا يشيرون بلفظة هو الا الى الحق سبحانهُ وتعالى لأنهم لما لم يشاهدوا موجوداً سواه لم يفتقروا في تلك الاشارة الى مميزٍ لان الافتقار الى المميز لايحصل الا اذا كان هناك موجودان وقد بينا ان

هؤلاء لم يساهدوا بعين عقولهم الا الله الواحد فقط • فلهذا السب كانت لفطة هو كافية لهم في حصول العرفان التام للحقيقة الاحدية • والمقام الثاني وهو مقام اصحاب اليمين ومرتبته اقل من المقام الاول وذلك لانهم شاهدوا الله موحوداً وشاهدوا الخلق ايضاً موحوداً فحصل كثرة في الموحودات لأنهم رأوا موحودين فلم تكن لفظ هو كافياً لهم في الاشارة الى الحق تعالى بل احتاجوا الى مميز يميزون به الحق عن الخلق فضم مع لفظة هو لفظ الله وقيل لأجلهم هو الله لأن لفظ الله معناه انهُ هو الموجود الذي يفتقر اليه كل ما سواه ويستغني عن كل ماعداه• والمقامُ الثالثُ هو مقامُ اصحاب الشمال وهمُ الذين يجوزون بعقلهم الفاسد ان الاله الواجب الوجود اكثرُ من واحد فضم لفظة احد مع (هو الله) وقيل قل هو الله احد لاجل الرد على هؤلاء وابطال مقالاتهم وهذا المقام اخس المقامات وادونها ثم ان هذه الالفاظ الثلاثة تشير الى مقصد آخر اشرف واعلى مما ذكرناه وهو انها تؤخذ منها جميع عقائد التوحيد وذلك لان الله تعالى اسم للذات الواجب الوجود فيستحق لجميع المحامد وكل من كان وجوده واجباً لزم اتصافه بسائر الكمالات كالقدرة والارادة والعلم والحياة • وقوله احدٌ يدل على الصفات السلبية التي ينتفي بها كل نقص عن ذاته تعالى وهي القدم والبقاء وينتفي بهما الحدوث لذاته تعالى • والغنى المطلق وهذه الصفة ينتفي بها عنه تعالى الاحتياج الى اي شيء والتنزه عن التشبيه والنظير والمثيل في الذات والصفات والافعال فقولنا الله يدل على جميع الصفات الكمالية

وقولنا احد يدل على جميع الصفات السلبية فثبت ان هذين اللفظين يفيدان تمام العرفان الذي يليق بالعقول البشرية واىما قلنا ان لفظ الله مفيد لجميع الصفات الكمالية لان المسمى به هو الذي يستحق العبادة واستحقاق العبادة لا يكون الا لمن انفرد بالايجاد والابداع • والتفردُ بالايجاد لا يحصل الا لمن كان موصوفاً بالقدرة التامة والارادة النافذة والعلم بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات واىما قلنا ان لفظ احد جامع للصفات السلبية لان المراد من الاحديه كون من اتصف بها حقيقتــه مفردةٌ منزههٌ عن كل أنواع التراكيب لان كل ماهية تركبت فهي مفتقرةٌ الى كل جزء من أجزائها التي تركبت منها وكل واحدٍ من أجزائها مغايرٌ لها لان المركب مغايرٌ لجزئه فيكون كل مركب مفتقراً الى غيره وكل مفتقر الى غــيره فهو حادث وقد ثبت أن كل مركب مفتقر الى غيره فيكون حادثاً من غير شك والاله الذي أنشأ جميع الحوادث يمتنع أن يكون حادثاً لانهُ فرد أحــدٌ واذا ثبتت له الاحديه والفرديه وجب أن لايكون حالاً في أي جهة لان من يكون حالاً في جهة يجب ان يكون يمينه مغايراً لشماله ومتى كان يمينه مغايراً لشماله فهو منقسم والاحد ليس بمنقسم فيستحيل أن يكون في جهــة واذا لم يكن في جهة لم يكن في شيءٍ من الجهات أصلاً ويجب أن لا يكون محلا لشيءٍ كالجسم الذي هو محل للعرض ولا يكون حالاً في شيءٍ كالالوان ونحوها من الاعراض القائمــة بالاجسام لانهُ اذا كان كذلك لايكون احداً واذا لم يكن حالاً ولا محلا لم يكن متغيراً قطعاً

فوجب ان يكون احداً فقد تبين مما ذكرنا ان قوله تعالى الله احد متضمن لجميع صفات الله تعالى الكمالية والسلبية واذا ثبت انهُ تعالى متصف بالكمالات منزه عن النقائص فلا يقصدُ غيره ولا يعول الا عليه ولذلك قال بعد الآية السابقة ﴿ الله الصمد ﴾ اي السيد المقصود في جميع الحوائج على الدوام والمستغني بذاته وكل ما سواه محتاجٌ اليه • وحيث ثبت أنهُ تعالى متصفٌ بكل كمالٍ ومنزهٌ عن كل نقص ومقصودٌ في جميع الأمور لم يكن أصلاً لغيره ولا غيره متفرّعاً عنه فلم يكن والداً ولا مولوداً بل هو تعالى ﴿ لم يلد ﴾ اي لم يصدر عنه ولد لعدم مجانسته لغيره • لأن الولد من جنس أبيه • والله لم يجانسه أحد لانهُ قديم وغيره حادث • ولأن الولد يطلب اما لاعانة والده او ليكون خليفة بعد فنائه • وهو تعالى غني عن كل شيء ولا يلحقه فناءٌ ﴿ ولم يولد ﴾ اي لم يصدر عنه شيء • لانهُ يستحيل عليه العدم سابقاً ولاحقاً لما ثبت لك من قدمه تعالى و بقائه • وفي هذه الآية ردٌّ على قول مشركي العرب الملائكةُ بناتُ الله وعلى قول النصارى المسيح ابن الله • وعلى قول اليهود العزير ابن الله ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ اي ولم يكن احدٌ مكافئاً ولا مماثلاً له • وهذه السورة مع قصرها منطويةٌ على اثبات المعارف الالهية • وقد ورد في الحديث الشريف انها تعدل ثلث القرآن • لأن مقاصده منحصرة في بيان العقائد والأحكام الشرعية والقصص • وهذه السورة قد اشتملت على العقائد التي هي ثلث ما بيّنه القرآن الكريم • وروى

أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم انهُ قال (أسست السموات السبعُ والأراضين السبعُ على قلْ هوَ الله أحدٌ) يعني أن السموات والأراضين ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته • وهذه السورة نطقت بذلك كله • انتهى

﴿ الباب الثاني والعشرون في تفسير ماورد من الأوامر ﴾
﴿ في تفسير سورة الفلق ﴾

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَاخَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

لما بين تعالى أمر ألوهيته في السورة المتقدمة أمر في هذه السورة بالاستعاذة والالتجاء باسم الرب المضاف الى الفلق الدال على النور بعد الظلمة • وعلى السعة بعد الضيق وهو وعد منهُ تعالى للعائذ الملتجئ اليه بالنجاة مما يتعوذ منهُ ويقويه لرجائه ومزيد ترغيبٍ له في الاعتناء بقرع باب الالتجاء والتضرع اليه تعالى لانهُ لاملجأ سواه كما قال تعالى ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ أعوذ ﴾ اي ألتجئ ﴿ برب الفلق ﴾ اي بخالق

نور الصبح وألوذ به ﴿ من شر ما خلق ﴾ اي من شر ما خلقه رب الصبح في الثقلين وغيرهم من كل حيوان مكلف وغير مكلف ونحو ذلك مما ليس بحيوانٍ كالاحراق بالنار والاغراق في البحار ﴿ ومن شر غاسق اذا وقب ﴾ اي ومن شر ظلمة الشهوة البهيمية اذا غلبت داعية العقل ونور القلب ﴿ ومن شر النفاثات ﴾ اى القوى النفسانية من الوهم والغضب والشهوة ونحوها من كل ما يؤدي الى الفتنة ﴿ في العقد ﴾ اي في عزائم السالكين طريق الرشاد ﴿ ومن شر حاسدٍ اذا حسدَ ﴾ اي اذا أظهر ما في نفسه من الحسد لأحدٍ من الناس. وعمل بما يلتزمه من السعي في الشر والاضرار للمحسود قولاً أو فعلاً. واعلم ان الحسد هو ان يتمنى الشخص زوال النعمة عن المحسود وحصولها اليه او يتمني زوالها عنه فقط وهذا حرامٌ مذمومٌ. واما اذا تمنى الشخص ان يحصل له مثل نعمة المحسود من غير أن يتمنى زوالها عنهُ فليس مذموماً . ثم ان هذا الحسد المذموم هو أول ذنب عصيَ الله به في السماء. لأن ابليس حسد آدم على سجود الملائكة له فكان من أمره ما كان من الطرد واللعن. وهو أيضاً أول ذنب عصيَ الله به في الارض لأن قابيل أحدَ أولاد آدم حسد أخاه هابيل لما قرّبا لله قربانا فتقبل الله من هابيل ولم يتقبل من الآخر فقتله من أجل ذلك وحصل من أمره ما حصل . فالحاسد ممقوتٌ عند الله ومبغوضٌ وملعونٌ ومطرودٌ عن رحمته فهو لا ينال في مجالس الدنيا الا ندامةً ولا ينال عند الملائكة الا لعنةً وبغضاً ولا ينال في الخلوة الا حزنا وغماً ولا ينال في الآخرة الا

حرعا واحتراقا ولا ينال من الله تعالى الا بعداً ومقتاً . قال بعض العارفين (شعراً)

أَلاَ قُلْ لِمَنْ بَاتَ لِي حَاسِدَا ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ

أَسَأْتَ عَلَى اللهِ فِي فِعْلِهِ ... لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ

فَكَانَ جَزَاؤُكَ أَنْ خَصَّنِي ... وَسَدَّ عَلَيْكَ طَرِيقَ الطَّلَبْ

﴿ الباب الثالث والعشرون في تفسير ماورد من الأوامر ﴾
﴿ في سورة الناس ﴾

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

اعلم ان الله تعالى ربُّ جميع الخلق ولكنهُ ذكر في هذه السورة انهُ رب الناس فقط لأجل تشريفهم على غيرهم من الخلق ولأن الاستعاذة خاصةٌ بهم ولذلك امرهم على لسان نبيه ان يستعيذوا من شر الشيطان بربهم لانهُ هو الذي يملك جميع امورهم وهو الملهم

ومعبودهم فقال ﴿ قل ﴾ يامحمد وأمر أمتك بذلك ﴿ أعوذ ﴾ اي أتحصن ﴿ برب الناس ﴾ اي بمالك امورهم ومربيهم بافاضة مايصلحهم ودفع ما يضرهم ﴿ ملك الناس ﴾ اي المتصرف فيهم بأنواع التصرفات كالاعزار والاذلال والاغناء والافقار ونحو ذلك ﴿ اله الناس ﴾ اي المستحق لعبادتهم وتوحيدهم لما اختص به من صفات الكمال التي منها القدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجاداً واعداماً • وهذا الترتيب الالهي له سرٌ بديع وذلك ان الانسان اولاً يعرف ان له رباً لما شاهده من كمال انواع التربية • ثم اذا تأمل عرف ان هذا الربَّ متصرفٌ في خلقه غني عن غيره فيتنقل انه الملك • ثم اذا زاد تأمله عرف انه يستحق ان يعبد لانهُ لا يعبد الا الغني عن كل ماسواه المفتقر اليه كل شيء واىما أمر تعالى في السورة المتقدمه بالاستعاذة من اربعة أمور وامر في هذه السوره بالاستعاذة من امرٍ واحد • لأن الامور التي أمر بالاستعاذة منها في السورة المتقدمه كلها تضر بالبدن • والذي أمر به في هذه السورة وان كان أمراً واحداً لكنه يضر الروح وكل ما يضر الروح يجب الاهتمام بالاستعاذة منه • وهو الاستعاذة ﴿ من شر الوسواس ﴾ أي الشيطان الذي يكثر الوسوسه ﴿ الخناس ﴾ اي الذي عادته ان يخنس اي يتأخر عن القلب اذا ذكر الانسان ربه فيكون الذكر لذلك الشيطان كالمانع الذي يمنع المفسد بالقهر • ولهذا يكون نفوره منه شديداً ﴿ الذي يوسوس ﴾ اي الذي يفعل بوسوسته ويكررها ﴿ في صدور ﴾ اي

قلوب ﴿ الناس ﴾ اذا غفلوا عن ذكر الله بقلوبهم • فلا بد أن يشغلهم عنه تعالى ولو ذكروه بألسنتهم لأن الوسوسة اذا حصلت في القلب لا يطردها الا الذكر الحاصل فيه • فمن كان من اهل الذكر فلا تسلط للشيطان عليهِ ويكون هذا الشيطان الموسوس ﴿ من الجنة والناس ﴾ اي من الجن ومن الانس — فكما أن شيطان الجن يوسوس تارة في القلب ويتأخر تارةً أخرى • فكذلك شيطان الانس يفعل بالمؤمنين كل شر لانهُ يجلس معهم فيظهر لهم أنهُ صديقٌ ناصحٌ • حتى يفسد اخلاقهم واعتقاداتهم الدينية * فان علم المؤمنون غش شيطان الجن وزجروه ترك الوسوسة • وان لم يعلموا بهِ وتلقوا وسوستهُ بالقبول أكثر في نصحه المغشوش حتى يضلهم وهكذا تكون المعاملة مع شيطان الانس • وقد روى عن النبي صلى الله عليهِ وسلم أنهُ قال (يأتي الشيطانُ أحدكم فيقولُ مَنْ خلقَ كذَا مَنْ خلقَ كذَا حتى يقولَ من خلقَ ربك فاذَا بلغهُ) أي فاذا بلغ الشيطان بهِ هذا القول (فليستعذ بالله لينته)

فالشيطان مسلط على جميع المؤمنين عند غفلتهم عن ذكر ربهم الا من تداركه الله تعالى بعصمته ويعمه بواسع رحمتـه • عصمنا الله تعالى وإياكم من الغفلة عن ذكره ووفقنا للقيام بحقوق حمـدهِ وشكره • أمين

قد تم بعون الله تعالى الجزء الاول من كتاب الفتوحات
الربانية * في تفسير ما ورد في القرآن من
الاوامر الالهية * ويليه الجزء الثانى منها في
تفسير ما ورد من الآيات الداله
على النواهي الشرعية
في الثاني عشر من شهر ربيع الاول المبارك سنة الف وثلثمائة
وخمس وعشرين هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية
(١٣٢٥)